جامـــــــــعة الجزائر
كلية العلـــــــــوم الإسلامية
قســـــــــم العقائد و الأديان

منهج جاك بيرك في ترجمة معاني القرآن
دراسة تحليلية نقدية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

إعداد الطالب (ة): تخصص عقيدة
سجية حمليل

السنـــة الجامـــــــعية
1431هـ-1432هـ
2010م-2011م

جامعة الجـــــــزائر
كلـــية العـــلوم الإســـلامية

قسم العقائد والأديان تخصص عقيدة

منهج جاك بيرك في ترجمة بعض ألفاظ معاني القرآن
دراسة تحليلية نقدية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

إعداد الطالب (ة): تحت إشراف :
سجية حمليل أ.د عبد الرزاق قسوم
أ.د محمّد دراجي

اللجنة المناقشة

الإسم اللقب	الصفة
-أ. د. شافية صديق	ـ رئيسًا
-أ.د. عبد الرزاق قسوم	-مقررًا
-أ. د. محمد دراجي	-مقررًا ثانٍ
-د. سعيد رحماني	-عضوًا
-د. محمد يعيش	-عضوًا

السنـــة الجامعية

1431هـ-1432هـ

2010م-2011م

بسم الله الرّحمـــــــن الرّحيم

لو أعطي العـــبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه لأنّه كلام الله ، وكلامه صفته وكما أنّه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه وإنّما يفهم كلّ بمقدار ما يفتح الله عليه ، وكلام الله غير مخلوق و لا تبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة .

بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي

البرهان في علوم القرآن (ص9).

الإهـداء

إلى كلّ من حمد الله بملء فمه و كامل مشاعر قلبه ..

إلى كل قلب سليم حمل قلما للدفاع عن الحق ..

إلى كل ضمير حي عايش عذاب حق الإخلاص للحق ..

إلى كل من دمعت عيناه في خلوته إحساسًا بالذنب ..

إلى كل من حرّر عقله من أسر الإنقياد دون فكر ..

إلى كل فكر حر مختار لما يريد ..

غير فارض على عقله كيفية التفكير ..

كلمة شكر

عملاً بقوله صلّى الله عليه و سلم " من لا يشكر النّاس لا يشكر الله " يسعدني بعد هذه الرّحلة العلمية الشاقة أن أتوجه بكامل معاني الشكر و العرفان و الإمتنان إلى أستاذي المشرف الدكتور عبد الرزاق قسّوم المخلص في نصائحه و توجيهاته ، والمتفهم لظروف البحث ، و من الجحود أن أنكر فضله في موافقته على الإشراف على هذا البحث مقرة بعلو أخلاقه و مكنة له بالفضل و التقدير .

و اعترافًا بالجميل أتقدم بالشكر لأستاذي المشرف الدكتور محمّد دراجي على موافقته الإنسانية إذ يعود الفضل إليه في مواصلة هذا البحث .

كما أسدي خالص امتناني إلى الدكتور سعيد شيبان على تواضعه و دعمه العلمي إذ لم يبخل علي بإعارتي المصادر الهامة لإنجاز هذا البحث الّتي لولاها لما استطعت المضي في رحلة البحث .

كما أتوجه بالشكر الخالص إلى الأستاذ الدكتور محند إيدير مشنان على صدق إخلاصه في التعامل الحسن مع الباحثين و تقديمه الدعم المعنوي للباحث التائه وحسن توجيهه و الصبر على مساندته رغم كثرة انشغالاته .

و لا أنسى الأستاذ حيدر علوان كاظم على تشجيعاته ومساندته العلمية والخلقية .

كما أعترف بالجميل و أقدم خالص التقدير للأستاذ مصطفى شريف الّذي لم يتأخر في مساندتي بتواضع شديد و بأسلوب حضاري راقٍ. و الأستاذة الدكتورة باية لكال على إنسانيتها و سعة صدرها في خدمة البحث و الباحث دون تردّد ممّا يرفع معنويات الباحث كلما فترت .

و إلى الأخت كريمة عباس على طيبة قلبها و صدق إحساسها الّتي أمدّتني بمساعدات لا تنسى. كما أشكر شقيقتي سليمة الّتي تفهمت و عايشت معي قسوة الظروف الّتي أنجز فيها البحث محاولة قد الإمكان توفير الجو الهادئ و المساعد على العمل .

و أقدّم شكرًا خالصًا لابنة شقيقي مريـــم الّتي قامت بمجهود رائع إذ اعتكفت على طبع هذا البحث .

و ثمّة من يستحق الشكر الكبير لكنه غادر دنيانا الفانية المرحوم الطالب يوسف طيبي الّذي كاد أن يسجّل هذا البحث ، و إنّي أحتسب كل هذا الجهد و هذا العناء صدقة جارية عليه و أسأل الله عزّ و جل أن يغفر له و يرحمه برحمته الواسعة .

إلاّ أنّ الشخصان المهمان في حياتي اللّذين لا يمكن أن ينسيا من الذاكرة أبدًا واللّذان يستحقان الشكر الّذي لا يوصف إنّهما والداي الكريمين اللّذين غرسا في نفسي حب العلم و المعرفة و الدين واللذين غادرا الحياة قبل أن يريا ثمرة جهدهما ، اللّذين افتقدت رعايتهما المعنوية الّتي لا تعوض ودعاؤهما و أنا أكابد عناء البحث و مشقته . ولا يفوتني أن أشكر أساتذتي الأفاضل أعضاء هيئة المناقشة على قبولهم قراءة هذا البحث وتقييمه راجية أن يكون له مكانة ضمن البحوث السابقة.

و أنا ممتنة لكل من ساهم من قريب أو من بعيد في مساعدتي خلال رحلتي العلمية الشاقة هذه.

و بعد شكر كل هذه الأسماء الّتي تقدم ذكرها يجدر بنا أن نشكر أهم إنسان في الوجود كله الّذي لولاه لما كان هناك قرآن يحتاج إلى دراسات و بحث و فكر و لما تنور العقل ، أشكر سيدي وحبيبي و نور قلبي محمد رسول الله صلّى الله عليه و سلّم الّذي أخرجنا من ظلمات الجهل ، والّذي علّمنا أنّ شكر الناس من شكر الله.

وأسأل الله التوفيق و السداد للجميع و الصلاة والسّلام على سيد العالمين أفضل الصلاة و أزكى السّلام .

مقدمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين، وحجته على الناس أجمعين، سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا ومعلّمنا محمد وعلى آله و صحبه و من سار على دربه إلى يوم الدين، أما بعد:

استقطب القرآن الكريم اهتمام الباحثين والمفكرين والمستشرقين بالعناية والدراسة والبحث والترجمة، علمًا بأنّ الترجمة وسيلة تبليغ وأداة اتصال وتفاهم بين البشر على مختلف ألوانهم وأجناسهم، فترجمة النصوص الدينية ضرورية لنقل مفاهيم الدين الإسلامي إلى غير المسلمين ، وباعتبار هذا الكتاب منزلا من الله لفظًا ومعنى وباعتباره المرجعية الأساسية للمسلمين فإنّ محاولة معالجة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللّغات الأجنبية يعد من المواضيع الهامة والحساسة لأنّ القرآن هو قاعدة الفكر والعمل للإنسان المسلم وهو منطلق الآفاق الفكرية و الروحية والحركية في أوسع مداها . فالقرآن الكريم هو الأساس لتأصيل مفاهيم العقيدة بالتصدي لكل التيارات الفكرية والسياسية و الاجتماعية الّتي تعكس أزمة حقيقية تعيشها أمة القرآن وهي أزمة الفكر والمعرفة والصراع بينها وبين التكنولوجيا حيث انعكس هذا الصراع على تفسير القرآن الكريم.

و ممّا تجدر الإشارة إليه أنّ مسألة الترجمة أو التفسير تبقى خاضعة لثقافة المفسّر ودرجة وعيه للمسائل الّتي ذكرها القرآن و الإشكالات الّتي أثيرت في حركة الصراع بين الكفر والإيمان الّتي اهتم القرآن بمعالجتها و ذلك بتقديم الحلول لها فكرًا و منهجًا لأنّه مهما كان المفسّر أو المترجم عبقريًا فلا يستطيع تجاوز ثقافة زمانه و لا يستطيع الوصول إلى مرحلة القداسة في فهم النص القرآني ، لذلك فمن الضروري جلاء هذه المسألة المهمة في الفكر الإسلامي من خلال الآيات البينات الّتي تخدم الوعي الفكري والروحي و الشرعي لمالها من أهمية كبيرة في وعي الإسلام لأنّ القرآن هو القاعدة

الإسلامية الأساس للمفاهيم و الأحكام الأمر الّذي يجعل من الإرتباك و الإنحراف والغموض في فهمه مسألة سلبية تنسحب على ذلك كله .

أهمـــية الموضـــوع :

لقد اكتسب هذا الموضوع أهميته من خلال مايحظى به القرآن الكريم من مترلة رفيعة ودراسة معمقة كونه المرجعية الأساسية الأولى للمسلمين ، كما لقى أهميته أيضًا من خلال مكانة الشخصية الموسوعية المتمثلة في المترجم جاك بيرك ، الّذي يعتبر من المفكرين الكبار في العصر الحديث ، إذ يعد من الباحثين الّذين اهتموا بدراسة الإسلام و الثقافة العربية وانتقاد بعض المظاهر الإسلامية .

جاك بيرك الفيلسوف ، عالم الإجتماع ، السياسي ، الناقد ، الباحث في الإسلام والمترجم نظرا لتنوع و تعدد المواضيع الّتي كتب فيها ، إلاّ أنّ فكره لم يحظ بما يستحقه من التحليل و النقد ، و من هنا تستمد هذه الدراسة أهميتها باعتبارها من ندرة الدراسات الّتي تهدف إلى التعريف بأبحاث جاك بيرك لأنّ تناول فكره دون دراسته في إطاره الزماني والمكاني قد يؤدي إلى إطرائه كمفكر أو إلى ظلمه و هذا يفقد الباحث الإلتزام بالموضوعية .

والبحث الذي بين أيدينا تقديم لصورة القرآن الكريم في الخطاب الاستشراقي عموما مع التركيز على الجانب التشريعي الحالي بوجه خاص .

ولقد استمد جاك بيرك مادته من قراءاته و تجاربه و انطباعاته، و تمكن بما يتمتع به الباحثون من قدرة على جمع المعلومات و تصنيفها و ربطها ببعضها البعض مع إعطاء صورة تتميّز بالموضوعية عن بعض أجزاء وطننا العربي في حاضره وماضيه القريب.

فاهتمام بيرك بالجانب الأنثربولوجي للمجتمعات العربية جعله ينتقل في آخر أبحاثه إلى المجال الديني حيث اهتم بترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغته والموسومة بـــ : " القرآن محاولة للترجمة " Coran : Essai de traduction بالإضافة إلى كتابه " إعادة قراءة القرآن " Relire le coran و هو عبارة عن تعليق قام به جاك بيرك بعد ترجمته لمعاني القرآن نتيجة اهتمامه بالقرآن الّذي استغرق في ترجمته حوالي ست عشرة سنة على شكل دروس ألقاها في كوليج دو فرانس collège de France في باريس خلال عشر سنوات ، فتراكمت هذه الدروس و الأفكار ووصل في الأخير إلى إصدار كتابه "جاك بيرك محاولة للترجمة " من هنا نحاول دراسة هذا العمل للكشف عن أسباب هذا الإهتمام ؟

لذلك ركزنا في بحثنا هذا عن الجذور الفكرية لجاك بيرك فعملنا على حصر البحث في المصادر الأساسية الّتي ورد ذكرها في أعماله و في الإتجاهات العامة الّتي أثرت في المناخ الّذي عبر منه باعتباره مفكرًا فرنسيًا مستشرقًا و أنثروبولوجيًا ، فاعتمدنا على قراءة مؤلفاته في الموضوع لتحديد الثوابت و المتغيرات في فكره والمقارنة بينه و بين مواقف بعض المفكرين الّذين تناولوا الموضوع نفسه ؛ وبذلك تساءلنا عن الصورة التي كونها جاك بيرك عن كتاب المسلمين من خلال الجانب الأنثروبولوجي في منهجه و علاقته بترجمة معاني القرآن و موقع جاك بيرك في الفكر العربي.

دواعي اختـــيار الموضوع :

للترجمة دور بارز في حياة الشعوب وتقدمها إذ تعتبر الوسيلة الّتي تنتقل بواسطتها العلوم و المعارف و الأفكار بين الثقافات العالمية المختلفة وأثرها في تفاعل الحضارات. والقرآن نزل باللسان العربي إلاّ أنّ رسالته عالمية تستوجب قراءته بألسنة غير عربية لأنّه كتاب هداية للبشر يخاطب العالم أجمع فمن دواعي اختياري لهذا الموضوع:

- قلة أو ندرة البحوث و الدراسات في المكتبة العربية في ميدان ترجمة النصوص الدينية.
- أهمية الترجمة في حد ذاتها و كذا الرغبة في معرفة و استكشاف ما يدور في خلد المستشرقين و كيفية فهمهم و تفسيرهم لمعاني ألفاظ القرآن الكريم.
- محاولة فهم بعض سمات فكر جاك بيرك و بيان مدى تأثير الأوضاع الفكرية للعصر و مدى تأثير الثقافة الشخصية للمترجم و انعكاساتها على النص المترجم مستخدمين المنهج التحليلي النقدي.
- التركيز على بعض تصورات الرجل بشأن تراثنا المتمثل أساسًا في الدين واللّغة.

الدراســـــات السابـــــقة :

من خلال بحثنا في دليل الرسائل الجامعية لاحظنا قلة الدراسات عامة وقلة الدراسات الأكاديمية خاصة في موضوع ترجمة معاني القرآن الكريم باستثناء ما وجدناه من رسائل جامعية ، إن من الدراسات الّتي تناولت موضوع ترجمة معاني القرآن ما كتبه محمود العزب أستاذ اللّغة و الحضارة الإسلامية بجامعة السوربون (باريس) ، بحثه الموسوم بـــ " إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم (اللّغة و المعنى) " ، المنشور من طرف دار نهضة مصر في طبعته الأولى لعام 2006 إذ بيّن الأخطاء الّتي وقع فيها جاك بيرك في ترجمته .

ودراسة قامت بها زينب عبد العزيز الموسومة بـــ " ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك " لدار الهدى بمصر لعام 1994، و ما تحمله من انتقادات و مآخذ شديدة وجهتها الباحثة للمترجم .

بالإضافة إلى ترجمة منذر عياشي لكتاب Relire le coran لجاك بيرك الموسوم بـــ " جاك بيرك : القرآن و إعادة القراءة " المنشورة عن دار التنوير ببيروت في طبعته الأولى لعام 1996 .

و من الرسائل الجامعية في موضوع ترجمة النصوص الدينية رسالة دكتوراه للباحثة باية بوالحية بلمان الموسومة بـــ " قراءة تحليلية نقدية لترجمة شوراكي للقرآن الكريم "، كلية الآداب و اللغات ، قسم الترجمة ، جامعة الجزائر 2007 .
و رسالة ماجستير للباحث حيدر علوان كاظم الموسومة بـــ " الفروق الدلالية بين ترجمتين فرنسيتين لبعض ألفاظ القرآن الكريم ، كلية الآداب و اللغات ، قسم الترجمة 2004 .

و من رسائل الماجستير أيضًا اهتمام الباحث يوسف اليعقابي بالجانب الفكري لجاك بيرك بالدراسة الموسومة بـــ " فلسفة الحضارة عند جاك بيرك " ،معهد الفلسفة ، جامعة الجزائر 1987 .

إلى جانب بعض المقالات المتناثرة في بعض المجلات منها:
مقال للباحث مصطفى عبد الغني الموسوم بـــ " ترجمة جاك بيرك للقرآن من القراءة إلى التفسير " مأخوذ من مجلة الاجتهاد ، العدد 49 لشتاء العام 2001 .
و مقال للباحث أبو عمران الشيخ الموسوم بـــ " أي إسلام Quel Islam و هو المقال الأخير الّذي كتبه جاك بيرك قبل وفاته ، أخذ من مجلة الدراسات الإسلامية ، العدد 7 لعام 2005 .

الإشـــكالية الّتي يعالجـــها الموضوع:

تتطور العلوم و المعارف بتطور المنهجية الّتي يسلكها الدارسون والباحثون من هنا يمكن القول أنّه لا سبيل إلى العلم دون الاعتماد على طريقة علمية موضوعية ؛ ويتعلق موضوع بحثنا بالمنهجية الّتي اتبعها المستشرق جاك بيرك في ترجمته لمعاني القرآن من خلال اعتماده على بعض التفاسير القرآنية كتفسير الطبري و الزمخشري و الرازي و ابن كثير و القاسمي و محمد الطاهر بن عاشور و غيرهم ، أي أنّ المفكر و المترجم قد اعتمد في ترجمته لمعاني ألفاظ القرآن على التفاسير ؛ وتم توضيح ذلك في جوهر الدراسة في الجانب التطبيقي منها في الفصل الثالث .

و لاننسى هنا أن نذكر اختلاف التفاسير الّتي ترجع إلى اختلافهم في مسألة التأويل وذلك لطبيعة و خصوصية النص القرآني .

و قد عرفت كلمة الترجمة بأنّها عملية نقل نص مكتوب أو منطوق من لغة إلى أخرى، أو أنّها عملية نقل للأفكار بين لغتين معينتين و تكاد تجمع معظم المعاجم بإعطاء مرادف لكلمة ترجمة traduire بمعنى فسّر وأوّل شرح وعبّر بلغة أخرى interpréter expliquer dans une autre langue .

و عندما يشرع المترجم في نقل أي نص من لغته الأصلية إلى لغة أخرى يفكر في أغلب الأحيان في كيفية الترجمة ، فكثيرًا ما يتساءل عن الأسلوب الّذي ينبغي أن يتخذه عند ترجمته للنص نظرًا لخصوصية النص القرآني باعتباره وحيًا من عند الله لفظًا و معنًى ، والبحث الّذي بيّن أيدينا عرض لصورة القرآن في الخطاب الاستشراقي عمومًا مع التركيز على الجانب التشريعي خصوصا .

و لحساسية و صعوبة ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية فإننا نطرح التساؤلات التالية:

- كيف يمكن ترجمة الوحي الإلاهي بعبارات بشرية عادية ؟
- هل يمكن التسليم بأقوال المترجم و تأويلاته مهما أوتي من عدة منهجية ؟
- ما هي الأساليب و التقنيات الّتي وظفها في ترجمته ؟
- هل يصحّ أن تستخدم هذه التقنيات لترجمة نص ديني مثل النصوص الأخرى كالنص العلمي مثلاً ؟
- كيف تعامل جاك بيرك مع كتب التفسير ؟
- هل يعذر المفسّر المسلم لكتاب الله عن أخطائه ؟
- ما تأثيرها على المتلقي الغربي الّذي اعتمدها منهجية في ترجمته لمعاني هذا الكتاب ؟
- هل يحق للمترجم المستشرق المفسر أن يجتهد و يصيب كما يحق للمفسّر المسلم ؟
- هل حاول المترجم الاحتفاظ في ترجمته على قدسية النص القرآني وخصوصيته الثقافية ؟

منـــهج البحـــث :

تدعو طبيعة الموضوع والمفاهيم الفكرية الّتي انطلق منها جاك بيرك في ترجمته إلى تبني منهج بحث يقتضي الوقوف على المعالم الكبرى في ترجمته والخطوات المنهجية الّتي وظّفها في ترجمته لمعاني القرآن الكريم . لذلك وظّفنا في هذه الدراسة المنهج التحليلي النقدي الّذي تعرض فيه الآراء كما رودت على لسان صاحبها ، ثمّ

حاولنا الرّد عليها بأدلة مأخوذة من مصادر موثوقة وذلك من خلال عرضه للأعمدة الخمسة الّتي ذكرها في مقدمة ترجمته و هي :

1. معرفة فيلولوجية تامة une connaissance philologique sérieuse .
2. ثقافة جدّ معمقة لتفاسير النصوص القرآنية و آثارها une culture très profonde et poussée de l'exégèse de texte coranique et ses effets .
3. الحدس الشخصي l'intuition personnelle .
4. الإحساس و الذوق الأدبي la sensibilité littéraire .
5. الترجمة الصادقة و الوفية للنص الأصلي la traduction rigoureuse et fidèle au texte d'origine .

وتدليلا على ذلك نود التنبيه إلى أنّنا لسنا من أهل الاختصاص في عالم الترجمة، ولا نجرؤ على ذلك ، إذ اقتصر عملنا على العودة إلى أهم الدراسات في الموضوع من بعض المصححين و المراجعين لترجمة جاك بيرك ، و إلى بعض التفاسير الإسلامية الّتي اعتمدها المترجم في منهجه لمقاربة النص القرآني كتفسير الطبري و الزمخشري و ابن كثير و سيد قطب و الطاهر بن عاشور . كما استعنا ببعض التراجم لمعاني القرآن الكريم مثل ترجمة حميدالله و ترجمة دونيس ماسون Denise Masson، إذ قارنا بهما اجتهادات جاك بيرك في ترجمته لمعنى النص القرآني .

و سبب اختيارنا لهذين المصدرين اعتماد بعض أهل الاختصاص في الترجمة بالتصحيح و المراجعة ، إذ اعتمد محمود العزب على هذين المصدرين أثناء مراجعته ترجمة جاك بيرك لمعاني القرآن الكريم بطلب من الإمام الأكبر شيخ الأزهر السابق المرحوم جاد الحق علي جاد الحق مقارنًا مواضع الأخطاء معلّلاً سبب اختياره للترجمتين ، إذ وقع اختياره على ترجمة حميدالله إذ صحّحت له لجان من العلماء في

"الرياض" ترجمته ، و ترجمة دونيس ماسون راجعها وصحّحها الشيخ صبحي الصالح في المجلس الإسلامي الأعلى في "بيروت" لكنه وجد أنّ هاتين الترجمتين حتى بعد تصحيحهما مازالتا تحتويان على أخطاء ، وصرح أنّ ترجمة جاك بيرك بعد مراجعته لها مازال بها من الأخطاء ، و هي تستدعي المزيد من الإصرار على المراجعة ومحاولة التصويب ؛ لأنها تلبي رأي و نظرة جاك بيرك في ترجمته و التي اعتمد فيها المنهج الأنثروبولوجي الذي يبقى المجال فيه مفتوحا أمام اجتهاد الباحث .

كما اعتمدنا على ترجمة زينب عبد العزيز لمعاني القرآن الكريم لسبب جوهري يكمن في دراسة هذه الأخيرة لترجمة جاك بيرك و شدة الانتقادات الّتي وجهتها للمترجم مقدمةً ترجمتها للقارئ بديلاً عن ترجمته .

و استعنا ببعض الدراسات القليلة الّتي أشرنا إليها سابقًا قصد التمكن من تحديدآرائه أو فهمها كما جرت بيني و بين بعض معارفه و بعض تلامذته* المقربين له مقابلة حاولنا من خلالها التأكد من صحة فهمنا لآرائه و فكره حتّى نلتزم قدر الإمكان بالموضوعية ، وكاد الموضوع أن يسجّل بالكلية من طرف الطالب يوسف طيبي رحمه الله إذ لم لم يقدّر الله له ذلك .

وبعد عرض مشروعي الأول الوسوم بـــ " حسن الاستدلال بآيات القرآن الكريم " أشار عليّ بعض الأساتذة الكرام بالعدول عنه و معالجة موضوع بحثنا هذا منهج بيرك جاك في ترجمة بعض ألفاظ ومعاني القرآن دراسة تحليليةٍ نقدية ؛ وحاولنا التحلي بالموضوعية قدر الإمكان دون الخوض فيما يتجاوزنا دون هجاء أو مدح وانحياز ، وإنّما التحليل والبحث والتنبيه على مواطن القصور والنقص مصحوبة بالدراسة

* –تم اللّقاء مع الدكتور أبو عمران الشيخ رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في شهر جوان من2008.
و لقاء آخر جمعني بأحد تلامذة جاك بيرك الأستاذ مصطفى شريف 08/07/01 بالمكتبة الوطنية .

والنقد العلمي مقتدين في ذلك بمنهج ابن حزم في مناقشة الآخر من أهل الكتاب أنّه لا يتصيد لخصمه الأخطاء ولا يلتمس له الثغرات لينفذ إليه منها ، و هذه ميزة من ميزات الجدل عنده ، أخذًا عن محمود علي حماية في كتابه " إبن حزم زمنهجه في دراسة الأديان " ، المنشور عام 1983 بدار المعارف في طبعته الأولى .

ولقد اعتذر جاك بيرك نفسه في مقدمة كتابه عن صعوبة هذا العمل و تساءل عمن لديه الجرأة لخوض هذه المعركة لمباشرة عمل من هذا النوع .

و بناءً على ما تقدّم ذكره قمنا بدراسة رؤية جاك بيرك من خلال الكتابات الّتي انتقدته في بحثه حول إيصال مفاهيم معاني القرآن الكريم إلى من يجهلونها من متلق أجنبي و قد استعنّا في ذلك بالمصادر الإسلامية لاستنباط المفاهيم الفكرية الّتي تعرض لها جاك بيرك و استقى رؤيته منها ، و بعض الأعمال الإستشراقية الّتي استخدمت في نقد رؤية المترجم بتقديم وجهات نظر إستشراقية مخالفة لرؤيته اعتمادًا على المستشرقين في الرّد على بعضهم استفادة من التناقض الّذي يقعون فيه أو نقد بعضهم بعضًا .

و نظرًا لخصوصية المفردة أو الجملة القرآنية الّتي تحمل المعاني الضمنية ينبغي على المترجم أن يحقق الإتصال بين النص الأصلي و اللّغة الّتي ينقل إليها بحيث يهدف إلى خلق نص جديد يمتاز بمضمونه الدلالي في النص الأجنبي بغض النظر عن المحافظة على الجمال الشكلي فأهم ما تطلبه النصوص الدينية المقدسة التحلي بالأمانة في الترجمة لتأدية المعنى و تجسيده كلية للمتلقي .

خـــطة البحث:

قد تمّ تقسيم هذا البحث إلى مقدّمة و ثلاثة فصول:

- تطرقنا في الفصل الأول الموسوم بـــ " دراسة تاريخية وتأصيلية لترجمات القرآن الكريم إلى اللّغات الأجنبية " لمفهوم الترجمة بشكل عام و ترجمة معاني القرآن الكريم بشكل خاص و أثرها على النصوص الدينية في المبحث الأول . ولاشك أنّ الحديث عن ترجمة معاني القرآن في سياق القراءة التاريخية والتأصيلية ينطلق من الكشف عن علاقة الترجمة بالتفسير و التأويل و هذا ما تناولناه بالدراسة في المبحث الثاني . كما تناولنا الحديث عن تباين آراء العلماء المسلمين في ترجمة معاني القرآن إلى غير لغته في المبحث الثالث . وخصصنا المبحث الرابع للحديث عن الإستشراق و دنيا ترجمة معاني القرآن الكريم .
- أما في الفصل الثاني فقد تناول دراسة فكر جاك بيرك وأثره في ترجمة معاني القرآن الكريم ، إذ تعرضنا في المبحث الأول إلى الجانب الثقافي و الفكري للمترجم ، ومؤلفاته في المبحث الثاني . كما خصصنا المبحث الثالث للحديث عن علاقات جاك بيرك مع بعض أعلام الفكر و الثقافة العرب ، ومن ثمّ التطرق لأراءه في الإسلام المبحث الرابع .
- وقمنا في الفصل الثالث بدراسة تحليلية لبعض معاني الألفاظ القرآنية عند جاك بيرك ، فتطرقنا للجانب الشكلي للقرآن الكريم فتطرقالمترجم للحديث عن الوحدة والتناسق بين آيات و سور القرآن و الرؤية الإستشراقية في الموضوع في المبحث الأول ، كمادرسنا بعض تقنيات الترجمة و الأساليب الّتي اعتمدها المترجم حيث ارتأينا الإتيان ببعض الأمثلة و بعض النماذج من الترجمة الّتي تخص كل تقنية من بعض هذه التقنيات المستخدمة كالإضافة و الحذف مخصصين كل تقنية بمبحث خاص مع ترجمتها ثمّ تحليلها و مقارنتها بالأصل .

وأنهينا البحث بتقديم خاتمة عامة قدمنا فيها حوصلة لأهم نتائج الدراسة مصحوبة ببعض الإقتراحات و التوصيات، كما تمّ تقديم قائمة شاملة بالمصادر و المراجع العربية و الفرنسية وحوارات تبادلتها مع بعض الباحثين المقربين إلى جاك بيرك من الّذين تتلمذوا على يديه أو التقوا به أو درسوا بعض كتاباته ، و رسائل جامعية من قسم الترجمة .

كما ذيلنا ذلك بقائمة ضمت بعض القواميس والمعاجم الّتي استعنّا بها في عملية البحث، بالإضافة إلى استعانتنا ببعض مواقع الإنترنت لتدعيم هذا الجهد.

و قد انتهجنا في تقديم كل المصادر و المراجع ذكر اسم المؤلف و المؤلَف ، ذكر الطبعة ، دار النشر ، البلد ، السنة والصفحة معتمدين هذه المنهجية طيلة البحث ، أخذًا عن حمادي العبيدي من كتابه كتابه الذي يحمل عنوان " منهج إعداد البحوث الجامعية " .

أمّا فيما يخص تراجم الأعلام فقد ترجمنا لبعض المتقدمين منهم و بعض المتأخرين حتّى لا يتحوّل البحث إلى مجموعة من التراجم. كما ذكرنا الآيات القرآنية المختارة الّتي تناولناها بالدراسة مضبوطة شكلاً ، و أشرنا إلى سورها و أرقامها في الهامش .

صـــعوبات البحث:

قال صلّى الله عليه و سلّم:**{ إِنَّ النُّفُوسَ إِذَا كَلَّت عُمِيَت }**.

أقر أنّني حين باشرت هذا البحث لم أكن أعرف ما يخبأ لي من مشاق وصعوبات ومع ذلك لم تراودني فكرة التراجع عنه أبدًا .

فقد اعترضتني عدّة صعوبات تتعلق بموضوع البحث وظروفه لارتباط موضوع البحث بالعديد من المفاهيم ، إذ حاول المترجم أن يوظف الجانب الأنثروبولوجي في النص القرآني رغم أنّه يتعامل مع نص يختلف تمامًا عن نصوص أخرى .

كما اعترضتني صعوبة لغوية نظرًا لكون جل مراجع هذا المفكر مكتوبة بلغته الأم ، ثم إن الأسلوب صعب والموضوع معقد لدرجة يصعب معها فهم فكر الرجل واستكشاف أبعاده بدقة ، ولقد اعترف الأستاذ Roger Arnaldez بصعوبة فهمه لأسلوب بيرك بشهادة الأستاذ المشرف عبد الرزاق قسوم .

ومن الصعوبات أيضًا نقص الدراسات و افتقادنا لدراسة وافية عن الموضوع يقحم الباحث في التعسف في إصدار الأحكام المنطلقة من معطيات ناقصة و تجاهل المواقف الأساسية إلى جانب التأكيد على صعوبة الموضوع و عزوف الباحثين عن دراسته و إيمانا منا بمواجهة كل صعب في مختلف جوانب الحياة دون تردد تحركنا لمباشرة هذا العمل المتواضع ولا نزعم أنّنا عالجنا هذا الموضوع معالجة دقيقة ووافية في مختلف جوانبه و لا نعتقده عملاً كاملاً على أن يستدرك المهتمون و الباحثون في هذا المجال هذا الجهد لإضافة توضيح ما لم نستطع الوقوف عنده إتمامًا للفائدة .

الفصل الأول

دراسة تاريخية وتأصيلية لترجمات معاني القرآن الكريم

- ✓ **المبحث الأول:** مفهوم الترجمة و خصوصية النصوص الدينية .
- ✓ **المبحث الثاني:** التفسير والتأويل .
- ✓ **المبحث الثالث:** آراء العلماء في ترجمة معاني القرآن إلى اللّغات الأجنبية.
- ✓ **المبحث الرابع** : الإستشراق و دنيا ترجمة معاني القرآن الكريم.

تمهـــــيد :

لقد أنزل اللّه سبحانه وتعالى القرآن الكريم لجميع الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم للتعرف على حقيقة الدين الإسلامي والعمل به، وعالمية القرآن تلزم أن يُقرأ مترجمًا إلى لغات أخرى كما ترجمت الكتب السابقة، وتحتل ترجمة القرآن مكانًا خاصًا في مجال الترجمة الدينية، إذ يأتي القرآن في مقدمة الكتب المقدسة الّتي ترجمت في العالم إلى لغات أخرى غير لغته، وقد شعرت كثير من الشعوب والقبائل بعد دخولها الإسلام إلى الحاجة إلى تعلم مبادئ الدين ففسرت معاني القرآن إلى لغاتها لتفهم بوضوح ويقين، وترجم القرآن إلى لغات أجنبية عديدة بناءً على تعدد واختلاف ألسنة هذه الشعوب والقبائل .

إلاّ أنّ الإشكالية التي قد يلتبس مفهومها عند المنشغلين بالقرآن الكريم هو مدلول ترجمة القرآن، وترجمة معاني القرآن، لذلك فكرنا في تخصيص المبحث الأول حول مفهوم الترجمة بشكل عام وترجمة معاني القرآن بشكل خاص وأثرها على النصوص الدينية .

ولا شك أنّ الحديث عن ترجمة معاني القرآن في سياق القراءة التاريخية والتأصيلية ينطلق من الكشف عن علاقة الترجمة بالتفسير والتأويل وهذا ما تناولناه بالدراسة في المبحث الثاني .

وكون جل التراجم من صنع المستشرقين فقد خصصنا المبحث الثالث للحديث عن الاستشراق ودنيا ترجمة معاني القرآن الكريم، وباختلاف عقيدة المسلمين عن غيرهم ممن اهتموا وعنوا بدراسة القرآن وترجمة معانيه إلى لغتهم المختلفة ارتأينا تناول تباين آراء العلماء المسلمين في ترجمة معاني القرآن إلى غير لغته في المبحث الرابع .

المبحـــث الأول : مفهوم الترجمة وخصوصية النصوص الدينـــية.

لقد تباينت آراء المترجمين والمفكرين في مدلول الترجمة فمنهم من يرى أنّها "عملية استبدال مفردات من النص الأصلي بمفردات أخرى معادلة لها معنى في لغة أخرى[1] ".

ويتضح من هذا التعريف أنّ صاحبه يشير إلى الترجمة الحرفية للنص إذ يقتصر على معنى اللّفظ وما يقابله في اللّغة الأخرى مفتقِرًا إلى حسن تصوير المعاني التي تحويها النصوص وأغراضها الكاملة .

وأما ما ورد في معجم " النفيس من كنوز القواميس " قوله " هو المفسّر للسان، هو الذّي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى أخرى ، والجمع التراجم، وقد ترجمه وترجم عنه "[2].

إلاّ أنّ من الباحثين من علا بها إلى مفهوم آخر حيث يرى أنّ " الترجمة علم وفن في آن واحد إذ لا بد أن يكون المترجم موضوعيًا في عمله إضافةً إلى كونه تأمليًا وذاتيًا "[3].

في حين نرى أنّ من الباحثين من حصر مفهوم الترجمة في الجمع بين كونها فنًّا تجمع بين اللفظ ومعناه والأسلوب المتباين من لغة إلى أخرى، فيذهب إلى أنّها " فن جميل يُعنى بنقل الألفاظ والمعاني والأساليب من لغة إلى أخرى بحيث أنّ المتكلم باللّغة المترجَم إليها

---

[1] – محمد ديداوي : علم الترجمة بين النطرية و التطبيق ، دط ، دار الطباعة و النشر، سوسة ، تونس ، 1992 ، ص 15 .

[2]– خليفة محمد التليسي : النفيس من كنوز القواميس ، صفوة المتن اللّغوي من تاج العروس ومراجعه الكبرى ، دط ، الهيئة القومية للبحث العلمي ، دت ، مج1 ، ص 248 .

[3]– الصافي عبد الباقي : الترجمة بين النظرية و التطبيق ، د ط ، دار الطباعة الحديثة ، العراق ، دت، ص2 .

يتبنّى النصوص بوضوح و يشعر كما يتبينها ويشعر بها المتكلِّم باللغة الأصلية ".[1] وهذا هو التعريف الذّي وقع اختيارنا عليه طالما يهتم ببيان النص وإيضاحه والشعور بقوته لإيصاله للمتلقي.

إذ لاحظنا أن صاحبه حصر مفهوم الترجمة في التركيز على: اللفظ، المعنى، الأسلوب. فاللفظ يربط بالمعنى ويصاغ بأسلوب يحافظ على مقروئية النص المترجم كأنّه في لغته الأصلية .

أما فيما يتعلق بترجمة النصوص الدينية فيصعب على المترجم مقاربة النص الديني نظرًا لخصوصيته التي تميزه عن بقية النصوص الأخرى " إذ عندما يشرع المترجم في نص – أي نص – من اللغة المصدر إلى اللّغة الهدف يفكر في أغلب الأحيان في كيفية الترجمة ، فكثيرًا ما يتساءل عن الموقف الذّي ينبغي أن يتخذه أمام هذا النص أو ذاك ، ولطبيعة النص القرآني الخاصة قد يقف المترجم حائرًا أمام نوع الترجمة التي سينتهجها، فالقرآن الكريم وحي من عند اللّه بلفظه ومعناه ، فكيف يمكن ترجمة الوحي الإلهي بعبارة بشرية عادية ".[2]

ولاشك أنّ الحديث عن ترجمة النصوص الدينية و طبيعتها الخصوصية ينطلق من الكشف عن مفهوم الترجمة الّذي يقودنا إلى التساؤل الآتي : هل يترجم القرآن ؟ أم تترجم معانيه ؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية نروم جلاء حقيقة الترجمة بأقسامها .

تعد الترجمة إحدى الممارسات اللغوية تعقيدًا لما تتطلبه من مهارة تمثل النص المترجم تمثيلاً ينقله من لغته الأصلية الّتي تسمى لغة الإنطلاق إلى اللّغة الّتي نترجم إليها .

---

[1] – خلوصي صفاء : فن الترجمة ، د ط ، دار المعرفة ، بغداد ، العراق ، دت ، ص13 .

[2] – محمد صالح البنداق : المستشرقون و ترجمة القرآن الكريم ، ط1 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، لبنان ، 1980، ص 49 .

أولاً: الترجمـــــــــة.

" ترجمة معاني القرآن في حقيقتها هي نقل معنى أو معانٍ من معاني القرآن وذلك حسب إمكان وجوه التفسير والتأويل ، فليس في هذا الشكل تغيير للأصل أو نقله من وجه إلى وجه ، وعلى هذا يجوز الإطلاق على هذا النوع من الترجمة إسم الترجمة التفسيرية لا القرآن المترجم "[1].

نستشف من هذا التعريف استحالة الترجمة الدقيقة للقرآن أينما يمكن الوصول إلى تفسير موجز له .

ثانيًا: أقســـــام الترجـــــمة :

تنقسم الترجمة إلى قسمين، حرفية و تفسيرية:

–الترجمة الحرفية: " هي عملية استبدال مفردات من النص الأصلي بمفردات أخرى معادلة لها معنى في لغة أخرى "[2].

–الترجمة التفسيرية: " هي حسن تصوير المعاني والأغراض كاملة، ولهذا تسمى أيضا بالترجمة المعنوية، و سميت تفسيرية لأنّ حسن تصوير المعاني و الأغراض فيها جعلها تشبه التفسير و ما هي بتفسير "[3] .

ولنضرب مثالاً للترجمة بنوعيها على فرض إمكانها في آية من كتاب اللّه ، قال تعالى :

---

[1]– خالد عبد الرحمان العك : تاريخ توثيق نص القرآن الكريم ، د ط ، دت ، ص84 .

[2] – محمد ديداوي : علم الترجمة بين النظرية و التطبيق ، ص15 .

[3] – عبد الله شحاته : ترجمة معاني القرآن ، دت ، دط ، دار الاعتصام ، ص5 .

{ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ }.[1]

يقول الذهبي معلقًا على ترجمة هذه الآية الكريمة :

" لو ترجم المترجم هذه الآية ترجمة حرفية لأتى بكلام يدل على النهي عن ربط اليد في العنق و عن مدّها غاية المد ، و مثل هذا التعبير في اللغة المترجم إليها ربما كان لا يؤدي المعنى ّالذي قصده القرآن ، بل قد يستنكر صاحب تلك اللغة هذا الوضع الذي ينهى عنه القرآن و يقول في نفسه : إنه لا يوجد عاقل يفعل بنفسه هذا الفعل الذي نهى عنه القرآن لأنه مثير للضحك على فاعله و السخرية منه ولا يدور بخلد صاحب هذه اللّغة المعنى الذي أراده القرآن و قصده من وراء هذا التشبيه البليغ . أما إذا أراد أن يترجم هذه الجملة ترجمة تفسيرية فإنه يأتي بالنهي عن التبذير و التقتير مصورين بصورة شنيعة ينفر منها الإنسان حسبما يناسب أسلوب تلك اللّغة المترجَم إليها ، ومن هذا يتبين أنّ الغرض الذي أراده اللّه من هذه الآية يكون مفهوماً بكل سهولة و وضوح في الترجمة التفسيرية دون الترجمة الحرفية ".[2]

يتضح من تحليل هذا المفسّر أنّ الترجمة التفسيرية تجعلك تعمد إلى التعمق في فهم الآية دون رعاية الأصل في النظم أو في ترتيب اللفظ ، بينما الترجمة الحرفية عكس ذلك تجبرك على مراعاة هذه الشروط إذ تلزمك بوضع المرادف مكان مرادفه .

وفي هذا السياق نجد الباحث محمد العزب مؤيدًا لما يراه الذهبي فيما ذهب إليه إذ يقول :

---

[1]– سورة الإسراء: الآية 29.

[2] – محمد حسين الذهبي : التفسير و المفسرون ، د ط ، دار الأرقم ، دت ، ج1 ، ص 19-20 .

" إنّ الترجمة و التفسير مصطلحان مترادفان ، فالترجمة تفسيرأو نوع من التفسير، والتفسير ترجمة ".[1]

وهذا الذي نميل إليه من الآراء التي سيقت في هذا الموضوع وهو أنّ الترجمة نوع من أنواع التأويل أيضًا .

ثالثًا : شروط الترجمة .

و شروط الترجمة التفسيرية حسب الذهبي أجملها في أربعة شروط وهي:

" 1- أن تكون الترجمة على شريطة التفسير، لا يعوّل عليها إلاّ إذا كانت مستمدة من الأحاديث النبوية و علوم اللّغة العربية ، أمّا استقلال المترجم برأيه في استحضار معنى القرآن أو اعتماده على تفسير ليس مستمدًا من تلك الأصول فلا تجوز ترجمته و لا يُعتد بها .

2- أن يكون المترجم بعيدًا عن الميل إلى عقيدة زائفة تخالف ما جاء به القرآن و هذا الشرط في المفسّر أيضًا.

3- أن يكون المترجم عالمًا باللغتين، المترجم منها و المترجم إليها، خبيرًا بأسرارهما.

4 – أن يكتب القرآن أولاً، ثم يؤتى بعده بتفسيره، ثم يتبع هذا بترجمته التفسيرية حتى لا يتوهم متوهم أن هذه الترجمة ترجمة حرفية للقرآن ."[2]

تمنينا لو أنّ جاك بيرك عمد فقدم ترجمته لمعاني القرآن بناءً على هذه الشروط الأخيرة التي ذكرها الذهبي و الممثلة في كتابة القرآن الكريم أولاً ثم يلحقه بتفسيره ثم يتبعه بترجمة تفسيرية ، هذه الأخيرة التي لا يستطيع من خلالها محاكاة الأصل في نظمه و ترتيبه ، و إنما الأهم فيها حسن تصوير المعاني و الأغراض كاملة وهذا ما يجعلها تشبه التفسير .

---

[1] – محمود العزب : إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم (اللغة و المعنى) ، ط1 ، نهضة مصر، 2006 ، ص 105 .

[2] – محمد حسين الذهبي : التفسير و المفسرون ، ص30 .

و لقد عززت زينب عبد العزيز هذا الرأي إذ ترى" أنّ الترجمة المرادة هي ترجمة لمعاني التفسير الذي يضعه العلماء فهي جائزة شرعًا، بشرط طبع التفسير المذكور بجوار الترجمة [1]".

و هذا الذي نميل إليه من الآراء التي سيقت في هذا الموضوع من أنّ الترجمة تفسير أو نوع من أنواعه مضيفة رأيًا مستقلاً في هذه المسألة و هو أنّ الترجمة نوع من أنواع التأويل أيضًا .

و على ذكر التأويل فقد اختلف العلماء في بيان الفروق بينه وبين التفسير ، و بما أن التفسير ملازم للتأويل و مقترن به فقد بحثنا فيه من خلال المبحث الثاني من هذا الفصل.

[1] – زينب عبد العزيز : القرآن الكريم و ترجمة معانيه الى اللّغة الفرنسية ، دط ، طرابلس ، ليبيا ،2001 ، ص ب.

المبحـــث الثانـــي : التفسير و التأويل .

يعد القرآن الكريم مصدر التشريع الأول للأمة المحمدية مما يستوجب عليها فقه معناه و العمل بما فيه ، وتتباين مستويات الناس في فهم ألفاظه وعباراته مع وضوح بيانه وتفصيل آياته ، فالذي يدرك من المعاني ظاهرها فقط غير الذي يستخرج منها المعنى العميق وهذا مايولد مراتب فهم شتى . و وجد القرآن من أبناء أمته اهتماما كبيرا في الدراسة لتفسير غريبه أو تأويله .

و لا شك أن الحديث عن التفسير والتأويل في سياق القراءة التاريخية والتأصيلية لترجمة معاني القرآن الكريم عند جاك بيرك ينطلق من الكشف عن علاقة الترجمة بالتفسير والتأويل وفي هذا المقام نطرح التساؤل الآتي:

هل كان جاك بيرك مفسّرا أم مؤوّلا أم مترجما ؟

و للإجابة عن هذه الإشكالية نروم استجلاء حقيقة التفسير والتأويل لغة واصطلاحًا .

أولاً : التفســـير لغة و اصطلاحا :

للتفسير معنيين ، معنى لغوي و آخر إصطلاحي :

1. التفسير لغة :

التفسير في اللغة مأخوذ من الفسر و هو البيان ، و قد فسّرت الشيء ، أفسِره

بالكسر فسرًا، و التفسير مثله ، و استفسرته كذا ، أي سألته أن يفسره لي.[1]

ومنه قوله تعالى : {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ }[2]

أي بيانا وتفصيلا.

وقد ورد في روح المعاني : " التفسير تفعيل من الفسر وهو لغة البيان والكشف ."[3]

والمعنى ذاته ورد في تاج العروس : " التفسير إخراج الشيء من معلوم الخفاء إلى مقام التجلي ".[4]

و قد وفق الألوسي في تعريفه التفسير بأنّه البيان و الكشف ، و تعريف الزبيدي أضاف لهذا المعنى إيضاحًا و دقة أكثر لأنّ الفسر يدل على معناها الأصلي وهو البيان و التوضيح و الكشف و الإظهار ، فتفسير الكلام بيان معناه و إظهاره و توضيحه وإزالة إشكاله و الكشف عن المراد منه فتتجلى المفاهيم الخفية وتسفر عن معناها . وبالتأمل في هذه التعاريف نكشف أن التفسير يستعمل لغة في الكشف الحسي، و في الكشف عن المعاني المعقولة .

2. التفسير في الإصطلاح :

اختلف العلماء في تعريفهم لعلم التفسير فمنهم من أطال و منهم من توسط و منهم من أوجز.

---

[1] – اسماعيل بن حماد الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط3 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1404 هـ /1984 م ، ج 2 ، ص781 .

[2] – سورة الفرقان : الآية 33.

[3] – محمود الألوسي البغدادي : روح المعاني، دط ، دار الفكر ، 1414هـ /1994 م ، مج1، ص 13 .

[4] – محمد مرتضى الحسيني الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، دط ، 1413هـ/1993م ، ج28 ، ص33 .

فقد أطال السيوطي في تعريفه لعلم التفسير فقال أنه: " علم نزول الآيات وأقاصيصها و الأسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيها و مدنيها و محكمها و متشابهها، و ناسخها و منسوخها و خاصها وعامها ومطلقها ومقيدها و مجملها و مفسرها وحلالها وحرامها و وعدها و وعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها ."[1]

و يبدو أنّ صاحبه قد توسع لأنّه ذكر كل المسائل المتعلقة بمجال التفسير ، في حين نجد غيره من علماء التفسير من توسط في تعريفه لهذا الفن ، إذ ورد في روح المعاني أنّ التفسير :

" علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن و مدلولاتها و أحكامها الإفرادية والتركيبية ، و معانيها التي تحمل عليها حالة التركيب و تتمات ذلك، كمعرفة النسخ وسبب النـــزول، وقصة توضح ما أبهم في القرآن و نحوذلك ."[2]

و نشاطر صاحب البحر المحيط في تعريفه لعلم التفسير:

" هذا التعريف غير جلي و لا واضح ، وكذلك لم يصرح بالغرضين المهمين الّذين نزل لهما القرآن ، هما كونه كتاب الهداية البيّنة الّتي هي أوضح الهدايات وأقومها و التي لو اتبعها البشر لحققت لهم السعادتين الدنيوية و الأخروية ."[3]

---

[1] – الحافظ جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق أبو الفضل ابراهيم ، دط، صيدا ، بيروت ، لبنان ، 1418هـــ/ 1997 م ، ج2 ، ص147 .

[2] – محمود الألوسي البغدادي : روح المعاني ، ص13 .

[3] – محمد بن يوسف الشهيد بأبي حيان الأندلسي :البحر المحيط ، دراسة و تحقيق و تعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، شارك في تحقيقه زكريا عبد المجيد التوتي وأحمد النجولي الجمل ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1413هـــ /1993 م ، ج1 ، ص9 -10 .

ونعتقد أنّه قد أصاب الرأي فيما ذهب إليه ؛ أما ماذهب إليه صاحب كتاب البرهان، فيأتي بمعنى" أنه علم يفهم به كتاب الله المترل على نبيّه محمّد وبيان معانيه واستخراج أحكامه و حكمه ."[1]

كما عرفه الزرقاني في البرهان بأنه"هوالبحث عن أحوال القرآن الكريم من حيث فهم مراده بقدر الطاقة البشرية ."[2]

موضوع التفسير هو إحكام المراد من الآية ، و هو علم يعرف به فهم كتاب الله وأحكامه فثمرة التفسير هي فهم استنباط الموضوع لا مكان وقوع الاختلاف في التفسير للتفاوت العقلي في الاجتهاد لإدراك فحوى الخطاب القرآني ، إذ يرى صاحب الإتقان أنّه البحث في أحوال القرآن الكريم بقدر الطاقة البشرية .

نلاحظ أن تعريف الزرقاني مطابق لتعريف السيوطي ، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى، و بيان المراد و هذا هو الذي نميل إليه لأنه أوضح وأضبط لمعنى التفسير، و كل التعاريف تتفق على أن علم التفسير علم يختص بالكشف عن مراد الله تعالى من خلال اللفظ القرآني بقدر الطاقة البشرية.

ثانيًا : التأويل :

لقد اختلف العلماء في معنى التأويل ممّا دفعنا للبحث في هذا المصطلح لنحاول معرفة إجابات عن هذه التساؤلات لذلك نورد مفهومه بالمعنى اللّغوي والإصطلاحي :

1. التأويـــل لغة :

---

[1] – بدرالدين محمد عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دط ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1408 هـــ/ 1988 م ، ج2، ص6 .

[2] – محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، تحقيق محمد علي بيطوي ، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر ،1998 م ، ج 2 ، ص3 .

تفسير ما يؤول إليه الشيء ، و قد أولته و تأولته تأولا بمعنى ، ومنه قول الأعشى:

على أنها كانت تأول حبها تأول ربعي السقاب فأصحبا

قال أبوعبيدة : " يعني تأويل حبها أي تفسيره ومرجعه ، أي إنه كان صغيرا في قلبه ، فلم يزل ينبت حتّى أصحب فصار قديما كهذا السقب الصغير ، لم يزل يشب حتى صار كبيرا مثل أمه وصار له ابن يصحبه ."[1]

" و الإيالة : السياسة ، يقال : آل الأمير رعيته يؤولها أولا و إيالا أي ساسها وأحسن رعايتها. و في كلام بعضهم: " قد ألنا وإيل علينا " و آل ماله ، أي أصلحه ساسه .

قال لبيد : " بصبوح صافية وجذب كرينة بمؤتر تأتاله إبهامها " [2]

قال ابن الجوزي : " التأويل نقل الكلام عن موضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ ."[3]

أما ابن منظور في لسان العرب قال :

" الأول : الرجوع ، آل الشيء يؤول أولا و مآلا ، رجع و أول الشيء رجعه و ألت عن الشيء ارتددت "[4]، و إلى المعنى ذاته يشير الزبيدي : أول: آل إليه يؤول أولا و مآلا رجع و منه قوله : فلان يؤول إلى كرم .

و بذلك عرفنا أن التأويل في اللغة يدل على معنى الرجوع و الإنتهاء .

---

[1] – اسماعيل بن حماد الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ص1627 .

[2] – أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري : تهذيب اللغة ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، دط ، دار الكتاب العربي ، 1967 ، ج15 ، ص437 .

[3] – محمد مرتضى الحسيني الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، ص33 .

[4] – ابن منظور : لسان العرب ، ط 1 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1997 ، مج 1 ، ص 134 .

2 . التأويل في الإصطلاح :

من أدق التعاريف للتأويل في الإصطلاح و أكثرها ضبطا ، ما ذكره الإمام الراغب الأصفهاني في المفردات حين قال :

" التأويل هو " رد الشيء إلى الغاية المرادة منه ، علما كان أو فعلا ."[1]

فتأويل الكلام هو رده إلى الغاية المرادة منه، و إرجاعه إلى أصله و إعادته إلى حقيقته التي هي عين المقصود منه.

و في هذا السياق يقول الباحث صلاح عبد الفتاح الخالدي : " تأويل الكلام هو : رد معانيه و إرجاعها إلى أصلها الذي تحمل عليه ، و تنتهي هي إليه. الأصل أن يكون الكلام الصادق حقيقة مرادة منه ، و غـــاية ينتهي إليها ،و مرجع ومآل يرجع إليه ، و إلا كان كذبا لا رصيد له من الحقيقة ".

و هذه الحقيقة الّتي لا بد أن يؤول و يرجع إليها الكلام الصادق ، هي عين المقصود به ، و الغاية المرادة منه كما قال الإمام الراغب ."[2]

" و للتأويل معنيان في الإصطلاح عندالسلف :

تفسير الكلام و بيان معناه سواء أوافق ظاهره أو خالفه ، أو هو نفس المراد بالكلام ، و إن كان الكلام طلبا كان تأويله نفس الشيء المخبر به.

أما عند المتأخرين فمعناه : صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به ."[3]

و الناظر في القرآن الكريم يجد أن لفظ التأويل قد ورد في كثير من آياته وعلى معان مختلفة . فمن ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران :

---

[1] – صلاح عبد الفتاح الخالدي : التفسير و التأويل في القرآن ، ط1 ، دار النفائس ، الأردن ، 1416هـــ/1996 م ، ص 19 .

[2] – صلاح عبد الفتاح الخالدي : التفسير التأويل في القرآن ، ص33 .

[3] – محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي : البحر المحيط ، ص11 .

{... فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ...}[1] ، فهو في هذه الآية بمعنى التفسير والتعيين . أما معناه في سورة النساء التي يقول فيها جل جلالة : {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ }[2] ورد بمعنى العاقبة و المصير.

وقوله في سورة يونس الآية 39 : { بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥ } ، و الأعراف الآية 53 : { هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ } بمعنى وقوع المخبر به .

و قوله في سورة يوسف الآية6 : { وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ...} و المراد منها مدلول الرؤيا .

و قوله في سورة الكهف آية 78 وآية 82 : { قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٧٨ }،{ ...ۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢ } ، فمراده بالتأويل هنا تأويل الأعمال التي أتى بها الخضر من خرق السفينة، وقتل الغلام ،إقامة الجدار، و بيان السبب الحامل عليها، وليس المراد منه تأويل الأقوال[3].

---

[1] – سورة آل عمران : الآية 7 .

[2] – سورة النساء : الآية 59 .

[3] – محمد حسين الذهبي : التفسير و المفسرون ، ج1 ، ص 13 .

ثالثًا : عـــــلاقة التفسير بالتأويل

و استنادا إلى المعاجم التي تورد التأويل بمعنى الرجوع و المآل يجعلنا نستخلص أن التأويل و التفسير متقاربين أو مترادفين لهذا كان الإمام الطبري في تفسيره يقول: القول في تأويل قوله كذا و كذا، و اختلف أهل التأويل في هذه الآية ، و نحو ذلك. " وقد قال بعض العلماء: التفسيريتعلق بالرواية أي التفسيربالمأثوروالتأويل يتعلق بالدارية أي التفسير بالرأي و الإجتهاد "[1] ، و هذا الذي نميل إليه من جميع هذه الأقوال معززين رأينا برأي الذهبي في كتابه التفسير و المفسرون ، ذلك لأن " التفسير معناه الكشف و البيان ، و الكشف عن مراد الله تعالى لا نجزم به إلا إذا ورد عن رسول صلى الله عليه وسلم أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي وعلموا ما أحاط به من حوادث و وقائع ، و خالطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعوا إليه فيما استعصى أو غمض عليهم من معاني القرآن الكريم .

إنّ تكامل مفهومي التفسير و التأويل كان عاملاً مساعدًا على إثراء المنظومة التفسيرية ، بل إنّ استثمار الاستدلال العقلي في مقاربة النص القرآني كشف عن حركية النص و غنى دلالته ، و من هنا فجماع الأمر أنّ التأويل يرتبط بالاستنباط في حين يغلب على التفسير النقل و الرواية ، و في هذا الفرق يكمن بعد أصيل من أبعاد عملية التأويل و هو دور القارئ في مواجهة النص والكشف عن دلالته .

[1] – جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ج2 ، ص173 .

أما التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل و الترجيح يعتمد على الإجتهاد ، و يتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ و مدلولاتها في لغة العرب واستعمالها بحسب السياق ومعرفة الأساليب العربية و استنباط المعاني من كل ذلك[1] .

وقد قال في هذا الصدد أن التأويل قد يأتي مرادفا للتفسير ؛ و على هذا جرت عبارة كثير من الأئمة المفسرين كالإمام الطبري في تفسيره " القول في تأويل قوله تعالى " أو " اختلف أهل التأويل في هذه الآية . ولاحظنا أن ابن عربي استعمل التأويل بمعنى التفسير جريا على عادة أو طريقة الإمام الطبري ، أي استعمله في بيان معاني الألفاظ القرآنية و أحكامه وحكمه ، هذا في أغلب استعمالاته للفظ التأويل [2] .

لم نشأ الإطالة في الحديث عن الفرق بين التفسير و التأويل لتباين الآراء وكثرة النقول ، و لا يسعنا المجال هنا للخوض في آراء كل العلماء و إنّما اكتفينا ببعضها فقط . و من المصادر الأصلية الّتي لا ترى فرقًا بين المصطلحين تفسير الطبري ، إذ يقول : القول في تأويل كذا ... أي تفسيره .

رابعًا : ما يحتاج إليه المفسر من العلوم .

فهم القرآن ضرورة في كل عصر من العصور، و إذا كان لكل علم مرتكزات أساسية يرتكز عليها لتحديد غايته ، فإنّ علم التفسير ينطلق من قواعد في غاية الأهمية تضبط المفسر ضبطا سليمًا في تعامله مع النص القرآني وتخضعه للفهم السليم لمراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية . وتفسير القرآن وترجمته لا يتم إلا بتحصيل أدوات التفسير التي اشترطها العلماء لمقاربة النص القرآني ، ومن بين الأدوات التي يحتاجها المفسر

---

[1] – محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ، ج1 ، ص15 .

[2]– ابن العربي المالكي الإشبيلي : أحكام القرآن ، دراسة و تحليل الدكتور مصطفى ابراهيم المشني ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1991 ، ص 259 .

حسب الإمام رشيد رضا " أحدها : فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة ، غير مكتف بقول فلان و فهم فلان ، فإنّ كثيرًا من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد من ذلك " لفظ" التأويل اشتهر بمعنى التفسير مطلقا و لكنه جاء في القرآن بمعان أخرى ، كقوله تعالى : { هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ...} ".[1]

و يضيف رشيد رضا أداة أخرى من أدوات التفسير يلزم بها المفسر متمثلة في " علم البلاغة و علم أحوال البشر ".

فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله ، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه و ينظر فيه ، فربما استعمل بمعان مختلفة "[2].

و إلى المعنى ذاته يشيرالأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي بقوله :

" لقد اتفق علماء فقه اللغة على أنّه الكلمة المقروءة أو المسموعةالتي يجب أن تفسر بالمعنى المتبادرمنهاوعدم صرفها إلى أي من الاحتمالات البعيدة إلا بعد الرجوع إلى قصد المتكلم ".

---

[1] – محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار، ط1 ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1414 هـ /1993 م ، ج 1 ، ص 19 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 22 .

ويضيف السيوطي شرطا آخر من شروط التفسير و هو أسباب النزول و القصص " إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه "[1] ، إضافة إلى ذلك يشترط علم الموهبة " و هو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم "[2].

هذه بعض الشروط العلمية التي نقلتها عن العلماء و التي تعد كالآلة للمفسر الذي لا يكون مفسرا إلا بتحصيلها ، فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأي ، و إذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأي المنهى عنه ، و نوافق السيوطي فيما ذهب إليه باشتراطه علم الموهبة الذي يخص به العمل بالعلم و هذا يقودنا إلى الحديث عن الشروط النفسية :

1. " الإمتثال و العمل : حسن السيرة يجعل المفسر قدوة حسنة لما يقرره من مسائل الدين و كثيرا ما يصد الناس عن تلقى العلم من بحر زاخر في المعرفة كسوء سلوكه و عدم تطبيقه.

و إلى المعنى ذاته يشير الإمام رشيد رضا فيوجب على المفسر " أن يعلم ما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب و غيرهم، و يتساءل كيف يمكن للمفسر أن يفهم ما قبحته الآيات من عوائدهم على وجه الحقيقة أو ما يقرب منها إذا لم يكن عارفا بأحوالهم و ما كانوا عليه ؟ "[3] .

2 . عزة النفس : " فمن حق العالم الترفع عن سفاسف الأمور ".

اشتراط الجانب الخلقي في التصدي لكتاب الله يدل على الخصوصية المميزة له ولا نتصور اطلاقا علوما شرعية فارغة من الأخلاق العالية هذه الأخيرة التي إن

---

[1] – الحافظ جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ج2 , ص20 .

[2] – المصدر نفسه ، ص55 .

[3] – محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم ، ص19 .

أردنا أن نختصر مفهوم الرسالة المحمدية كلها أن نتبنى قول الرسول صلى الله عليه و سلم: ...إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[1].

وعلى ذكر الخصوصية لهذا الكتاب المعجزة ارتأينا الحديث عن حكم ترجمة النص الديني من خلال آراء العلماء المسلمين في ترجمة معاني القرآن من لغته الأصلية إلى لغات أخرى .

[1] – الحديث رواه الحاكم في المستدرك ، رقم الحديث 4221 ، و قال هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه (أي البخاري و مسلم) ووافقه الذهبي و أخرجه البهيقي في السنن الكبرى ، ج10 ، ص191.

المبحـــث الثالث : آراء العلماء في ترجمة معاني القرآن إلى اللّغات الأجنبية.

لقد ترجم القرآن الكريم إلى جل اللّغات كالفارسية و الروسية و الألمانية والإسبانية والإيطالية والإنجليزية والفرنسية ، فاهتم عدد من المستشرقين بدراسة القرآن الكريم وترجمته من لغته الأصلية إلى اللّغة الهدف إذ كثر الجدل في هذه القضية كون القرآن عربيًا بمعنى أنّه يفهم من خلال معهود العرب قوله تعالى : { وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤ }.[1]

و في هذا السياق تساءل محمد الغزالي عن الرسالة المحمدية التي "جاءت عامة للناس جميعًا و الأقوام الأخرى التي لا تعرف العربية و لابد من قراءة القرآن بالعربية ، فكيف يمكن أن نوفّق بين الآية " بلسان قومه" و عموم الرسالة ؟ وكيف يمكن أن يكون التفكير إسلاميًا و أن يكون التعبير بأي لغة غير العربية ؟و هل يمكن إدراك أبعاد الفكر الغربي و تمثّله فعلاً من غير اللّغة العربية ؟ "[2]

كما تساءل محمود العزب عن حكم ترجمة معاني القرآن و عن صعوبات ترجمة النصوص الدينية ؛ " هل يجوز شرعًا أن يترجم القرآن ؟

و إذا جاز فهل لنا أن نخرج من خلال وقائع الترجمة خلال التاريخ بصورة واضحة لمعالم الصعوبات التي يلقاها المترجم ؟ "[3]

---

[1] – سورة إبراهيم : الآية 04 .

[2] – محمد الغزالي : كيف نتعامل مع القرآن ، د ط ، دار الرجاء ، عنابة ، دت ، ص20 .

[3] – محمود العزب : إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم (اللّغة و المعنى) ، ط1، نهضة مصر للطباعة والنشر، 2006 ، ص 36 .

و للإجابة عن هذه التساؤلات نورد آراء الأئمة المسلمين و فقهائهم حول مبدأ جواز ترجمة القرآن شرعًا ، إذ منهم المانعون و منهم المجيزون :

أولاً : القائلون بالمنع :

من المانعين في المسألة السيوطي* إذ يقول :

" لا يجوز قراءة القرآن بالعجمية مطلقًا ، سواء أحسن العربية أم لا في الصّلاة أم خارجها (...) و عن القراءة بالفارسية أنها لا تتصور لأنّه لا يمكن الإتيان بجميع مراد اللّه تعالى ، لأنّ الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها و ذلك غير ممكن بخلاف التفسير .[1]

و من المؤيدين الذين تشدّدوا في عدم جواز ترجمة القرآن إلى غير لغته محمّد عبده من خلال تفسير المنار، إذ يقول :

" حدثت في الإسلام عصبة الجنسية الجاهلية التي حرّمها الإسلام و شدّد في منعها ، بعد أن ضعُف العلم و الدّين في المسلمين بضعف اللّغة العربية فيهم ، حتى قام بعض الأعاجم في هذه السنين الأخيرة يدعون قومهم إلى ترجمة القرآن بلغتهم و الاستغناء عن القرآن العربي زاعمًا أنّ الإسلام دين ليس له لغة ".[2]

---

* – الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمان ابن أبي بكر بن محمّد بن ساق الدّين أبي بكر بن عثمان بن محمّدبن خضر بن أيوب ابن محمّد الشيخ همّام الدين الخضري عثمان الشافعي السيوطي، ولد سنة849 هـــ ، ختم القرآن دون ثمان سنين ، مؤلفاته الحافلة الكثيرة المتقنة المحررة خمسمائة مؤلف .

أنظر : أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ط ج ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دت، ج 7 ، ص 51 – 52 .

[1] – الحافظ جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ص307 .

[2] – محمّد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم ، المشهور بتفسير المنار ، ص29 .

و قد فصل الزركشي*في أسباب منعه الترجمة قائلا :

" أن المنع من الترجمة مخصوص بالتلاوة ، فأما ترجمته للعمل به، فإنّ ذلك جائز للضرورة ، وينبغي أن يقتصر من ذلك على بيان المحكم منه ، والغريب المعنى بمقدار الضرورة من التوحيد و أركان العبادات ، لا يتعرض لما سوى ذلك ، ويأمر من أراد الزيادة على ذلك بتعلم اللسان العربي ، و هذا هو الذي يقتضيه الدّليل و لذلك لم يكتب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى قيصر إلاّ بآية واحدة محكمة لمعنى واحد، وهو توحيد اللّه والتبري من الإشراك، لأنّ النقل من لسان إلى لسان قد ينقص الترجمة عنه كما سبق ، فإذا كان معنى المترجم عنده واحدا ، قل وقوع التقصير فيه بخلاف المعاني إذا كثرت ، و إنما فعل الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم لضرورة التبليغ "[1].

و ما أضافه الزرقاني في المسألة متشدّدا :" أنّ محاولة هذه الترجمة تشجّع الناس على انصرافهم عن كتاب ربهم مكتفين ببدل أو أبدال يزعمونها ترجمات له و إذا امتد الزمان بهذه الترجمات فسيذهب عنها اسم الترجمة و يبقى اسم القرآن وحده علما عليها و يقولون : " هذا قرآن بالإنجليزية و ذاك قرآن بالفرنسية و هكذا ، و أننا لو

---

* – بدر الدين أبو عبد اللّه محمد بن بهادر بن عبد اللّه المصري الزركشي الشافعي :(745 هـ– 794 هـ) ، كان فقيها أصوليا أديبا فاضلا ، من تصانيفه : تكملة شرح المناهج للأسنوي ، شرح الأربعين النووية .

أنظر : أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي ، شذارت الذهب في أخبار من ذهب ، طج(طبعة جديدة) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دت، ج5 ، ص 335 .

[1]– بدر الدين بن عبد اللّه الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ص466 .

جوزنا هذه الترجمة و وصل الأمر إلى حد أن الناس استغنوا عن القرآن بترجمانه لتعرض الأصل العربي للضياع كما ضاع الأصل العبري للتوراة و الإنجيل "[1].

و لقد تبيّن لنا تخوف الزرقاني من هذه المسألة يكمن في إمكانية ظهور وبروز ترجمات كثيرة تفضي إلى ضياع الأصل العربي و إحلال محله النص المترجم إلاّ أنّ التساؤل الذي يستوقفنا لب الإشكالية و تاريخها ، فهل خلاف العلماء يكمن في نقل القرآن و إيضاح معانيه إلى اللّغات الأجنبية أم الخلاف الذي كثر الجدل حوله في الترجمة التي تقرأ في الصّلاة بدلاً من الأصل ؟

و للإجابة عن هذا التساؤل نذكر أنّ الجدل أثير مرتين :
" إحداهما تلك المرة التي ذكرها السرخسي (483 هـــ) و قراءة الفرس لهذه الترجمة في الصلاة [2] . كما أورد الزركشي " عن أبي حنيفة أنّه يجوز مطلقا سواء في الصلاة أو غيرها ". [3]
أمّا الثانية : " فهي التي في تركيا في الثلاثينات من القرن الماضي عند محاولة إحلال الترجمة التركية للقرآن محل الأصل العربي ممّا كان سببا في فتح السبيل لمجادلات علمية في العالم الإسلامي و خاصةً بين العلماء في مصر".[4]

و بقيت قضية ما إذا كانت ترجمة القرآن مباحة شرعًا أم غير مباحة ؟ إذ في

---

[1] – محمّد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، دط ، دار الفكر ، دت ، ج2 ، ص149-150 .

[2] – العاني عبد القادر داود : ترجمة القرآن ، دط ، مطبعة المعارف ، بغداد ،1969 ، ص 5 .

[3] – بدر الدين محمد بن عبد اللّه الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ص307 .

[4] – أوغلي أكمل الدين إحسان: البلوغرافيا العامة لترجمات معاني القرآن الكريم ، دط، مركز الأبحاث للتاريخ و الفنون و الثقافة الإسلامية ، إسطنبول ،1986 ، ص 13 .

" الدراسة المعنونة بترجمة القرآن يطرح الباحث محمّد إبراهيم مهنا الموضوع موضحًا أنّه قد أثير في مصر : – عندما منعت مشيخة الأزهر إدخال نسخة من ترجمة القرآن الكريم باللّغة الإنجليزية إلى مصر، و طلبت من مصلحة الجمارك إحراقها . – و عندما قررت حكومة تركيا برئاسة مصطفى كمال أتاتورك ترجمة القرآن الكريم إلى اللّغة التركية (...) إلاّ أنّ السؤال الذي يبقى مطروحًا دائمًا كما تقول الباحثة زينب عبد العزيز :

" هل الإقدام على محاولة جديدة يعد جائزًا من الناحية الدينية أم غير جائز ؟

ثانيًا : القائلون بالجواز .

و للإجابة عن هذا التساؤل نورد رأي المجيزين في هذه المسألة ، إذ ذهب الإمام النسفي (710 هـ / 1149 م) ، و الإمام الصنعاني (1059 – 1152) الذي قال بإمكان الصّلاة بغير العربية ، الإمام الشاطبي (590 – 1149 م) .

و الطرف المجيز بدرجة تصل إلى الحماسة ، بقيادة المراغي (1881 – 1945 م) شيخ الأزهر الذي كان من أبرز الذّين أجازوا الترجمة قرآنًا ، وقال بأنّ استنباط الأحكام الشرعية و القواعد الفقهية لا يكون إلاّ من القرآن العربي ولعلّه أول من دعا إلى استخدام عبارة " ترجمة معاني القرآن "و ليس ترجمة القرآن"[1].

و من أهم متابعية على ذلك (وهبة الزحيلي) الذي يرى بجواز ترجمة معاني القرآن أو تفسيره ، على أنّه ليس هو القرآن ، فلا تعدّ ترجمة القرآن قرآنًا ، مهما كانت الترجمة دقيقة ، و لا يصح الإعتماد عليها في استنباط الأحكام الشرعية لأنّ فهم المراد من

---

[1] – رقية محمد جبر و عشيرة محمّد كامل أحمد : المنتخب في تفسير القرآن الكريم باللغتين العربية و الفرنسية ، ط 1 ، 1419 هـ / 1998 م ، ص 10 .

الآيات يحتمل الخطأ ، و ترجمتها إلى لغة أخرى ليحتمل الخطأ أيضا ولا يصح الإعتماد على الترجمة مع وجود هذين الإحتمالين".[1]

" و أما ما نقل عن أبي حنيفة رحمه اللّه تعالى من جواز القراءة في الصلاة بالفارسية فلا يفهم منه أنّه يعتبر القرآن هو المعنى المجرد و إنّما هو متفق في هذا مع رأي جمهور العلماء ".[2]

فلو اعتقد السامع بجواز القراءة في الصّلاة بالفارسية لاعتقد أنّ حكم المعنى يعتريه حكم الأصل ، فيصبح النقل الحرفي لنص القرآن كالنقل الحرفي للإنجيل و التوراة عن العبرانية لغته الأصل إلى لغات أخرى .

و في هذا السياق يرى خالد عبد الرحمان العك أنّ " إطلاق تسمية الترجمة التفسيرية لمعاني القرآن لا تصور للسّامع و لا تخيّل للقارئ أنّه هو الأصل ، وهو النقل الحرفي للأصل ، كنقل الإنجيل عن العبرانية إلى السريانية والحبشية و الرومية والعربية ، و كنقل التوراة عن العبرانية إلى هذه اللّغات أيضا لأنّ ترجمة القرآن حرفيًا فوق طاقة البشر ".[3]

حاجة النّاس إلى الترجمة باعتبارها ضرورة حضارية للتواصل بين الشعوب جعل المترجمين يقدمون عليها دون الإهتمام بشرعيتها أو تحريمها رغم صعوبة و مشقة هذا العمل الذي تباينت آراء العلماء بسببه في هذه المسألة .

" و على أية حال فإنّ المترجمين في العالم مسلمين أو غير مسلمين لم يكونوا لينتظروا موافقة العالم الإسلامي أو رفضه و تجويزه أو تحريمه ، فانطلقت حركة الترجمة بل إنّ

---

[1] – وهبة الزحيلي : التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، ط1 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ،لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1411 هـ / 1991 م ، ج 1 ، ص 37 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 423 .

[3] – خالد عبد الرحمان العك : تاريخ توثيق نص القرآن الكريم ، ص184 .

الأمم الأعجمية كانت قد سبقت هذه المعارك الفقهية ، وقطعت منذ قرون شوطًا لابأس به في هذا المجال "[1].

و في هذا السياق يرى الغزالي ردًا على التساؤل الذي طرحه أنّه " ليس المهم إسلامية التعبير أو عربية التفكير ، و إنّما المهم إسلامية التفكير و ليكن التعبير بأي لغة لأنّه في إطار نشر الدعوة و إبلاغ الإسلام للناس و التكاليف الشرعية و نظريات الإسلام و مقاصد الشريعة في المحاور المتعددة أن نأخذ بالترجمة ..
و تشكل هذه ابتداءً مرحلة تعريف الشعوب بالإسلام و لكن انتهاءً لابد من تعلم اللّغة العربية لغة الأصل لوحدة الفكر و وحدة تذوق التعبير و التفكير و صيانة الأمة وإلاّ إذا سلمنا بأنّ الترجمة تغني عن المعاني فسوف تقع المشكلة "[2].

و الأرجح من هذه الأقوال و الآراء ما يراه الزحيلي من أنّ ترجمة معاني النص القرآني ليست قرآنًا مهما كانت الترجمة ناجحة إذ لا يستطيع علماء الأصول الإعتماد على النص المترجم من لغته الأصل إلى اللّغة الهدف لاستخراج الأحكام الشرعية نظرًا للخطأ المحتمل و المترتب من سوء فهم الآيات سواء من النص الأصلي أو من النص المترجم .

و صفوة القول في هذه المسألة الخلافية أن ندعو كما دعا المراغي إلى استخدام مفهوم لم يسبقه إليه أحد و المتمثل في عبارة " ترجمة معاني القرآن " و ليس ترجمة القرآن ، و استحالة أن يضيع النص العربي كما ضاع نص الإنجيل والتوراة لأنّ اللّه توعّد بحفظه حسب المعتقد الإسلامي .

---

[1] – محمود العزب : اشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم (اللغة و المعنى)، ص40 .

[2] – محمد الغزالي : كيف نتعامل مع القرآن الكريم ، ص192 .

المبحـــــث الرابع : الاستشراق وترجمة معاني القرآن الكريم .

اختلفت نظرة المفكرين للمستشرقين* بين مؤيد لهم و معارض ، إذ قرأ البعض فيهم حسن النية و الصدق في العمل مغاليا في قيمة أعمالهم ، و نافيا عنهم كل تعصب بانفرادهم بالخدمات الجليلة للثقافة و الحضارة الإسلامية و الشرقية ، " فهم الذين جمعوا التراث وحفظوه من الضياع ، و حققوا المخطوطات الإسلامية تحقيقا علميا و أبرزوا ما للحضارة الإسلامية من رقي و سمو ، كما أنهم عمدوا إلى القرآن والحديث فطبعوا كل مايتصل بهما من جيد المؤلفات ، و فهرستها و بوبوها ورتبوها ترتيبا عجز عنه عاماء المسلمين ، كالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للمستشرق "فلوجيل" و المعجم المفهرس للسنة النبوية لجماعة من المستشرقين"[1].

كما اهتم عدد منهم بدراسة القرآن وترجمة معانيه من لغته الأصلية إلى اللغة الهدف مما أدى إلى ظهور ترجمات كثيرة بلغات مختلفة كالفارسية والروسية والألمانية و الإيطالية والانجليزية و الفرنسية و سوف نقف عند أبرز المحاولات الكبرى لترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللّغات الأجنبية دون تتبع المحاولات الفرعية و الجزئية لأنّ الإشارة تفي بالغرض المقصود إليه .

---

* – الاستشراق : يؤخذ بعدة مفاهيم متداخلة و متكاملة في آن واحد ، فأحيانًا يراد به ذلك العلم الّذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة و التحليل من قبل علماء الغرب ، و أحيانًا يقصد به أسلوب للتفكير يرتكز على التمييز المعرفي و العرقي و الإديولوجي بين الشرق و الغرب . و مرة أخرى يحدد مفهومه بالناس الّذين يقومون به و نعني بهم المستشرقون ، و هم الكتاب الغربيون الّذين كتبوا عن الفكر و الحضارة الإسلامية .
أنظر : ساسي سالم الحاج : نقد الخطاب الإستشراقي ، الظاهرة الإستشراقية و أثرها في الدراسات الإسلامية ، ط1 ، دار المدار الإسلامي ، 2002 ، ج 1 ، ص 20 .

[1] – نجيب العقيقي : المستشرقون ، ج3 ، ص614 .

و انطلاقًا من هذه الترجمات العديدة يستوقفنا التساؤل عن بداية ظهورها ، فماهي أولى هذه الترجمات ، و من هو المحرّك لها ؟

ذهب الباحثون إلى أنّ أول محاولة لتعريف الغرب بمحتوى القرآن الكريم كانت في الفترة بين 1096 – 1270 م (490 هـ - 669 هـ) حيث ترجمت معاني القرآن الكريم إلى اللّغة اللاتينية عام 1143 م – 528 هـ قام بها رهبان رتينا Retina و على رأسهم روبرت أوف تشستر* الذي كان إنجليزي الأصل.[1]

ونجد من الباحثين من ذهب إلى أنّ أوائل المترجمين للقرآن الكريم هو" روبرت دوشستر Robert de chester من الإنجليز حوالي سنة 544 هـ / 1150 م ، و عاش برفقة صديقه هنري الدلماتي في إسبانيا حيث كانا يدرسان علم التنجيم ، و عندما إلتقيا بطرس الموقر* (الذي كان بدير كولوني) و كان يبشر بحملات صليبية على شكل إرساليات كما فعل بعده ريمون لول مؤسس أول مدرسة للّغات الشرقية طلب منهما ترجمة القرآن الكريم."[2]

أما البنداق فقد ذهب إلى أنّ " أول ترجمة للقرآن الكريم باللّغات الاوروبية كانت باللاتينية و قد تمت بإيعاز و إشراف رئيس دير كولوني Clugny

---

* – " روبرت أوف تشستر : إشتهر من عام (1141 – 1148 م) تلقى العلم في تشستر و نسب إليها، تثقف بالثقافة العربية و لاسيما بالعلوم الرياضية و الفلكية ، أول ترجمة للقرآن نشرها هو و زميله هرمان الدلماطي عام 1141 م ببلياندر في ثلاثة أجزاء (بال 1543 م) ثم نقلت إلى الإيطالية و الألمانية ".
أنظر : نجيب العقيقي : المستشرقون ، ط 4 ، دار المعارف ، 1980 ، ج 1 ، ص 113 .

[1]– عبد اللّه عباس الندوي : ترجمات معاني القرآن و تطور فهمه عند الغرب ، ط 1 ، دار الفتح ، 1972 ، ص27 .

* –بطرس المحترم Pierre le vénérable : (1156 – 1595) راهب و لاهوتي فرنسي ولد حوالي 1096 في أوفرن (وسط فرنسا) ، عني بأحوال المستعربين الكاثوليك ، و ظن أنه يستطيع أن يخدم المسيحية بواسطة ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية .
أنظر : عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين ، ط 1 ، دار الملايين ، 1994 ، ص 68 .

[2] – محمد الأمين بلغيث : الحياة الفكرية بالأندلس في عصره المرابطين ، أطروحة لنيل درجة دكتوراه ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية ،جامعة الجزائر،2002-2003 ، ص22.

و بجنوب فرنسا الراهب بطرس المبجّل Pierre le vénérable و كان ذلك سنة 43 للميلاد على يد راهب إنجليزي يدعى روبرت الرتيني Robert de Retine و راهب ألماني يدعى هرمان Hermann".[1]

يظهر مما تقدم أنّ اعتناء الرهبان أمثال بطرس المبجل بأحوال المستعربين الكاثوليك أي المسيحيين الذين كانوا يعيشون تحت حكم المسلمين في إسبانيا
و كانوا يتكلمون العربية اعتقادًا منه أنه يستطيع خدمة المسيحية بواسطة ترجمة معاني القرآن إلى اللاتينية ، وهذا ما يبين فكرة التبشير بالحروب الصليبية التي كانت من طرف هذا الراهب .
و في هذا السياق يقول المستشرق الفرنسي بلاشير *: " راودت بطرس المحترم على إثر رحلة قام بها إلى إسبانيا بين السنتين 1141 – 1143 م فكرة تكليف روبير دورتين بترجمة الكتاب الذي يبجله المسلمون إلى اللّغة اللاتينية ، كانت المبادرة قد إنبثقت عن ذهنية الحروب الصليبية "[2].

الظاهر أنّ الترجمة قد انطلقت في رحلتها الأولى و الثانية من الأديرة و على أيادي القسيسين ، إذ لاقت هذه الترجمة معارضة من قبل الدوائر المسيحية خوفا من أن تكون عاملاً للتعريف بالإسلام و لم تظهر إلاّ بعد مدة طويلة من الزمن ، و في هذا السياق يؤكد صاحب كتاب المستشرقون و ترجمة القرآن الكريم ما مفاده أنّ " الدوائر الدينية المسيحية جابهت هذه الترجمة بإتخاذها من مخطوطاتها موقفًا حازمًا و هو

---

[1] –محمد صالح البنداق : المستشرقون و ترجمة القرآن الكريم ، ص95 .

* –" رجيس بلاشير : ولد في 30 يونيو 1900 بباريس ، حصل على شهادة الباكالوريا في الرباط ، ثم إلتحق بالجامعة الجزائرية و حصل على الليسانس عام1922 ، و حصل دكتوراه دولة من جامعة باريس سنة 1936 ، من كتبه الرئيسية "تاريخ الأدب العربي منذ البداية حتى نهاية القرن15 ، توفي دون أن يتمه ، و ترجمة القرآن إلى الفرنسية ". أنظر : نجيب العقيقي : المستشرقون ، ج1، ص87 .

[2]– رجيس بلاشير : القرآن ، تدوينه ، ترجمته و تأثيره ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، 1974 ، ص 15 .

منعها من الظهور بعد أن اعتبرتها – هذه الدوائر–عاملاً مهما من شأنه أن يسهّل التعريف بالإسلام و انتشار هذا الدين بدلاً من أن تخدم الهدف الذي سعت إليه الكنيسة أصلاً و هو محاربة الإسلام (...) و لم تصدر إلاّ في سنة 1543 إلى أن ظهرت في مدينة بال بسويسرا على يد الطابع ثيودور ببلياندر Theodore Bibliander، و بعد أن تمّ طبعها اعتمدت هذه الترجمة لمدة طويلة أساسًا للترجمات إلى عدد من اللّغات الأوروبية ".[1] والخوف من تأثير القرآن في عقول ضعاف الإيمان بعد أول محاولة لتعريف الغرب بمحتوى القرآن حيث ترجمت معانيه إلى اللّغة اللاتينية عام 1143 (528 هـــ) التي قام بها روبرت أوف تشستر Robert of Chester " أنّ بعض الرهبان من إيطاليا و ألمانيا أحرقوها خائفين من تأثير القرآن في عقول الناشئة و ضعاف الإيمان من الرهبان".[2]

تبيّن لنا مما سبق ذكره أنّ للدراسات الإستشراقية عن محمد صلى اللّه عليه و سلم و عن الإسلام و القرآن الأثر الكبير في ظهور الترجمة الأولى لمعاني القرآن إلى اللّغات الأجنبية خصوصًا بعد ظهور كتاب " قرآن محمد" الذي نشره أريفابين Arivabene سنة 1547 م ، حيث ذهب بلاشير إلى أنّ " ظهور كتاب أريفابين في إيطاليا أحدث تغييرًا إن لم يكن في جمهور كبير ففي ذوات النفوذ من الحلقات الفكرية في روما و باريس و أماكن أخرى ، و بدأ الشرق يغري بجاذبية لا تقاوم عالمًا قد ظل بمجمله من جهة أخرى يكن له العداء ، هكذا ظهر الإستشراق على أنّ البعض من رواده كانوا من الدبلوماسيين الذين استفادوا من إقامتهم في الشرق الأدنى ليعمقوا معرفتهم بالعربية و التركية و بما تحمله هاتان اللّغتان من الثقافة كذلك يبدو أن تأثير كتاب أريفابين في ذوي الفكر بشكل خاص ترتب عنه الإقبال أكثر على ترجمة ما لدى الشرق لتعميق معرفتهم بلغة القرآن و ثقافة الشرق من خلال إقامتهم به ، إذ

---

[1] – محمد الصالح البنداق : المستشرقون و ترجمة القرآن الكريم ، ص96 .

[2] – عبد اللّه عباس الندوي : الترجمات معاني القرآن و تطور فهمه عند الغرب، ص27 .

الجانب الإجتماعي كان دعمًا للتعرف على ثقافته ممّا أدى إلى ظهور ترجمات قرآنية أخرى[1] .

إذ توالت ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللّغات الأجنبية دون تدخّل مباشر من الأديرة و الكنائس و المنصّرين ولكن بقدر من الإيحاء الذّي أملته العودة إلى الترجمات السابقة ، حيث ظهرت في لندن ترجمة جورج سال George Sale*سنة 1734 باللغة الإنجليزية حيث أثنى على القرآن الكريم لكنه نفى أن يكون وحيًا من عند اللّه ، بل أكّد أنّه من صنع محمد بن عبد اللّه–صلى اللّه عليه وسلم– حيث يقول :" أمّا أنّ محمدًا كان في الحقيقة مؤلف القرآن المخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل و إن كان المرجّح – مع ذلك– أنّ المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطّته هذه لم تكن معاونة يسيرة ، وهذا واضح في أنّ مواطِنيه لم يتركوا الإعتراض عليه بذلك "[2].

أما رأي العقيقي في ترجمة جورج سال أنّها : " اشتملت على شروح وحواشي ومقدمة مسهبة هي في الحقيقة بمثابة مقالة إضافية عن الدّين الإسلامي عامة حشاها بالإفك و اللّغو و التجريح ".[3]

اتضح أنّ جورج سال لم يأت بالجديد من خلال ترجمته للقرآن الكريم ، إذ اتَهم الرّسول صلى اللّه عليه و سلّم و شكّك في مصدرية الوحي و اعترض عليه كما

---

[1] – رجيس بلاشير : القرآن تدوينه ، ترجمته و تأثيره ، ص16 .

* – "جورج سال George sale (1091 – 1149 هـ / 1680 – 1736 م): مستشرق إنجليزي ، كان يحترف المحاماة ، تعلّم العربية و حصل على مجموعة وافرة من مخطوطاتها ، و عني بتاريخ الإسلام حتى وُصف بانّه مسلم ، له بالإنجليزية " ترجمة القرآن " ، و هو أول من حاول ترجمته إلى هذه اللّغة كاملاً . "

أنظر : خير الدين الزركلي : الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط 10 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1997 ، ج 2 ، ص145.

[2] – رجيس بلاشير : القرآن ، تدوينه ، ترجمته و تأثيره ، ص16 .

[3] – نجيب العقيقي : المستشرقون ، ص47 .

اعترض قوم محمّد صلّى اللّه عليه و سلّم من عدم التصديق بما جاء به من الوحي، وكان من الأفيد والأليق أن يكون نقده مغايرًا لنقد الذين سبقوه ، فالخوف من انتشار الإسلام و خوفًا من أن يعتنق الإسلام من يقف من الأوروبيين على حقيقة النصوص القرآنية تجرأوا على القول أنّ القرآن مأخوذ باللّفظ و المعنى من كتب اليهود .

" كما حاول المستشرق اليهودي Abraham Greager إثبات نظريته الشريرة بأنّ النبي اطلع على كتب اليهود و بلغاتها المختلفة : العبرية والآرامية* وغير ذلك ..."[1] وهذا ما جعل جورج سال يناقض نفسه عندما أثنى على القرآن ثم ينعته بأنه كتاب متناقض لأنه من وضع محمّد و ليس موحى به من اللّه تعالى للنبي –صلّى اللّه عليه و سلّم– .

ثمّ ظهرت ترجمات عدة ترجمت معانيالقرآنإلّغة الألمانية عام 1746 [2]
و ترجمة أخرى إلى اللّغة الإسبانية عام 1872–1875[3] ثمّ ظهرت ترجمة باللّغة الإيطالية عام 1543[4] و ترجمة إيطالية أخرى بارعة الشرح لبوزاني في فلورنسا عام 1955 كما وصفها أحد الباحثين في هذا الفن .[5]

---

* – الآرامية : و فرعاها السريانية و الكلدانية ، فالآرامية هي لغة بابل القديمة الياقية على آثارها مكتوبة نقشًا على بقايل بابل . فكأنّ اللّغة البابلية القديمة دعيت في أول أمرها آرامية ثمّ تغيرت قليلاً فدعيت كلدانية ثمّ وقع فيها تغيير آخر فدعيت سريانية و حصل في هذه بعض التنوع في حركاتها فحسبت لغتين سريانية عربية و سريانية شرقية .أنظر : رفيق العجم : موسوعة مصطلحات الفكر العربي والإسلامي الحديث ، ط1 ، مكتبة لبنان ، لبنان ، 2002 ، ج 2 ، ص 55 – 56 .

[1] – محمد الصالح البنداق : المستشرقون و ترجمة القرآن ، ص108 .

[2]– Theodor Arnold : Der Koran , Lengo , 1746 .

[3] - Vicente Ortiz de la Puelba : El Coran , Barcelone , 1872.

[4] – Andrea Arrivabene : l'Alcoramo di Macomito , Bale , 1543.

[5] – محمد الصالح البنداق : المستشرقون و ترجمة القرآن الكريم ، ص139 .

و قد أجمع المعنيون بتراجم القرآن أنّه " لم يترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية أحسن من ترجمة بيكتهال [1] من خاصية جمال الأسلوب و فصاحة اللّغة ، و من ناحية الإحتفاظ بالعقائد التي يلتزم بها الجمهور من أهل السّنة و السلفيين ".[2]

و لقد لقي هذا الإجماع رد فعل من طرف أحد الباحثين قائلاً : " و إذا كانت كذلك – و قد تمت بمساعدة علماء الأزهر و الهند – فلماذا لم تنتشر بين المسلمين كما ينبغي ؟ و هذا الذّي قاله الندوي ، غير مسلّم لدى الكثيرين لأنّ على هذه الترجمة عدة مآخذ حدت ببعض الجهات الرسمية في مصر أن تصادرها و تتصدى لمنع توزيعها ، و لابد من بذل جهد منظم أكبر لترجمة معاني القرآن إلى لغات العالم في الغرب و الشرق ".[3] إضافة إلى ترجمة يوسف علي ، رابطة العالم الإسلامي في الثلاثينات و هي من أهم الترجمات بشهادة الدكتور سعيد شيبان .[4]

" كما نشرت ترجمات تحت أسماء مستعارة أو بأحرف فقط ، كما حدث عام 1931 ، فالطبعة الأولى صدرت بقلم O.B.B.J بملاجا بإسبانيا ، و الطبعة الثانية عام 1931 بمدريد بقلم J.B.B ، و الطبعة الثالثة و الرابعة بمدريد دون تاريخ بقلمJ.B.B.O و كذا الطبعة الخامسة لكنها دون تاريخ لكن فهرس مكتبة مدريد يرجعها إلى عام 1945 "[5] ثمّ تطورت الترجمات بشكل بارز من اللّغات السابقة إلى اللّغة الفرنسية .

---

[1] - Pickethall , ed , par M.A.H , El IASI , Chicago , 1978.

[2]– عبد اللّه عباس الندوي : ترجمات معاني القرآن و تطور فهمه عند الغرب ، ص76 .

[3] – يوسف القرضاوي : كيف نتعامل مع القرآن ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 2001 ، ص 507 .

[4] - Holy Qur'an القرآن الحكيم Text Translated and commentary by Abdullah Yusuf Ali , 1946.

* – تم اللقاء بالدكتور سعيد شيبان في شهر ماي2009 .

[5]– محمد الصالح البنداق ، المستشرقون و ترجمة القرآن ، ص171 .

لقد اهتم الفرنسيون بدراسة القرآن الكريم و تضاعفت جهودهم في ترجمة معانيه من لغته الأصلية إلى لغتهم الأم ، و قد حذوا حذو من سبقوهم إلى ذلك ونهجوا سبلهم ، فأول التراجم الفرنسية ظهورًا" ترجمة أندري دورييه Andre deRYER[1] بعنوان قرآن محمد alcoran de Mohamet، و سرعان ما راجت و استقبلت في ذلك الوقت بترحاب شديد من طرف جمهور المثقفين الذين كان إهتمامهم موجهًا إلى العالم الإسلامي ، و خلال خمس سنوات أعيد طبعها خمس مرات ، فكانت هذه الترجمة محل التقليد و التزوير ، و كذلك مرجعًا للّغات الأخرى كالإنجليزية و الألمانية و غيرها مدة تزيد عن نصف قرن ، و قد تميزت هذه الترجمة عمّا سبقتها من الترجمات إلى اللّغات الأخرى أنّها لم تكن تهدف إلى مهاجمة الإسلام و إدانته بل قدمته للقراء ككتاب يتم من خلاله إخبار القارئ بكل نزاهة حول ما يجب معرفته عن الإسلام "[2]. و أعتقد أنّ هذه من المزايا الحسنة لبعض المستشرقين .

ثم ظهرت ترجمة فرنسية أخرى عام 1783 غير أمينة لكثرة الأخطاء الموجودة فيها لأنّ مترجمها يجهل اللّغة الفصحى و يتقن الدارجة ، و لاتزال هذه الترجمة تطبع إلى يومنا هذا من طرف دار النشر جارنيي Garnier [3]

و توالت الترجمات باللّغة الفرنسية إذ صدرت ترجمة لمعاني القرآن الكريم عام 1970 بقلم كازمرسكي مصحوبة بمقدمة من طرف الباحث محمّد أركون و كان صاحبها ملحقا بسفارة المجر بطهران ، فطلب منه ناشرون مراجعة ترجمة سافاري ، ففضل إعادة ترجمتها و لم يكن همّه تتبع القرآن بدقة لمعرفة ما جاء به ، فجاءت هذه

---

[1] –Sieur deRyer : l'Alcoran de Mohamet , Paris , 1647.

[2] – Claude Etienne Savary : Le KORAN , Paris , 1783 .

[3] – باية بولحية / بلمان : قراءة تحليلية نقدية لترجمة شوراكي للقرآن الكريم ، أطروحة لنيل درجة دكتوراه دولة في اللغة و الأدب العربي، جامعة الجزائر ،2007-2008، ص27 .

الترجمة ككل الترجمات التي نشرت بالقرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين تعوزها بعض الأمانة العلمية و فهم البلاغة العربية ".[1]

ومن بين الأخطاء الموجودة في هذه الترجمة دون تصحيح من محمّد أركون قوله تعالى:

{ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ }"[2].

إذ وردت ترجمة هذه الآيات على النحو الآتي :

« Nous rachetâmes Issaac pour une hostie généreuse . »[3]

ذهب كازيمرسكي إلى أنّ المقصود بالإبتلاء بذبح إسحاق و ليس إسماعيل عليه السلام إذ ورد في ترجمته إسحاق Isaac .

إلاّ أنّ " القرآن صريح في أنّ اللّه لمّا بشّر إبراهيم بإسحاق قرن تلك البشارة بأنّه يولد لإسحاق يعقوب لقوله تعالى:**{ فَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاق وَ مِن وَرَاءِ إِسحَاق يَعقُوب}**.

وذلك بمحضر إبراهيم ، فلو إبتلاه اللّه بذبح إسحاق لكان الإبتلاء صوريًا لأنّه واثق بأنّ إسحاق يعيش حتى يولد له يعقوب لأنّ اللّه لا يخلف الميعاد ، و لمّا بشّره بإسماعيل لم يعده بأنّه سيولد له و ما ذلك إلاّ توطئة لإبتلائه بذبحه ، فقد كان إبراهيم يدعو لحياة إبنه اسماعيل ، فقد جاء في سفر التكوين الإصحاح السابع عشر : " وقال

---

[1] – حسين علي الصغير : المستشرقون و الدراسات القرآنية ، دط، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، لبنان ، 1999 ، ص 28 .

[2] – سورة الصافات : الآية 107 ، 108 و 109 .

[3] - Le coran traduit de l’arabe par Kazimirsky , Paris , 1970 , p 438

Casimir Andriem Barbier de Meynard كازيمرسكي:كازيمير أدريان باربييه دي منار (1241 – 1326 هـ / 1826 – 1908) مستشرق فرنسي كان يحسن العربية والفارسية والتركية ، درّس العربية في "كوليج دو فرانس " ترجم إلى الفرنسية "مروج الذهب " للمسعودي ، له بالعربية رسالة في الأخلاق و الفلسفة .

أنظر : خير الدين الزركلي : الأعلام ، ج5 ، ص 214 .

إبراهيم للّه ليت إسماعيل يعيش أمامك ، فقال اللّه : بل سارة تلد لك إبنًا و تدعو اسمه إسحاق وأقيم عهدي معه عهدًا أبديًا لنسله من بعده ". و يظهر أنّ هذا وقع بعد الإبتلاء بذبحه (...) و دليل آخر: أنّه لو كان المراد بالغلام الحليم إسحاق لكان قوله تعالى بعد هذا " و بشّرناه بإسحاق نبيئا من الصالحين ".[1]

و تأثر القراء بمعاني القرآن الكريم المترجم باللّغة الإنجليزية امتد إلى قراء ترجمة المعاني باللّغة الفرنسية " عندما تبنى المستشرق البولوني ألبر كازيميرسكي KAZIMIRSKI نقل ترجمة المعاني من اللّغة الإنجليزية إلى اللّغة الفرنسية بالأسلوب الذي ترجمها به جورج سيل إذ تعوزه الأمانة العلمية"[2].

و من بين المترجمين لمعاني القرآن أيضًا إلى اللّغة الفرنسية أستاذ اللّغة العربية بجامعة جنيف و رئيسها الفخري و ذلك عام 1929 [3] ذيلها بفهرس مفصل لمواد القرآن وبمقدمة عبّر فيها عن حصوصية لغة القرآن التي تعجز بقية اللّغات عن التعبير التام لها بقوله : " و أي حكم يطلق على المسائل الكثيرة التي قدمناها عن السور ... فإنّ الذين يقرأون القرآن باللّغة العربية و يفهمونه متفقون على تنظيم جمال هذا الكتاب الديني وفي تعظيم كمال أسلوبه في غاية الكمال الذي يعجز المرء عن التعبير عنه بأي لغة من اللّغات الأوروبية و أعيد طباعتها سنة 1949 بباريس ثمّ روجعت بمقدمة من طرف الأستاذ مالك شبال عندما أعادت طباعتها دار النشر بايوت Payot بباريس عام 1998 ".[4]

و ازدادت الترجمات في الظهور إذ ظهرت ترجمة أوكتاف بسل O.Pesle وأحمد التيجاني Ahmed Tidjani عام 1936 و هذا ما بينه حميدو اللّه في ترجمته[5] .

---

[1]– محمّد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير و التنوير ، دار سحنون للنشر و التوزيع ، تونس ،مج 11 ، ج 23 ، ص159.

[2] – نجيب العقيقي : المستشرقون ، ص112.

[3] – صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ، ط17، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ص177 .

[4] – Régis Blachére : Introduction au coran , 2eme éd , Paris ,1991 , p 254.

[5] – HAMIDULLAH : Le saint coran , p224 .

كما ترجم رجيس بلاشير[1]معاني القرآن عام 1949 و أعيد طبعها عام 1950 ، هذه الترجمة التي علق عليها صبحي الصالح في كتابه علوم القرآن :

" و تظل ترجمة بلاشير للقرآن في نظرنا أدق الترجمات ، للروح العلمية الذي يسودها ، لا يحط من قيمتها إلاّ الترتيب الزمني للسور القرآنية ".

" كما يعترف بلاشير بأنّها لا تخلو من تعسّف في إطلاق الأحكام " كما يعترف المترجم نفسه في كتابه " مدخل إلى القرآن " بأنّ هذه الترجمة لا تخلو من تعسّف في إطلاق الأحكام "[2].

ثمّ ظهرت ترجمة الدكتورة دونيس ماسونDenise Masson [3] مصحوبة بمقدمة بقلم J.Gros Jean ثم ترجمة Gros Jean مصحوبة بمقدمة بقلم جاك بيرك 1972-1979 .

هذه نبذة عن الترجمات التي قام بها المستشرقون و أكثرها من صنعهم مع تفاوت مستوياتهم و تباين نواياهم ، أمّا الترجمات التي ظهرت بعد جاك بيرك فالترجمة الموسومة بـــ :

المنتخب في تفسير القرآن الكريم باللّغتين العربية و الفرنسية بمراجعة أحمد سعد الدّين الباسطي عميد كلية الدراسات العربية و الإسلامية بجامعة الأزهر .[4]

---

[1] – صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ، ص177 .

[2] – Régis Blachére : Introduction au coran , p 254 .

[3] – D. Masson : Essai d’interprétation du coran Inimitable , revue par Sobhi El Saleh , éd Gallinard , Dar El Kitab Allubnani , 1967.

[4] – رقية محمد جبر و عشيرة محمّد كامل أحمد : المنتخب في تفسير القرآن الكريم باللّغتين العربية و الفرنسية ، ص 11.

و ترجمة أخرى بعنوان : القرآن الكريم ، النص العربي و نطقه بالحرف اللاّتيني و ترجمة معانيه إلى الفرنسية .[1] كما ظهرت ترجمة فرنسية جديدة بعنوان القرآن الكريم عام 2001 [2] ، وترجمة فرنسية أخرى الموسومة بـــ :
القرآن الكريم و ترجمة معانيه إلى اللّغة الفرنسية ، إذ عقبت صاحبتها على ترجمة جاك بيرك مبينة جهله باللّغة العربية ، و عدم فهمه للنص القرآني ، و عدم الأمانة العلمية مؤكّدًا على أنّ القرآن من صنع البشر ".[3]

وترجمة الشيخ بوريما عبده داود خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ورئيس مكتب الترجمات الإسلامية بالنيجر[4]. و ترجمة معاني القرآن لمحمّد المختار والدابّاه[5] وترجمة معاني القرآن الكريم بالأمازيغية عام 2003[6].
و تفسير معاني القرآن مقتبس من تفسير الطبري و القرطبي و ابن كثير وصحيح البخاري [7]و ترجمة للقرآن عام 2005 بعنوان Quran[8].

و بالرجوع إلى تاريخ الترجمات الفرنسية للقرآن الكريم يتضح لنا أنّها مرت بثلاث مراحل رئيسية هي :

1. مرحلة الترجمة اللاتينية إلى اللّغة الفرنسية .
2. مرحلة الترجمة من اللّغة العربية مباشرة إلى اللّغة الفرنسية .

---

[1] – محمد كامل صاهر : القرآن الكريم و ترجمة معانيه إلى الفرنسية ، ط2 ، البيروني، 2000 .
[2] – محمد الشياظيمي : القرآن الكريم في ترجمة فرنسية جديدة لمعاني آياته ، ط2 ، 2001 .
[3] – زينب عبد العزيز : القرآن الكريم و ترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية ، ط1 ، ليبيا ، طرابلس ، 2001، ص ب.
[4] – بوريما عبده داود : تفسير معاني القرآن ، ط1 ، النيجر ، 2000 .
[5] – محمّد المختار ولدابّاه : ترجمة معاني القرآن ، 1406 هـــ / 2003 م .
[6]– إسماعيل بودشيش :Essai de lecture ، دط ، دار البوراك ، 1423 هـــ / 2002 م .
[7] – Ismail ibn Kathir , l’exégése du coran , HARKAT ABDOU , 2004.
[8]– محمد محمود شالي : الكرآن ، د ط ، دارالنشر للجامعات ، دار ابن الحزم ،2005 .

و هذا ما نهجه الكثير من المستشرقين في القرن العشرين أمثال بلاشير وبيرك.

3 . مرحلة دخول المسلمين ميدان الترجمة إلى اللّغة الفرنسية مثل ترجمة حميد اللّه وترجمة صبحي الصالح والترجمات كثيرة لا يمكن حصرها ولا تسعها المساحة المخصّصة لبحثنا هذا ؛ نختمها بالترجمة الموسومة بـــ " قراءة و فهم القرآن و الحديث عام 2008 Lire et comprendre le coran[1] .

نلاحظ أنّ الترجمات التي ظهرت بعد جاك بيرك كانت أغلبها لمترجمين مسلمين ظهرت ترجماتهم إلى جانب ترجمات المستشرقين التي أسلفنا ذكرها ، و لقد إقتصرنا على الترجمات التي استطعنا الوقوف عليها ، و الترجمات كثيرة لا يمكن حصرها و لا تسعها المساحة المخصّصة لبحثنا المتواضع .

و بعد عرضنا لهذه الترجمات يجدر بنا أن نذكر نموذجًا من نماذج لعيوب بعض الترجمات ، قوله تعالى :

{ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلٗا ٢٢ }.[2]

فقد ترجمها سافاري Savary :

« N’épousez pas les femmes qui ont été les épouses de vos pères , c’est un crime ! c’est le chemin de la perdition , mais si le mal est fait , garder –les . »

أي لا تتزوجوا النّساء اللاّتي كنّ زوجات لآبائكم ، تلك جريمة ، إنّه طريق الضياع ، و لكن إذا كان الشر قد حدث فاحتَفِـــظوا بهنّ .

و يقول بشأن " **إِلاَّ مَا قَد سَلَفَ** " :

---

[1] – بوعلام بن حمودة : قراءة و فهم القرآن و الحديث ، ط1 ، دار الأمة ، 2008 .

[2] – سورة النساء : الآية 22 .

« Si le crime est commis , le seigneur est indulgent et miséricordieux . »

أي إذا كانت الجريمة قد ارتكبت فالمولى متسامح كريم .

و ترجم كازيميرسكي Kazimirski " **إِلاَّ مَا قَد سَلَفَ** ، هكذا ومع ذلك فاستبقوا ما تمّ من قبل ، و إذا كان الأمر قد تمّ فاللّه سيكون متسامحًا رحيمًا .

و ترجم بلاشير Blachére " **إِلاَّ مَا قَد سَلَفَ** " هكذا ما عدا المتزوجات في الماضي .[1]

و الملاحظ أنّ ترجمة بلاشير لهذه الآية كان صحيحًا كما ذهب إلى ذلك البنداق إذ وردت ترجمته لهذه الآية على النحو الآتي :

« N'épousez point celles des femmes qu'ont épousées vos pères . Sauf celles épousées dans le passé , c'est la turpitudes abominable et combien détestable chemin ![2] »

إلاّ أنّ البنداق في نقله لترجمة كازيميرسكي اتضح أنّه لم يكن دقيقًا لأنّ المترجم وفّق في ترجمته إذ وردت على النحو الآتي :

« N'épousez pas les femmes qui ont été les épouses de vos pères ; c'est une turpitude , c'est une abomination est un mauvais usage : toutefois laissez subsister ce qui est déjà accompli »[3]

أمّا التفسير الإسلامي لهذه الآية " **إِلاَّ مَا قَد سَلَفَ** " مفاده أنّه بعد ما مضى منه ممّا كان لا ينبغي لعاقل أن يفارقه ، و ليس قوله عزّ و جل : " إلاّ ما قد سلف "

---

[1] – محمد الصالح البنداق : المستشرقون و ترجمة القرآن ، ص118 .

[2] –Régis Blachère : le coran , 2éme ed , Paris , 1991 , p 930 .

[3] – Kazimirski : le coran , Garnier , Flamarion , Paris , 1970 , p 90 .

تقريرًا لما كانوا عليه في الجاهلية من نكاح ما نكح الآباء و أنّه معفو عنه ، فإنّ سياق القرآن العظيم و ما وصف به هذا النكاح بعد قوله " إلاّ ما قد سلف " من قوله : " إنّه كان فاحشة و مقتًا و ساء سبيلا ". [1]

لم يُقر القرآن أهل الضلال على ما كانوا عليه في الجاهلية من نكاح فاسد لأنّه من أقبح الفواحش المستقيمة عند أهل العقول .

نلاحظ مما تقدم النظرة التفاؤلية للفريق المادح لهذه الفئة من الباحثين في مثل هذه الدراسات و تقابلها النظرة التشاؤمية عند فريق آخر الذي لايرى أي فائدة ترجى من أعمالهم مهما اتصفت بالموضوعية و مرجع هذه النظرة لديه " أن هؤلاء الناس كانت لديهم دوافع دينية واقتصادية واستعمارية و سياسية و بذلك فهم عملاء للإستعمار وأعداء العروبة و الإسلام ".

و في هذا السياق يقول العقيقي " إننا لانستطيع أن نجحد جهود المستشرقين ، و لا يمكن أن ننكر تماما فضلهم و لا يجوز لنا أيضا أن نستغني على وجه الإطلاق عن دراسات المستشرقين في أبحاثهم ، بل من واجبنا الإطلاع على وجهات النظر الغربية في موضوعات تاريخنا العربي و الإسلامي و أن القارئ المثقف و المطلع الفطن ، أو الباحث المتخصص يستطيع أن يقيم أبحاث المستشرقين تقييما صادقا يمكنه أن يميز بين الغث و السمين ،و بين وجوه الإنصاف و الإجحاف "[2].

نشاطر العقيقي فيما ذهب إليه من رأي في هذه المسألة ذلك لأنه من الخطأ الفادح تعميم ذلك تماما على جميع أفراد المستشرقين في جميع بلاد الغرب حيث إن كثيرا منهم عرفوا بالنزاهة العلمية ، و ناهضوا و ما يزالون يناهضون الأساليب الإستعمارية التقليدية و الحديثة لبلادهم ، و من هؤلاء جاك بيرك الذي " سجن لدفاعه عن قضية

---

[1] – عبد القادر بن شيبة الحمد : تهذيب التفسير و تجديد التأويل ممّا ألحق به من الأباطيل و رديء الأقاويل ، ط 1 ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، الرياض ،1414 هـ - 1993 م ، ج 3 ، ص 227 .

[2] – نجيب العقيقي : المستشرقون ، ج3 ، ص 614-615 .

الشعب الجزائري و موقفه من قضية الشعب الفلسطيني "[1] . فالأستاذ جاك بيرك من زياراته الكثيرة لأرجاء من الوطن العربي و مناقشته لمفكريه و مثقفيه في مختلف القضايا و المواضيع بالإضافة إلى قلمه الحر الذي دافع به عن وجهات نظر العرب في الكثير من مشاكلهم المعاصرة مع الاستعمار و الصهيونية و الاستغلال الأجنبي ؛ جعلنا نتبنى رأي العقيقي فيما ذهب إليه من إنصافه لبعض المستشرقين متجنبا فكرة تعميم الحكم عليهم مميزا بين الغث و السمين على حد تعبيره .

[1] – جاك بيرك: العرب تاريخ و مستقبل ، ص3 .

الفصل الثاني

فكر جاك بيرك وأثره في ترجمة معاني القرآن الكريم

- ✓ **المبحث الأول**: الجانب الثقافي و الفكري لجاك بيرك.
- ✓ **المبحث الثاني** : مؤلفات جاك بيرك.
- ✓ **المبحث الثالث**: إعجاب جاك بيرك بأعلام الفكر والثقافة.
- ✓ **المبحث الرابع** : آراء جاك بيرك في الإسلام.

تمهـــــــيد :

لقد اكتسبت دراسة الاستشراق أهمية كبرى عند المسلمين وذلك من أجل فهم الظاهرة الاستشراقية من ناحية ، و مواجهة تأثيرها السلبي في الفكر الإسلامي بما تثيره من شكوك في الدّين الإسلامي ، و ما تسببه من تشويه لهذا الدّين القويم لدى القارئ الغربي فضلا عن تأثيرها في بعض المفكّرين المسلمين .

يتناول هذا الفصل دراسة فكر أحد كبار المستشرقين الذي يعدّ من بقية الجيل الأخير الذين لا يحدّهم اختصاص معين في دراسة الاسلام و انتقاده لبعض المظاهر الاسلامية ، إذ امتاز بعدّة ألقاب فهو جاك بيرك الفيلسوف ، وعالم الإجتماع والسياسي والناقد وباحث في الإسلام ، و المترجم و ذلك للمواضيع العديدة التي كتب فيها . هذا بالإضافة إلى ما يتميز به بيرك نفسه من أسلوب فلسفي غامض وغزارة في الإنتاج. وهذا ما سنتناوله في المبحثين الأول والثاني من هذا الفصل ، وهما :

الجانب الثقافي و الفكري لجاك بيرك في المبحث الأول ، و مؤلفاته في المبحث الثاني .

و لما كان لجاك بيرك علاقات مع بعض أعلام الفكر و الثقافة العرب خصصنا المبحث الثالث للتفصيل في هذه العلاقات . و قد تم التطرق في المبحث الرابع إلى آراء جاك بيرك في الإسلام .

و سوف نتناول هذه الدراسة لا بالثناء المطلق و لا بالتحامل المطلق و لكننا سوف نخضعها لمعايير البحث العلمي .

المبحث الأول : الجانب الثقافي و الفكري لجاك بيرك .

إذا كان جاك بيرك معروفًا جدًّا في العالم العربي ، فإنّ فكره لم يحظ بما يستحقه من التحليل و النقد ، و من هنا تستمد هذه الدراسة أهميتها باعتبارها من الدراسات الجدّ قليلة التي تهدف إلى التعريف بأبحاث جاك بيرك لأنّ تناول فكره دون دراسته في إطاره الزماني و المكاني قد يؤدي إلى إطرائه كمفكر أو إلى ظلمه و هذا يفقد الباحث الإلتزام بالموضوعية ، فتفاعل جاك بيرك مع عصره من المسائل البديهية .

يعدّ جاك بيرك من بين الدّارسين الغربيين للحضارة العربية الإسلامية حيث خاض في حوار العرب مع ذواتهم و ذلك من خلال الدراسة الأنثروبولوجية*والمعايشة اليومية للمجتمع العربي لفترة طويلة ، لقد عرف العرب من الخارج قبل أن يعرفهم من الدّاخل ، أي عرفهم بالملاحظة قبل الحدس ، و هذا ما جعله مرجعًا أساسيًا لمعرفة العرب حتى بالنسبة للعرب أنفسهم ذلك أنّ معرفة الرجل الدقيقة للمجتمعات العربية تكونت من خلال أسفاره الكثيرة و المتعدّدة لعدد من الدّول العربية الإسلامية إذ جاب العديد منها مركزًا حديثه على لبنان و العراق إذ يقول : " أعرف هذه البلدان أكثر من غيرها معرفة من زارها و تردّد إليها أحبها و لأنّها تبعث في نفسي خلف كل اسم ذكرى تلك المشارف من حياتي التي لا غنى عنها (...) فقد شئت ألاّ أستند إلاّ على التسجيل الشخصي أي على ما هو مباشر و مجرّب ، ففي سعي وراء

الموضوعية كان حتمًا عليّ ألاّ ألحظ إلاّ النسبة بين الشخصين :

---

* – الأنثروبولوجيا : كلمة تعني علم دراسة الإنسان ، و يرتبط هذا المعنى بالاستشقاق اللغوي لكلمة أثروبولوجيا من الأصل اليوناني الإغريقي ، حيث تتألف الكلمة من مقطعين : الأول (أنثروبوس Anthropos) أي الإنسان ، و الثاني(لوجوس logos) أي الكلمة أو الموضوع و الدراسة .
أنظر : معجم العلوم الإجتماعية ، إعداد لجنة من الأساتذة المصريين و العرب المتخصصين ، تصدير و مراجعة الدكتورابراهيم مدكور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ،1975 ، ص 71 .

الغرب الذي اختبره تاريخ العرب المعاصر أو الصِدام الفرنسي الإنجليزي و التنافس بين الكتل الكبرى عند نهايته .إنّه الغرب حامل الماكينات و لغة التخاطب و أعمال اللصوصية و الوعي ، إنّه ذلك الذي يبني و يهدّم ، و الذي يشدّ الناس بجاذبيته ويحملهم على كرهه في آن واحد "[1].

لقد كان جاك بيرك من كبار متفائلي القرن العشرين رغم مظاهر البشاعة التي عرفها هذا القرن من حروب عالمية و كوارث بيئية نتيجة لهيمنة الإحتلال الغربي ونظامه على المجتمعات العربية ممّا أدّى إلى تناقضات انعكست على مختلف جوانب الحياة السياسية والإجتماعية والفكرية وهو ما أثّر على الهوية الإسلامية بسبب إزدواجية إسلامي ، غربي . ممّا يطرح عند جاك بيرك إشكالية تأقلم المسلم مع ماهو جديد .

لقد تميّز جاك بيرك بكونه رجل الأضداد إذ كان شديد التمسّك بانتمائه لبلده فرنسا و للمستعمرة الجزائرية و كاثوليكيته و التخصص في التراث العربي الإسلامي وغيورًا على جزائريته ثقافةً و وطنًا .

و في هذا السياق يعترف الباحث الدكتور بوعمران بفضل جاك بيرك على العالم الإسلامي " فقد وقف مع الشعب الجزائري أيام محنته ، فكان من أنصار استقلال الجزائر و أيّديها بالقلم و الكلمة و أيّد حق الشعب الفلسطيني و الشعوب المظلومة في تقرير مصيرها و أراد لها الخير و نصحها كما ينصح الصّديق أصدقاءه دون أن يفرض عليهم رأيه "[2].

---

[1] – جاك بيرك : العرب من الأمس إلى الغد ، نقله عن الفرنسية علي سعد ،دط ،دار الكتاب اللبناني، بيروت ، لبنان ، دت ، ص 80 .

[2] – أبو عمران الشيخ : جاك بيرك و مقاله الأخير أي إسلام ؟ ، مجلة الدراسات الإسلامية ،العدد7 ، الجزائر ، 1426 هـ / 2005 م ، ص 122 .

كان جاك بيرك يستمع بإمعان للمجتمعات المغاربية و يتابع على وجه الخصوص التحولات التي تعرفها الجزائر مسقط رأسه و موطنه الأول و قد تطرق من خلال أبحاثه المتعددة لمختلف الموضوعات التي تخص هذه المجتمعات كما قدم حولها تحاليل عميقة و ملائمة لا يمكن تجاوزها أو إهمالها .

كما تنبه بيرك من خلال أبحاثه إلى أنّ الموضوعية تقتضي دراسة المجتمع المغربي من خلال مكوناته هو ، موظفا الجانب الأنثروبولوجي كما أسلفنا الذّكر لأنّ " علماء الأنثروبولوجيا أبرياء ، فهم يفتخرون بدراستهم في مجتمعات محلية لم يزرها أحد قط ويميلون إلى جمع مادتهم العلمية من" الميدان" و ليس من المكتبة ، وهذا من إيجابيات عالم الإجتماع "[1].

و يمكننا أن نلمس انشغاله هذا بجلاء من خلال إهتمامه بدراسة زوايا الجزائر وزاوية الهامل بالخصوص التي قال عنها :

" إنّ تاريخ زاوية الهامل يهم المغرب بأسره من حيث المجهود الذي بذلته بكل عزم في زمن الاستعمار ، و ذلك باستنهاض القيم الروحية و الإجتماعية التي تقوم مقام ملجأ للنّاس "[2].

و نلمس موقفه هذا من خلال الرسالة* التي أرسلها إلى مؤسس زاوية الهامل*

" الشيخ محمد بن أبي القاسم عام (1315 هـــ / 1898 م) في اليوم السابع عشر من سبتمبر 1965 م من باريس كوليج دو فرانس " طالبًا منه تكليف أحد أصحاب المكتبات في الجزائر بجمع المؤلفات من الترجمات المطبوعة

---

[1] – أبو بكر أحمد باقادر: أنثروبولوجيا الإسلام ،دط ،مركزدراسات فلسفة الدّين، دار الهادي،2005 ، ص 90 .

[2] – منير القاسمي : زاوية الهامل ، التاريخ المصوّر ، د ط ، دار الخليل ، دت ، ص18 .

* – أنظر الملحق رقم 1 .

* – تقع زاوية الهامل بجبال أولاد نايل إلى الجنوب من مدينة بوسعادة ، و لقد أسّسها الشيخ محمد بن أبي القاسم بن ربيع بن محمد بن سائب بن منصور بن عبد الرّحيم بن أيوب ، أحد أجداد شرفة الهامل أنظر : عبد العزيز شهبي : الزوايا الصوفية و الغرابة و الإحتلال الفرنسي في الجزائر ، د ط ، دار الغرب للنشر و التوزيع ،الجزائر ، دت ، ص 52 .

و المخطوطة لكي تستطيع مكتبة معهده الفرنسي شراءها بكل اعتزاز ، خصوصا مؤلفات في الفقه و التفسير أو الشعر ، تسمح لقارئها بأن تكون له فكرة عميقة عن الموضوع ، فعندئذ يستطيع هو شخصيًا أن يكرّس دراسة خاصة بالزاوية أو تكليف أحد طلابها لا تخاذها موضوعًا لبحوثه الأكاديمية تحت إرشاده .

نلاحظ مما سبق ذكره اهتمام جاك بيرك بنوع الفكر الذي تساهم في نشره الزوايا ودورها في النهضة العلمية و الفكرية و الأدبية و الثقافية للمجتمع الإسلامي من أجل إثراء الفكر العالمي الإسلامي .

و هنا تتجلّى لنا أهمية هذه الزاوية و دورها التعليمي ، إذ أصبحت كما يقول أحد الباحثين " مركز إشعاع علمي و ديني و معلما نيّرًا في المنطقة ارتاده في الفترة الممتدة من 1883 إلى 1885 م ما بين 200 إلى 300 طالب سنويًا ، كان يدرسهم مشايخ مجازون و مهرة ، بلغ عددهم خلال نفس الفترة إثنا عشر مدرسا في مختلف العلوم و المعارف .

لقد قامت زاوية الهامل بأعمال البر و الجهاد الوطني في الميدان الثقافي والديني فأفادت فائدة كبرى ، ونشرت العلم و الدين ، وصارت من الأوتاد العربية والإسلامية فلم يستطع الإستعمار القضاء عليها ، ونبغ فيها علماء صالحون كانوا حماة الدين وجندًا مخلصين لنهضة الجزائر الحديثة وبذلك كانت زاوية الهامل إشعاعا للفكر الديني الإسلامي ، ورمزًا من رموز الثقافة المتأصّلة ونموذجًا للزوايا الصالحة التي خدمت اللّغة العربية والثقافة الإسلامية طيلة العهد الإستعماري و بعده "[1].

إنّ الإهتمام بالبعد الروحي و تعزيزه من قبل هذا المفكر أدى به إلى التغلغل في البنية الداخلية للمجتمعات العربية و الإسلامية ومحاولة التعرف على أدق تفاصيل حياتها من أعماقها غير مكتفٍ بالجانب الخارجي لها فقط ، وفي هذا السياق يقول :

---

[1] – عبد العزيز الشهبي :الزوايا و الصوفية والغرابة و الإحتلال الفرنسي في الجزائر،دط، دار الغرب للنشر والتوزيع ، دت ، ص 84 – 85 .

" من الطبيعي الإنتقال من الخارج إلى الداخل ورؤية المجتمعات من داخلها هذه الأخيرة التي درستها طوال حياتي من خلال تصرفاتهم وبنياتهم الإجتماعية".[1]

يشكّل الإنسان من خلال تفاعله مع البيئة و مع أخيه الإنسان تراثًا حضاريًا يشمل كل الجوانب المادية و الفكرية و الروحية ، و القيم الإجتماعية التي تحدّد نظرة الإنسان إلى نفسه و إلى العالم الخارجي ، و في هذا السياق يقول مازن بن صالح مطبقاني :

" لقد تميّز الإستشراق بالإفادة من العلوم الإجتماعية المختلفة كعلم الإجتماع والعلوم السياسية ، و علم الإنسان " الأنثروبولوجيا " و غيرها واستخدامها في دراسات شعوب العالم العربي و الإسلامي "[2] . و جاك بيرك بصفته عالم اجتماع إنشغل بهذا النوع من الدّراسات إذ اهتم بدراسة إحدى زوايا الجزائر المعروفة بزاوية الهامل كما سبق ذكره .

" لأنّ المستشرق بمجرد معرفته للّغة العربية تجده يخوض في شتى القضايا المتعلقة بالإسلام و المسلمين من أدب و لغة و تاريخ و عقيدة ، و لم يلتزم بعض المتخصصين من المستشرقين بتخصصهم ، و لكن اتساع نطاق المعرفة و حرص الإستشراق على السيطرة على الموضوعات المدروسة جعل من الضروري التخصّص في مجالات الدراسات الإسلامية المختلفة كالقرآن و الحديث و الفقه و الفن ... و أخيرًا الدراسات الإقليمية التي تفرعت إلى ميادين مختلفة فيصرف المستشرق مثلا جهده في دراسة الإقتصاد في بلد واحد أو السياسة أو الإجتماع "[3] . لقد تشرّب هذا الرجل

---

[1]– Jacques Berque : Une cause jamais perdue, ed Albin Michel, paris, 1998 , p 75 .

[2] – إدوارد سعيد : الإستشراق ، المعرفة ، السلطة ، الإنشاء ، نقله إلى العربية كمال أبو ديب ، ط5 ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، لبنان ، 2003 ، ص55 .

[3] – مازن بن صلاح مطبقاني : الاستشراق و الإتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي ، د ط ، الرياض ، 1416 هـ / 1995 م ، ص 47 .

العالم العربي بكل جوارحه و يظهر ذلك جليًا في كثرة أسفاره إذ يقول : " إنّي أذهب إلى البلدان العربية لأنّي سعيد هناك "[1].

و كتاباته مليئة بالمشاهد ، إذ يصوّر شخصًا يرى سائرًا في شوارع فاس الضيقة " عينان منخفضتان ، سجادة الصّلاة تحت إبطه ... خطوته تعبر عن احتقاره لمشاهد العالم من حوله ... يجعله البطل المثقف لحضارة تعبر عنها جيّدًا موسوعية رجل الفكر و مهارة الحرفي ، هكذا يستحضر الجزائر التي عاش فيها طفولته بالمشاهد و الروائع رائحة " البرانس " و المغرب بطبقها الملوكي فطيرة الحمام و اللّوز و الباستيلا "[2] .

و هذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على أهمية التنشِئة الأولى في حياة الفرد وأثر البيئة في تكوين فكره ، الذي يجعله يهتم بدقائق الأمور التي قد لا تخطر على بال الكثيرين ، و أثرت هذه الإ نشغالات على نفسيته كطفل عاش أهم الأحداث في طفولته ، إذ قضى بعض سنوات الطفولة في فرندا التي ولد بها عام 1910 م و نشأ فيها بالقرب من المكان الذي عاش فيه ابن خلدون* ، وكانت روح ابن خلدون إحدى الأرواح التي لازمت فكره ، كما تفرّغ في طفولته لدراسة اللّغة العربية و حفظ القرآن الكريم

---

[1] – Jacques Berque : Arabies entretiens , ed Albin Michel , 1998 , p30.

[2] – ألبرت حوراني : الإسلام في الفكر الأوروبي ، دط ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ،1984 ، ص164 .

* – ابن خلدون : هو عمر ابن أحمد (أو محمد) تقي بن عبد اللّه أبو مسلم ابن خلدون الحضرمي (449 هـ / 157 م) مهندس طبيب من حكماء الأندلس ، من أشراف إشبيلية ، مولده و وفاته فيها تتلمذ لمسلمة المجريطي ، تقدّم في علوم الفلسفة ، عاش متشبهًا بالفلاسفة في سيرته و أخلاقه . من مؤلفاته أخبار الحكماء ، طبقات الأطباء ..

أنظر : خير الدين الزركلي : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين والمستشرقين ، ص 40 .

بتشجيع من والده أوغسطين بيرك * Augustin Berque "[1].

لقد حقق جاك بيرك على رحلته الخاصة من الغرب إلى الشرق متأثرًا مقتديًا بآثار ابن خلدون الشهير الّذي يعود له الفضل في تأليفه كتاب المقدمة . وقد أكّد شدة تأثره بثقافة العرب و تأثيره عليهم مؤكدًا المقولة التالية : "بحضور العرب فينا، بحضورنا نحن في العرب "[2].

وعليه ، " لم يكن العالم العربي الإسلامي مجرّد موضوع للدّراسة ، بل كان عنده همًّا فكريا و وجدانيا كذلك ، ولعلّ أبرز ما كان يميّز هذا الهم هو ربطه بين ماضي هذا العالم و حاضره في إطار العصر الحالي "[3].

و قد استفاد جاك بيرك من معايشته الطويلة للمجتمع الإسلامي لأنّه تمكن من اكتشاف مكامن قوة هذه المجتمعات و بالتالي إيجابيات الإسلام تحت الإنحطاط الظاهر و هو أمر لم يتوفر لجل المستشرقين الذين اكتفوا بتحليل النصوص .

" يوجّه هذا الأنثروبولوجي و عالم الإجتماع المختص في دراسة العالم العربي عرفانه بالجميل إلى جميع الذين أتاحوا له زيارة الشرق و العيش فيه ، السبب الذي مكنه من

---

* – أوغسطين بيرك : والد جاك بيرك ، عمل في الإدارة وانتهى بمنصب مدير الشؤون الإسلامية في الأقاليم الجنوبية للحكومة أثناء الفترة الاستعمارية من أهم انشغالاته الإهتمام برجال الزوايا والمفكرين العرب ، شغله الفكر الإصلاحي لابن باديس وحركة العلماء المسلمين ، كما درس ايديولوجية لابن خلدون من كتاباته : محاولة موسومة بـــ :

Essai d’une bibliographie critique des confréries musulmanes 1919 .

أنظر :

http : Persee .fr/ Augustin Berque : Ecrits sur l’Algerie

[1] – ألبرت حوراني : الإسلام في الفكر الأوروبي ، ص164 .

[2] – جاك بيرك :القرآن و علم القراءة ، ترجمة و تعليق منذر عياشي ، ط1 ، دار التنوير ، بيروت، لبنان ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، سرويا ،1996 ، ص 26 .

[3] – محمود أمين العالم : أندلسيات جاك بيرك ، مجلة العربي ، وزارة الإعلام الكويت ، العدد 445 ، 1995 ، ص 30 .

تولي وظائف عديدة من خلال إقامته الطويلة فيه و يعود الفضل في ذلك إلى منظمة اليونيسكو إذ أصبح بيرك خبيرًا في التربية الأساسية .

كما يوجه عرفانه بالجميل إلى الجامعة اللبنانية ، و إلى الدكتور عكراوي عميد جامعة بغداد الذي أوصى به في بلاده في فترة عصيبة و إلى الأستاذ ظافر القاسمي الذي منحه صداقة دمشق ، و إلى أسرة المهدي التي استقبلته في الخرطوم استقبالا رائعًا . و مظاهر العطف هذه ، و كثيرة غيرها ، سمحت له بأن يقضي مع العرب أكثر أوقاته و أجملها منذ عام 1953 و إقامة علاقات صداقة . كما توجه بيرك بالعرفان إلى زوجته لوسي بيرك التي رافقته في رحلته "[1].

بالإضافة إلى عضويته في المجمع اللّغوي في مصر و أستاذ في الكوليج دو فرانس منذ 1956 م ثمّ تقاعد عن العمل منصرفًا لترجمة القرآن الكريم .

لقد كان جاك بيرك مهتمًا بالدّراسات الإجتماعية و التاريخية والأنثروبولوجية للمجتمعات العربية بعيدًا عن القرآن الكريم و مفاهيمه ، إلاّ أنّه من خلال اهتمامه بالمجتمعات العربية و الإسلامية ، و بالضبط بعد مشاركته في وضع مقدمة لترجمة معاني القرآن الكريم للمترجم Gros Jean[2] لفت إنتباهه محاولة الترجمة لهذا النص المقدّس ، فأضاف لهذه المقدّمة دروسه حول القرآن التي كان يلقيها في كوليج دو فرانس Collège de France بباريس .

" بدأ مشروعه هذا بشكل جاد سنة 1982 ، إذ بدأ يقرأ ترجمات القرآن التي سبقت ترجمته فأثمرت في ذهنه أفكارًا كثيرة إذ لاحظ تباين عمق الترجمة الواحدة عن الأخرى، فأسعده هذا العمل الجبّار المتمثل في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللّغة الفرنسية ".[3]

---

[1] – جاك بيرك : العرب من الأمس إلى الغد ، ص 9 – 10 .

[2] – Jacques Berque : Le coran essai du traduction , éd Albin Michel , Paris , 2002 , p 11 .

[3] – Ibid , p 11 .

" و لقد نشأت دروسه في باريس عن تخمّر بطيء للفكر ، و عن معاشرة طويلة للنص و السياق الإجتماعي الذي يروي و يخصّب ، إنّها نشأت في المحصّلة عن عمل كامل في الترجمة ، كان قد رأى النور في منشورات سندباد Sindbad عام 1990 م . لقد أخذ مني هذا العمل ست عشرة سنة ، إنقضت عشر سنوات منها في التحضير وخمس سنوات كاملة تقريبًا في العناية ".[1]

ولقد صرّح هذا المترجم بعدم قدرته على مقاربة النّص المقدس من داخله إذ يقول :

" لقد تطرقت لدراسة و ترجمة القرآن من الناحية الخارجية فقط لأنّني ليس لديّ إحساس و قدرة على مواجهته من الداخل ، لأنّ ما بداخله هو الإيمان بعينه ".[2]

يبدو أنّ بيرك درس القرآن و ترجم معانيه من خلال ثقافة مجتمعه بناءً على سلوكاتهم و أفكارهم معتذرًا عن عدم قدرته على مقاربة النص القرآني من أعماقه ، لأنّ عمق القرآن هو الإيمان بكلّ حقيقته ، و هذا ما نقله منذر عياشي عن جاك بيرك :

" إنّ هذا النص الأصولي الذي يوحي بالإحترام و يشعّ بالقدرات لن أقاربه من موقف الإيمان و لكن من موقف البحث و الموضوعية النقدية ، راجيًا أحيانًا أن يكون هذا الأمر مشاركة بكل تأكيد ، و لكنها مشاركة متباعدة ، فهي متباعدة زمنًا . فأنا رجل مثلكم من أبناء القرن العشرين ، و ليس من أبناء القرن السابع كأولئك الذين سمعوه للمرة الأولى : فمن ذا الذي يستطيع أن يعيد إلينا إنفعالهم الأول ؟ و من جهة أخرى يجب أن أقول هذا قبل أن يعاب عليّ أنّني لست مسلمًا "[3] .

وكانت لجاك بيرك أهداف سامية من عمله هذا الذي أتمه دون انقطاع كما يذكر المترجمون الذين ترجموا قبله من ذوي اللّسان العربي أمثال حمزة بوبكر إذ يعترف أنّ

---

[1] – جاك بيرك : القرآن و علم القراءة ، ص 25 .

[2] – Jacques Berque : Une cause jamais perdue , p 74 .

[3] – جاك بيرك : القرآن و علم القراءة ، ص 29 .

ترجمته غنية بالمعلومات التي استفاد منها في ترجمته كما يعترف لصديقه و أستاذه بلاشير الذي ترجم النص القرآني قبله "[1].

ويتساءل بيرك عن الترجمات التي سبقته ، هل كانت عملاً جماعيًا ؟ هل إعتذر كل مترجم عن المغامرة و المجازفة في مقاربة نص مقدس كالقرآن فيقول : " من له الجرأة والثقة العمياء في نفسه لإنهاء عمل بهذه الأهمية العظيمة ، أوله الجرأة لطلبه من شخص آخر للقيام به . فلا نستطيع الإنتظار من إنسان واحد اكتشاف عمق هذا العمل في وقت قصير خصوصًا إذا ما علمنا أنّ لكل مترجم أولويات خاصة في حياته "[2].

أمّا فيما يخصه فقد كانت له علاقة مباشرة وحيدة مع النص لأنّه عزل نفسه في قرية سان جوليان الهادئة في فرنسا متفرّغًا لهذا العمل المميز و الأعمق ، ويعتذر عن أخطائه لأنّه لم يجد من يساعده في تصحيح ما ترجمه و اكتشاف المآخذ في عمله . كما يعترف بالشكر لمن سبقوه بالعمل من المعربين وغيرهم ، وبهذا يتحقق مفهوم التعارف بين الشعوب من خلال ماقاموا به تجاه النص القرآني مستشهدًا بقوله تعالى:

{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ }[3]

و تتساءل الباحثة زينب عبد العزيز عن ترجمة جاك بيرك لمعاني القرآن الكريم " ترى لماذا هذه الترجمة الجديدة لمعاني القرآن ؟ لماذا و هناك العديد من الترجمات أغلبها قام بها مستشرقون مثله ؟ من المعروف أنّه حينما يتعرّض المرء لترجمة عمل ما – خاصة إن كان ذلك من إختياره المطلق وليس بتكليف ما – فإنّه عادة ما يرجع لأحد الأمرين :

---

[1] – Jacques Berque : Le coran , p74.

[2] – Ibid , p74 .

[3] – سورة الحجرات : الآية 13 .

–إما أن يكون إعجابًا بهذا العمل و رغبة منه في نقل ما ورد فيه إلى أكبر عدد ممكن من القراء .

–أو إحتجاجًا على ما تضمنه ، فترجم الرّد عليه ، آملاً في أن يتولى الآخرون هذه المهمة .

و تتساءل مرة أخرى : ترى لمن هذه الترجمة ؟ (...) – بلا شك – تمت من أجل المتحدّثين باللّغة الفرنسية ، ولا أعتقد أنّ أغلبهم من المسلمين "[1].

بل أعتقد أنّ معاني القرآن لا ينبغي أن نعرّف بها المسلمين فقط ، و إنما كافة الناس بمختلف معتقداتهم و ألوانهم و ألسنتهم و أجناسهم إنطلاقًا من الآية القرآنية الكريمة من سورة الحجرات التي ذكرها جاك بيرك نفسه في ترجمته.

كما أنّ التأكيد على الإهتمام بالقرآن كما يقول صاحب كتاب "من وحي القرآن" : يعمل على صنع الذهنية القرآنية الصافية التي نستطيع من خلالها أن نكتشف زيف الإسرائيليات من خلال اكتشاف زيف المفاهيم المعالجة عندما تعرض على القرآن الكريم "[2].

و مع إقرار المترجم بعقيدته المسيحية التي تعدّ من المنابع الثقافية و الفكرية له دفعنا الفضول لاستكشاف فكره بشكل أوسع و غاياته من وراء انشغاله واهتمامه بنص القرآن الكريم . فكيف يمكن قراءة القرآن بعقلية غير إسلامية ؟

" لم يكن جاك بيرك مسلمًا ، إنّه ليذكرنا بأنّ الإسلام ثقافة و علاقة حساسة مع العالم ، و ليس من قبيل المصادفة إذ لم يكن قد تصدى لهذا التفكير عن الكتاب المقدس إلاّ

---

[1] – زينب عبد العزيز : القرآن الكريم و ترجمة معاني معانيه إلى اللغة الفرنسية ، ص ب .

[2] – محمد حسين فضل اللّه : من وحي القرآن ، ط2 ، دار الملاك ، 1998 ، مج1 ، ص 177-178.

من خلال النفاذ عميقًا في العالم الذي أدرك وحدته و تنوعه و مارس فيه اللّغة و اللهجات و الحياة اليومية و كبريات حركات الفكر "[1].

فهل محاولة جاك بيرك في ترجمته لمعاني القرآن تمثل شيئًا جديدًا في التفسير؟ أم هي مجرّد استنتاجات و انطباعات و إيحاءات بناءً على أنّ ترجمته هذه في حقيقتها عبارة عن دروس ألقاها على طلابه ؟

لقد قرأ بيرك القرآن قراءة تختلف عن قراءة الأجيال السابقة ممن شهدوا نزوله ، فهي من منظوره قراءة متباعدة زمنًا بصفته رجلاً من القرن العشرين و ليس من أبناء القرن السابع الذين سمعوا القرآن و تلقوه من فم الرّسول صلّى اللّه عليه و سلّم لأول مرة ممّا جعله يتساءل عن إمكانية إعادة إنفعالهم الأول مؤكدًا أنّه ليس مسلمًا .

ويستبعد جاك بيرك استيحاء المعاني القرآنية العميقة لتباعد الزمن بين جيل الوحي الّذين تلقوه مباشرة من فم الرسول – صلّى الله عليه وسلم– بكل مايحمل من معان روحية وبين جيل عصره الّذي لا يستطيع أن يسمو بآياته من منظوره، خصوصًا وأنّه يعتنق عقيدة تختلف عن عقيدة الإسلام ، وفي هذا السياق يرى محمّد حسين فضل اللّه " أنّ التعامل مع آيات القرآن ليس كتعاملنا مع النصوص الأدبية المجرّدة التي تتحرك مع الفكرة بعيدًا

عن أجواء الواقع ، بل إنّنا نشعر أنّها حياة تتحرك و تعطي و توحي و تهدي وتقود إلى الصراط المستقيم (...) فكان من جراء ذلك أن أصبحت الآيات تعيش مع نماذجها الأولى صدقًا و التزامًا و إرادةً حرة تتحدى الواقع المنحرف بكل ما تملكه من خطوات الحرية في الفكر و العمل (...) فحركية التفسير في واقعنا المعاصر تحتاج الدعوة الإسلامية فيه إلى أن تحرك القرآن في حياتها في كل مجالاتها العلمية في الطريق و في الهدف (...) و مادامت الإنسانية تبحث عن الهدف الأسمى الذي يحقق لها التكامل في

---

[1] – جاك بيرك : القرآن و علم القراءة ، ص 25 .

العادة التي تربط الدنيا بالآخرة ، والروح و الفرد المجتمع ، وذلك هو الإسلام في معناه الكبير "[1].

وهنا يستوقفنا التساؤل الآتي :
هل استطاع القرآن أن يعالج لنا كل أوضاعنا الحياتية ، فنكون قرآنيين في أفكارنا وحركاتنا تمامًا كما كان المسلمون السابقون الّذي كان القرآن يتحرك معهم ليقدم لهم الحلول الصحيحة لمشاكلهم الصّعبة ؟

إتضح لنا أنّ جاك بيرك ركّز على فكرة الإيمان الروحي القوي الذي يجب أن يتحلى به المتصدّي لمقاربة الخطاب القرآني فتلقي المسلم للخطاب الإلاهي يختلف عن تلقي المسيحي له ، فلقد قرأت الأجيال السابقة القرآن الكريم قراءة مبنية على الأسس العلمية و المنهجية مركزة على استيحاء أجواء القرآن من أجل أن نعيش تلك الأجواء في حياتنا الإسلامية الصاعدة . وعليه فالقرآن لا يختص به قوم دون أقوام أخرى أو طبقات من الناس دون غيرهم ، إنما هو كتاب موضوع للناس كافة بحيث لكل مكلف مقاربته وفق قدراته وإمكاناته الثقافية فتتجلى معانيه للعامة و العلماء ، وتفضح لديهم مفاهيم القرآن الّذي لا تنقضي عجائبه .
و لم تقتصر قراءات جاك بيرك للقرآن فحسب بل سبقته قراءات أخرى في ميادين مختلفة تظهر في تنوع مؤلفاته الّتي ندرجها في المبحث الموالي من هذا الفصل .

[1]- محمد حسين فضل اللّه : من وحي القرآن ، ص25 – 26 .

المبحث الثاني : مؤلفات جاك بيرك .

جاك بيرك من أبرز علماء الغرب الذين كرسوا حياتهم لدراسة الثقافة العربية والإسلام ، و امتاز بثقافة واسعة ، إذ خلف بيرك مكتبة كبيرة في فرندا *بمنطقة تيارت تحمل اسم الإبن البار لهذه المدينة .

وكون بعض مؤلفاته تحتوي على مواضيع عدة ومختلفة ، إذ يحتوي المؤلف الواحد على السياسة، علم الاجتماع والدّين . كما أنّ بعض كتبه عبارة عن محاضرات كان قد ألقاها في " معهد العالم العربي " بباريس أو عبارة عن مقالات و حوارات صحفية يطرح إشكالاً منهجيًا يكمن في تصنيف هذه المؤلفات .

لذلك ارتأينا أن تكون المنهجية السليمة في تصنيف المؤلفات حسب مواضيعها المختلفة ، الفكر ، الفلسفة ، السياسة ، التاريخ و الأدب ... ، نظرًا لأهميتها .

وللإعتراف بانتاجه الثر الّذي خدم به الإنسانية نورد بعض مؤلفاته القيمة :

1.جاك بيرك : العرب تاريخ ومستقبل :

---

* – فرندا : مدينة في الجزائر ، بالسفح الجنوبي لجبال سعيدة مركز دائرة ولاية تيارت ، يبلغ عدد سكانها 17000 نسمة ، و هي منطقة ريفية .

و فرندا كلمة بربرية تعني الهدوء و الراحة .

أنظر : المنجد في اللغة والإعلام ، جزء الأعلام ، ط16 ، دار المشرق ، بيروت ، ص411

تناول هذا الكتاب دراسة لبعض أجزاء الوطن العربي إذ تمكن الأستاذ جاك بيرك من جمع المعلومات الّتي استمدها من قراءاته وتجاربه وانطباعاته لإعطاء صورة عن بعض أجزاء وطننا العربي ، و لم يحاول إخفاء مايراه من تناقضات، ولعل في مقدمة هذه التناقضات الّتي يوليها المؤلف الكثير من عنايته واهتمامه وتحليله توزع الإنسان العربي بين قيمه الروحية المستمدة من تاريخه وتقاليده ومعتقداته ، وبين تطلعاته المادية العصرية وإشكالية تأقلمه مع العالم المتقدم الّذي سبقه بأشواط بعيدة في هذا المجال .

Les arabes d'hier à demain , Seuil , Paris , 1960 .

2. العرب من الأمس إلى اليوم :

تضمن هذا الكتاب الحديث عن صلة المؤلف بالوطن العربي صلة قديمة ، فلقد قضى جلّ حياته متنقلاً في أرجائه ، ولذا جاء كتابه مستندًا إلى حدّ كبير على تجاربه الشخصية ، إذ بيّن صداقته للعرب ، ويرى أنّ ماعليه العرب يحمل القيمة مايكفي ليجعلهم جديرين بصراحة المؤرخ ، فهم يرتكبون من الأخطاء وفيهم جوانب ضعف مثل الغرب تمامًا وهذا ما يجعل العرب والغرب أكثر أخوة لبعضهم البعض حسب المؤلف .

Les Arabes d'hier à demain , Sindbad , 1973 et 1979

3. Une cause jamais perdue :

تطرق فيه المؤلف إلى قضايا كثيرة ، إذ تناول موضوع الهوية العربية وقضايا سياسية أخرى واجتماعية ، كما تناول في كتابه هذا بالخصوص الحديث عن القراءة التدريجية للقرآن في حوار أجراه معه عبدالقادر جلول .

Jacques Berque , une cause jamais perdue , éd Albin Michel , 1998 .

4. Arabies entretiens :

تضمن هذا الكتاب أجوبة جاك بيرك على أسئلة طرحت من طرف الصحيفة اللبنانية Mirèse Akar من خلال الحوار الّذي أجرته معه أثناء سفره إلى باريس .

Jcques Berque , Arabies entretiens , Mirèse Akar , éd Stock , 1978-1980 .

5. ضفاف وصحاري Rivages et déserts :

تضمن هذا الكتاب مجموعة من المقالات كتبت للتذكير بجاك بيرك ، كما أطلق عليه إسم " رجل الضفاف والصحاري " في الندوة الّتي عقدت لتكريمه من طرف زملائه وتلاميذه .

6. قراءة جديدة للقرآن relire le coran :

تضمن هذا الكتاب أربعة محاضرات و خاتمة كان قد ألقاها في معهد العالم العربي بباريس :

- المحاضرة الأولى بعنوان مقاربات من البنية approches d'une structure
- المحاضرة الثانية بعنوان الزمن في القرآن Le Temps dans le Coran
- المحاضرة الثالثة : المعيار في القرآن La norme dans le corran
- المحاضرة الرابعة و الأخيرة : القرآن و اللغة العربية Coran et langue arabe

بالإضافة إلى أخرى :

1. L'Islam au défi , Gallimard , Paris , 1980 .
2. L'Islam au temps du monde , Sindbad , Paris , 1984.
3. Les dix grandes odes arabes se l'Anté-Islam , Sindbad , Paris , 1979.
4. Les effets d'innovation dans l'Islam moderne , la philosophie et les sciences , les presses de l'Unesco , 1981.

5. Normes et valeurs dans l’Islam contemporain , Payot , Paris, 1966 .
6. L’ambivalence dans la culture arabe , Anthropos , Paris , 1982 .
7. Andalousie , sindbad , Paris , 1982 .
8. Perspective de l’orientalisme contemporain , extrait de la revue IBLAXX , 1957 .
9. L’Egypte , impérialisme et révolution , Gallimard , Paris , 1967 .
10. Ulémas, fondateurs, insurgés du Maghreb, Sindbad, Paris, 1982 .
11. Le Maghreb entre deux guerres , Seuil, Paris , 1960 .
12. L’Intérieur du Maghreb , Gallimard , Paris , 1978 .
13. Structures sociales du Haut-Atlas , Paris , 1978 .
14. De l’Euphrate à l’atlas , sindbad , Paris , 1978 .
15. Mémoires des deux rives , seuil , Paris , 1989 .
16. L’orient second , Gallimard , Paris , 1970 .
17. Dépossession du monde, Seuil, Paris, 1964 .

كما ترجم بيرك " المعلقات " إلى الفرنسية و " الإسلام في زمان العالم ".

و ينادي بيرك بقراءة جديدة للقرآن إذ يقول : ... في الوقت الذي يلوح فيه البعض بامتداد شريعة جامدة أو مستقاة فإنّ جاك بيرك يؤكد على نداء النص ، إلى العقل وانفتاحه على التجديد ، وهذا من خلال كتابه الذّي يحمل عنوان : القرآن محاولة للترجمة Le Coran, Essai de Traduction – وهو موضوع دراستنا– .
و" أرفقه بهوامش و شروح بالإضافة إلى تأسيسه وزميله فرانسيس جونسون F.Jean Sur شبكة عرفت باسمه تتكون من طلابه وأصدقائه (Réseau-Berque) في كل أرجاء المنطقة العربية الإسلامية، " والمجال " الفرانكفوني بوجه

خاص أنه سلطة معنوية يحسب لها حساب في الوسط الأكاديمي و في الرأي العام ، بالإضافة إلى عشرات من المقالات المبسطة للجمهور من غير المختصين و العديد من الأبحاث المتخصصة في التاريخ الإجتماعي للإسلام المعاصر و هو عنوان الكرسي الذي شغله في المعهد العالي الفرنسي المعروف منذ Collége de France 1956 أين توافد عليه الكثير من الطلبة و الباحثين من المنطقة العربية و خاصة من أقطار المغرب الذين وصل بعضهم اليوم مرتبة الأستاذية (Professorat) و يتولى البعض الآخر مناصب سامية سياسية و دبلوماسية[1] ".

و بناءً على ما سبق يقول مصطفى شريف أحد تلامذة بيرك :

" استقبلني جاك بيرك للمرة الأخيرة خلال صيف 1994 و شرفني برؤية الروتوشات و التصحيحات لترجمته للقرآن بعد نشرها للمرة الأولى عام 1991، ونظرا لهذا الحادث عدد كبير من المسلمين عبر العالم تساءلوا عن إسلام جاك بيرك ؟ و يجيب مصطفى* شريف أنّ هذا الموضوع جد شخصي ، جد حميمي لم أتطرق إليه معه تمنيت لو تطرق له بإرادته و بطلاقة دون أدنى إشارة مني رغم قوة الصداقة التي ربطت بيننا لمدة 20 عامًا لم أتجرأ أبدًا لطرح سؤال كهذا ، و ترك جاك بيرك رسالة سرية ائتمن الموثق عليها تتضمن شعوره الشخصي حول كل الأسئلة و طلب أن لا يكشف مضمون هذه الرسالة إلا بعد خمسين سنة بعد موته ".[2]

---

[1] – محمد العربي ولد خليفة : بيرك المفكر و الإنسان ، من فرندة إلى سان جوليان ، مجلة الثقافة ، العدد 110-111 ، الجزائر ، 1995 ، ص 36 .

[2] - Mustapha Chérif, Jean sür : Jacques Berque , Orient occident , éd Anep, 2004, P8 .

* – مصطفى شريف : بروفيسور في الفلسفة السياسية و العلاقات الخارجية، سفير ووزير سابق في التعليم العالي، مختص في الإسلام المعاصر، دكتوراه دولة في الآداب، و أستاذ بجامعة السوربون بباريس من مؤلفاته : الإسلام و العولمة و الآخر Occident Orient بالإشتراك مع Jean-sür

: من تلاميذ بيرك جاور كثيرا جاك بيرك مؤرخ و ناقد نشر كتابين : Jean-sür

1 - Il reste un Avenir et les arabes, 1992

2 - L'Islam et nous, 1996

أنظر : مصطفى شريف : المرجع السابق ، ص 8 .

و يضيف مصطفى شريف أنه " في عام 1992 في المجلة الجامعية Lyon-Lumière-Le Croquant طلب مني بيرك أن أكتب مقالا حول ترجمته للقرآن، فلبيت طلبه بكل سرور، و عنونت المقال du même Oued من نفس الوادي فتأثر بيرك كثيرا بهذا العنوان الذي يترجم ما أحسسته من علاقته مع العرب المتمسكين بكرامتهم و أصالتهم. و في رسالته (بيرك) 25 ديسمبر 1992 Jour de Noél شكرني كثيرا بسبب هذا المقال ".[1]

إلا أنّ موضوع الرسالة السرية التي ائتمن الموثق عليها تدعو إلى التساؤل ؟ هل توصل إلى نتائج لا يستطيع المسلمون فهمها لذلك أخفاها ؟ ما هو السر من وراء هذا التكتم ؟ إن كان قد توصل إلى نتائج قيمة و حقائق ثابتة ومسائل هادفة من خلال أبحاثه المعمقة و الطويلة أن يستفيد منها المهتمون والباحثون في فكره خصوصًا .

و قد علّق أحد الباحثين عن رسالة بيرك السرية قائلاً :
" إن كان قد توصل إلى نتائج لا يستطيع المسلمون فهمها لذلك أخفاها ، فهذا نوع من التدجيل ، أو ربما وجد أشياء تنفي المعجزة القرآنية أو ربما أخطأ فيما توصل إليه ".[2]

و في نفس السياق استوقفتنا شهادة أدلى بها تلميذه الأستاذ مصطفى شريف تتعلق بوصية جاك بيرك التي أوصى من خلالها بقراءة فاتحة الكتاب على روحه يوم تشييع جنازته ؛ الأمر الذّي يزيد من الفضول و التساؤل عن محتوى رسالته السرية .

---

[1] - Mustapha chérif et jean-sür : Jacque Berque Orient Occident ,P8-9 .

[2] – شهادة أدلى بها الدكتور سعيد شيبان في ملتقى الفكر الإسلامي ، الموسوم بـــ " الإسلام و العلوم الإنسانية " ، و قد أذيعت في التلفزة بتاريخ 3 مارس 2009 .

" و أسبوعا قبل وفاته في شهر جوان 1995 نشرت له دورية سويسرية مقاله الآخير بعنوان " أي إسلام " (Quel Islam ?) و هو الّذي ضمنه حصيلة نشاطه الفكري و العلمي و لخص فيه مجمل آرائه في الإسلام و الثقافة العربية ، و قد طبعته " دار سندباد " و أصبح في متناول الجميع "[1].

صفوة القول أن تنوع مؤلفات بيرك حصيلة الملاحظة الثابتة و المعايشة الفعلية للوقائع إذ خدم من خلالها بلده فرنسا مخلفا وراءه جيلا من الباحثين وخاصة في المغرب العربي يسيرون على نهجه و يعمقون أطروحاته. والعامل الأهم في حياة هذا الباحث وجود زوجته جولياً* Julia الواعية والمتفهمة لزوجها والمراعية لظروفه وانشغالاته .

[1] – Jacques Berque : Quel Islam ? , sindbad , Paris , 2003 .

*– أتيحت لي فرصة لقاء زوجته بمناسبة الملتقى الفكري الذي نظم بقصر الثقافة في شهر جوان2005 بعنوان " جاك بيرك رجل الفكر والحركة " .

المبحث الثالث تأثر جاك بيرك بأعلام الفكر و الثقافة .

لقد تأثر جاك بيرك ببعض أعلام الفكر و الثقافة في العالم العربي و قد ظهر ذلك في كثير من كتاباته منهم طه حسين و توفيق الحكيم و ابن رشد و غيرهم ، كما تأثر به العديد من الباحثين و المفكرين به مثل مصطفى شريف وغيرهم .
و من بين الكتاب الذين أثاروا فكر بيرك توفيق الحكيم* الذي يعد من منظور بيرك " أحد الكتاب المصريين الذين نجحوا في إدخال العصرنة على الأدب العربي في حين أن الكتابات التي سبقته كانت كتابات قاسية "[1] .

" إن توفيق الحكيم من القلة النادرة من مفكرينا و أدبائنا الذين اتصلوا بالغرب و حضارته اتصالاً وثيقًا و لكنهم لم يخرجوا عنه مذعورين و لم يذوبوا فيه ذوبانًا وإنّما شقوا طريقهم الثالث بين التيارين الصاخبين فاستناروا بأضواء الحضارة الغربية في رؤية واقعهم المصري ، و استنبتوا التجربة المصرية الأصلية في الأدب و الفن بغير عقد أو مركبات نقص، إن هذا الطريق الثالث يتفق مع جوهر توفيق الحكيم الذي يميل بطبعه إلى الحل الوسط" [2].

---

* – توفيف الحكيم (1902–1954) : هرم فكري ، عرف برجل الفن و الإنفتاح الحضاري ، و كان مجددا في الأدب موضوعا و أسلوبا و روحا . درس الحقوق و سافر إلى فرنسا للتعمق و دراسة القانون ، و من المحاماة انتقل إلى النيابة العامة و انتخب عضوا في المجمع اللغوي . له مؤلفات كثيرة منها " تحت شمس الفكر "، عودة الروح ، حمار الحكيم ..
أنظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، 1985 ، ص 393 .

[1] – Jacques Berque : Arabies entretiens , p 25 .

[2] – غالي شكري : ثورة المعتزل، دراسة في أدب توفيق الحكيم، ط2 ، دار ابن خلدون ، 1973 ، بيروت ، لبنان ، ص66.

" يرى توفيق الحكيم أنّ الحضارة الإنسانية وِحدة واحدة بناها الإنسان و لا يزال يبنيها في كل زمان و مكان ، ولا فضل الإنسان على آخر إلاّ بمقدار ما يقدمه لهذه الحضارة من جهد و إبداع ، و البشر جميعا شركاء في الحضارة الإنسانية المعاصرة مهما كان موقعهما في الشرق أو الغرب في الشمال أو الجنوب ذلك أن الحضارة الحديثة ليست حضارة أوروبية خالصة و نسبتها إلى أوروبا أو الغرب عامة إنما هي نتيجة ازدهارها الحالي في هذا المكان من العالم ، و لكن الحضارات السابقة بما فيها حضارتنا نحن المصريين قد أسهمت في تكوين و تشكيل هذه المرحلة الأوروبية وبالتالي فمن حقنا أن نأخذ عنها كما سبق و أن أعطيناها ، بل إنّه ليس حقا فحسب و إنما هو ضرورة تاريخية لمن شاء التقدم بديلا للانقراض"[1].

والحقيقة أنّ فضل العلماء المسلمين على الحضارة الإنسانية لا يستطيع إنكاره أو تجاهله عاقل ، حيث أنّهم بفتوحاتهم العظيمة اتصلوا بالحضارات المختلفة ، فجمعوا هذه الحضارات وصهروها ، وقد كانت فترة نهوض الحضارة الإسلامية من أهم فترات التاريخ ، بينما كانت أوروبا خلالها غارقة في عصورها المظلمة . فمنذ القرن الأول وحتّى القرن السادس الهجري (السابع وحتّى الثاني عشر الميلادي) سيطرت الحضارة الإسلامية على المعارف الشرقية والغربية ، حيث ألفت أعظم المؤلفات قيمة وأكثرها أصالة وأغزرها مادة باللغة العربية .

ولقد أسهم المسلمون في شتى العلوم ، ففي علم الرياضيات نذكر الخوارزمي ، أما ابن سينا فلاشك أنّه كان أبرع أطباء عصره ، وقد ترك أثره ظاهرًا طوال قرنين من الزمن حتى أطلق عليه علماء الغرب إسم "أرسطو طاليس الشرق". وابن الهيثم أعظم علماء العصور الوسطى في علم الفيزياء .

إنّ الحضارة الأوروبية في الحقيقة لم تخلق بيديها خلقا كل هذه القوالب المعروفة في آدابها وفنونها ، فإنّ كثيرًا من القوالب والنظريات مأخوذ عن الشرق في حالته الأولية ،

---

[1] – غالي شكري : ثورة المعتزل ، دراسة في أدب توفيق الحكيم ، ص6 .

ولكن الأوروبيين زادوا عليه وأضافوا . هذا في الواقع عمل كل حضارة من الحضارات ولا نستثني من ذلك الحضارة الإسلامية نفسها في عصورها الزاهرة ، فماهي إلاّ جماع أفكار وثقافات وحضارات أمم مختلفة صبّها الإسلام في قالبه وجعل منها لونًا خاصًا .

كما أعجب بيرك بطه حسين و أفرد له دراسة عميقة خاصة عن تأثره بأبي العلاء المعري و ابن خلدون الذي جعله موضوع أطروحة الدكتورة في باريس.

" إذ حاول طه حسين* في تحديد ذكرى أبي العلاء أن يطبق المنهج العلمي الصرف متأثرا برواد و أهم ممثلي هذا المنهج في فرنسا بوساطة بعض أساتذته من المستشرقين في الجامعة المصرية" [1].

و تبين ذلك في تصوره لمجتمعه المصري كيف ينبغي أن يكون :

" يجب على الشعب أن يتعلم كل ما هو متاح للناس أن يعرفوه ، فهذه هي الوسيلة الوحيدة التي يتعرفون بها على المظالم و يمكنهم أن يسووا حسابهم مع من يذلونهم أو يسئيون معاملتهم أو يحرمونهم من ثمرة عملهم ، إنّها وسيلتهم الوحيدة للسير في طريق العدل و المساواة ، و لكن دور التعليم السياسي و الإجتماعي يجب أن يكتمل بالجانب الأخلاقي ، إن التعليم يلزم المواطنين أن يؤمنوا بالمساواة في أفعالهم ، كما يصرّحون بذلك في أقوالهم ".[1]

---

* – طه حسين هو : طه حسين بن علي بن سلامة (1889-1973م) دكتور في الأدب من كبار المحاضرين، عين عضوا عاملا في المجمع اللغوي بمصر في 25 نوفمبر 1940 ، و عضوا مرسلا في المجمع العلمي العربي بدمشق ، ثم رئيسا لمجمع اللغة بمصر ، كان يجيد الفرنسية و اللاتينية و اليونانية . توفي بالقاهرة في :29 تشرين الأول.

من أثاره : الشعر الجاهلي ، في الأدب الجاهلي، حديث الأربعاء (ثلاث مجلدات)، قادة الفكر، على هامش السيرة (ثلاثة أجزاء) مع أبي العلاء في سجنه، المتنبي ...

أنظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، ص305 .

[1] – محمد شنوفي : تطور النقد المنهجي عند طه حسين ، رسالة دكتوراه ، كلية الأدب و اللّغات ، قسم اللّغة العربية ، جامعة الجزائر ، 2005-2006 ، ص 25 .

[1] – جاك بيرك : مصر إمبريالية و ثورة ، دط ،الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، دت،ص364.

و لكن من أجل أن يستبدل بها مرة واحدة و بلا فحص معطيات الغرب التي لا حضور لها مباشرة أمام الوجدان و الفكر المصريين ".[2]

" و لنأخذ مثلاً كتاب الدكتور طه حسين من مستقبل الثقافة في مصر، هل في اللغتين الفرنسية و الإنجليزية culture؟ الثقافة فعلا هي الترجمة لكلمة إنّ المؤلف الذي كان في ذلك الوقت عميدًا لكلية الآداب ، يكون صورة عقلية للتعليم، إنّه يقابل بين الثقافة و العلم ، و يقابل بين الثقافة و الحضارة كأنها مقابلة بين التعليم و الحضارة، وأيًا كان الأمر فقد كان يكتب كدارس للعلوم الإنسانية أكثر منه عالما تربويا ". [3]

" و قد اعتقد طه حسين أنّ مستقبل مصر مرهون بأخذها بمثل الحضارة الإنسانية وبالفضائل المدنية و الديمقراطية كما مثلها الغرب في حياته الحديثة (...) علينا أن نصبح أوروبيين في كل شيء ، قابلين في ذلك من حسنات وسيئات ويعتقد أن مصر تنتمي إلى الغرب لا إلى الشرق ".[4]

هذه هي السقطة الكبرى التي تعرض لها طه حسين حين عطل قواه عن الإبداع الأصيل تعطيلا كاملا ليسير حسب طرائق " الغير" سيرا مطلقا.

و إعجاب هذا المفكر بالشعب الفرنسي و ثقافته أدى به إلى الزواج بشابة فرنسية تدعى " سوزان بريسو " التي تعرف عليها عام 1915 وقد أحاطت حياته اليومية بجو من النظام و التركيز و التوازن و الإهتمام بالشكل مع المحافظة على الجوهر مما أعانه فيما بعد على أداء دوره في الجامعة والفكر وهي التي كانت تقرأ له المحاضرات فتمكن من الحصول على درجة الليسانس في الآداب من السوربون 1917 كما أعانته على أن يفرغ من رسالة الدكتوارة عن ابن خلدون (فلسفة ابن خلدون

---

[2] – فهمي جدعان : أسس التقدم عند مفكري الإسلام : ص324-325 .

[3] – جاك بيرك :المرجع السابق ، ص 362 .

[4] – فهمي جدعان : أسس التقدم عند مفكري الإسلام ، ص327 .

الإجتماعية تحليل و نقد تحت إشراف إميل دوركايم و بعد وفاته أشرف عليه Célestin Bouglé ".[1]

و من المواقف المميزة التي يذكرها بيرك لطه حسين أنّه " رد لفرنسا وسام الإستحقاق لما أغارت على قناة السويس "[2].

ونثمن تراجع طه حسين عن فكرته الهدامة المتعلقة بانتقاده للشعر و الأمة العربية مدوناً ذلك في كتابه " حديث الأربعاء ".

" لم يترك جاك بيرك كاتبًا أو شاعرًا أو مفكرًا أو رسامًا أو موسيقيًا أو فنانًا* في الوطن العربي إلاّ و أشار إليه إشارة طويلة أو عابرة مقتبسًا منه أو من أقواله أو كتبه ما يساعده على تحديد اتجاهه و بيان أثره في تاريخ التطور العربي الحديث "[3].

وكان نتاج هذا الإزدواج الثقافي عند جاك بيرك تنوع نلمسه في المواضيع المعالجة في مؤلفاته و عمق في طرحها بما يخدم الفكر الاستشراقي على غرار الفكر العربي ، وهذا ما سنحاول تبيانه من خلال عرض أهم مؤلفاته مع التركيز على ما يخدم دراستنا منها في المبحث الموالي .

---

[1]- محمد شنوفي ، تطور النقد المنهجي عند طه حسين ، ص25 .

[2] – Jacques Berque : Arabies entretiens , p 24 .

* – أشار جاك بيرك إلى حركات التجدد في الموسيقى العربية المتمثلة في السيدة أم كلثوم و الموسيقار سيد درويش .

[3] – جاك بيرك : العرب تاريخ و مستقبل ، تعريب و تعليق خيري حماد ، دط ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، مصر ، ص8 .

المبحث الرابع : آراء جاك بيرك في الإسلام .

من بين الدارسين الغربيين للحضارة العربية الإسلامية جاك بيرك ، إذ يعد من أكثر الناس ولوجًا في حوار العرب مع ذواتهم ، لكن ولوجه لم يكن منذ الولادة – كالمفكر العربي – بل مرّ عن طريق الدراسة الأنثروبولوجية والمعايشة اليومية للمجتمع العربي لفترة طويلة ، لقد عرف العرب من الخارج قبل أن يعرفهم من الداخل ، أي عرفهم بالملاحظة قبل الحدس ، و هذا ما جعله مرجعًا أساسيًا لمعرفة العرب حتّى بالنسبة للعرب أنفسهم .

لقد أنصف الإسلام و الثقافة العربية و انتقد بعض المظاهر الإسلامية إلى جانب الإصلاحات الّتي يراها ضرورية ليواكب الإسلام العالم الّذي نعيش فيه اليوم ، فمشكلة الإسلام اليوم في اعتقاد بيرك " ذلك الإنفصال الّذي يمكنه أن يتفاقم بين مواقف العقيدة و مسيرة العالم الفعلية ، بل مسيرة العالم الإسلامي نفسه ، فالإسلام يبحث عن ملجأ باتجاهه إلى الأصول إلاّ أنّ عدم إمكانية إخضاعها إلى النقد التاريخي و نقلها إلى الحاضر ، فإنّ ذلك لا يعيد لها قوتها الأصلية إذ إنّ " الذكر الحقيقي هو الّذي يحول الذكرى إلى مستقبل و هي عملية خلاقة تدمج العصرنة بالأصالة و تبدو لا غنى عنها في مواجهة هذه التجديدات الّتي يجب على كل نظام في العالم أن يقترح حلولاً ممكنة "[1].

فالإشكالية الدقيقة الّتي شغلت عالم الإجتماع المتخصص في الدراسات الأنثروبولوجية للعالم الإسلامي تكمن في إشكالية وازدواجية الأصالة والمعاصرة . لاحظنا أنّه ينطلق من الواقع المعاصر الّذي تحكمه الحداثة و العصرنة ، فكيف يمكن التوفيق بين مواقف العقيدة و مسيرة العالم الفعلية ؟ و ما إمكانية الربط بين ماهو أصل

[1] –Jacques Berque : le coran essai de traduction , p 73.

و التحولات الإجتماعية للحياة المعاصرة ؟ هل يتصور أن تكون الأصالة الإسلامية والعربية حائلاً بين العرب و المسلمين و بين التقدم العلمي و التقني ؟ ويقدم نفسه على أنّه " أنثروبولوجي وعالم إجتماع مختص في دراسة العالم العربي وليس مستشرقًا "[1] .

و لم يكن العالم العربي الإسلامي عنده مجرّد موضوع للدراسة " بل كان عنده همًا فكريًا و وجدانيًا كذلك ، و لعل أبرز ما كان يميز هذا الهم هو ربطه بين ماضي هذا العالم و حاضره في إطار العصر الراهن فضلا عن معالجة هذا الهم في ضوء مفاهيم عقلانية تنتسب إلى العلوم الإجتماعية في الوقت نفسه مع خصوصية هذا العالم العربي الإسلامية "[2].

إنّ الهاجس الّذي شغل فكر بيرك ينبغي أن يشغل فكر كل مسلم يعتمد الوسطية في اتجاهه الإسلامي ممّا يثبته على الحق ، لأنّ من واقع الناس أنّ منهم من يعيش خارج عصره إمّا نفورًا من العصر أو خوفًا منه ، أو ضعفه أمام إغراءاته مغاليًا في ذلك فانحرف عن فهمه على وجهه الصحيح و منهم من يندمج في العصر إلى حدّ الذوبان والإنسلاخ عن كل ماهو أصيل . وهذا ما جعل المسلم الّذي لا يؤمن بالفكر الوسطي الّذي يعد من خصائص هذا الدين { وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... }[3] لا يستطيع أن يقدم الإسلام للعالم بالصورة الصحيحة الّتي تقنع العالم الآخر ، عالم العصرنة والحداثة و غيرها .

و هذا ما يبعث على الهم بشكل دقيق لأنّ واقع المسلمين المر لا يمثل في حقيقته لا أصالة و لا معاصرة تفوق الغرب في الإكتشافات العلمية الّتي أسرت عقول الناس وتأخر المسلمون رغم امتلاكهم لأعظم معجزة ، كتاب اللّه الّذي لم يغادر لا صغيرة و لا كبيرة إلاّ أحصاها ، إذ قال تعالى : { وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ

---

[1] - Jacques Berque : Arabies entretiens , p 187 .

[2] – محمود أمين العالم : أندلسيات جاك بيرك ، ص 30 .

[3] – سورة البقرة : الآية 143 .

لِلنَّاسِ... }[1] . ومن الّذين حملوا همّ هذه الأمة وفكروا في صلاحها يوسف القرضاوي

الّذي يرى" أنّ أمة سورة الحديد لم تتعلم صناعة الحديد (...) وقوله { **فِيهِ بَأْس شَدِيد** } إشارة إلى الصناعات الحربية وقوله { **مَنَافِع لِلنَّاس** } إشارة إلى الصناعات الحديثة و نحن للأسف لم نتقن أيًّا منها "[2] .

" جاك بيرك يؤكد على نداء النص إلى العقل و انفتاحه إلى التجديد و الإبتعاد عن الجمود "[3] .

و أحسن رد على هذه الدعوة هو أنّ العقل لا يهتدي إلاّ بالشرع .

" نستطيع أن نقرأ القرآن بطريقة تتماشى مع مسيرة التطور العالمي في الوقت الحاضر "[4]

و هذه القراءة المعاصرة للقرآن تطرح إشكالية عويصة لدى الفكر المسلم فقد لاقت دعوته هذه انتقادات من طرف الباحثين المسلمين ، إذ تعترض زينب عبد العزيز على نداء جاك بيرك للتجديد و إعمال العقل فتقول : " لا يسعنا إلاّ أن نقول لكبير المستشرقين بدلاً من البحث بأية أسانيد مبتورة ، أو مفتعلة للترويج لعملية تغيير ، أو تطوير النص القرآني و مفاهيمه ، ليتك حاولت فهم الفرق بين الاستقرار و الجمود ، بين الثبات و الرسوخ ، و ثبات المبادئ – الّتي هي من دعامات الإسلام – و بين الحركة الدائبة و التغيير والتبديل و عدم الاستقرار الّتي هي من آفاق الغرب – فعلى حد قول الفيلسوف الفرنسي رنيه جينون الّذي أسلم و اختار اسم عبد الواحد يحيى ، و أمضى آخر عشرين عامًا من حياته في فهم الإسلام و الدفاع عنه " إنّ الثبات ، أو

---

[1] – سورة الحديد : الآية 25 .

[2] – يوسف القرضاوي : الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة و المعاصرة ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، 1421هـ/2001م ، ص 119 .

[3] – زينب عبد العزيز : ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك ، دط، دار الهدى ، القاهرة ، مصر ، 1994 ، ص 20 .

[4] - Jacques Berque : une cause jamais perdue : p 76 .

الاستقرار ليس ما هو مناقض للتغيير ، و إنّما ما هو أعلى و أرقى منه " .. و هنا لا يسعنا إلاّ أن نقترح على السيد المستشرق أن يقرأ بعض مؤلفات عبد الواحد منها : " أزمة العصر الحديث""[1].

وبالمقابل لم يتردد جاك بيرك في قراءة كتاب رنيه جينون منتقدًا ما جاء فيه برد ، وهذا نصه : " و عن كتاب رنيه جينون الّذي صدر عام 1927 حول أزمة العالم الحديث يقول بيرك : نحن نجد فيه بعضا من الموضوعات الأكثر تخريبًا بالنسبة للمدينة الصناعية (...) و علينا نحن أن نستبقي من تحليل جينون ما يتضمنه من دقة موضوعية حول الجانب القديم النمط من الشرق وكذلك ما يختلج فيه من رعشة روحية ، و لكن اختياره يبدو للناشطيين الشرقيين مثلما يبدو لنا مشوبًا بنزعة التعلق بالماضي ، و لنقلها بصورة حاسمة بالإتباعية (أو بالتقليد) رغم أنّ هذه التهمة كانت دون ريب سوف ترفض باستفضاع شديد من قبل المعلم "[2] .

يبدو أنّ جاك بيرك لم يساند رنيه جينون Guenon فيما ذهب إليه في رؤيته لهذه الإشكالية إذ لم يوفق في نظره في تقديم تحليل دقيق للمسألة إذ لم يحسن الجمع أو الربط بين ما هو أصيل و التحولات الإجتماعية للمدنية الصناعية بشكل صحيح ، إذ ركز على التقليد الّذي يعيق التأقلم مع ما هو معاصر .

و لقد أجاب فهمي جدعان جوابًا شافيًا عن هذه المسألة :
" إنّ المنهج العصري لا يجوز أن يعني مجرد الإنتقال من جمود إلى جمود آخر أو من تقليد إلى تقليد آخر مثله ، و إنّما ينبغي أن يعني التحكم في الحرية الإنسانية الّتي تتزع إلى فتح آفاق التقدم الإجتماعي و الإقتصادي و الروحي على أساس الإيمان بكرامة

---

[1] – زينب عبد العزيز : ترجمات القرآن إلى أين ؟ وجهان لجاك بيرك ، ص 102 .

[2] – جاك بيرك : العرب من الأمس إلى الغد ، ص44 .

الإنسان و بالحرية و بالعقل و بالروح في إطار من تحقيق " الأصلية " الأساسية للأمة ، تلك " الأصلية " الّتي تحول بين المسلمين وبين أن يأخذوا " منتجات العهد الحديث " و الإنتاج الغربي " دون نفاذ إلى أعماقها و التأكد من قيمتها الحقيقية و التحكم في استخدامها "[1] .

إجتهد بيرك في عدة مناسبات في التعريف بالإسلام على حقيقته و ميّز بين الإسلام الّذي درسه و عرف به ، ومفهوم الإسلام الّذي ظهر في عصرنا وانحرف عن الصواب في حين أنّ الغرب لم يفرق بينهما .
" إنّ التيار الفكري الّذي تخدمه فلسفة جاك بيرك الحضارية تيار إسلامي في أساسه ، إسلام لا يهدف إلى معارضة المذاهب الأخرى بقدر ما يهدف إلى احتوائها وتجاوزها ، وهنا تكمن أهمية أبحاث جاك بيرك لأنها ترجع للدين أهميته "[2].

و من المفكرين العرب الّذين أعجبوا بآراء بيرك حول الإسلام ما ورد في مقال في مجلة الأصيل قال فيه صاحبه : " رفض جاك بيرك في البداية بشدة انتمائه إلى " المستشرقين " و فضل أن يلحق " بدارسي الإسلام " (Islamologues) والّذين يحسنون اللّغة العربية (Arabisants) إذ رأى في الاستشراق نظرة أحادية للغرب وحذر من هذا الخطأ الّذي وصفه بالتركيز على الفكر الأوروبي أساسًا) (eurocentrisme فنسب له الغرب مفاهيم ليست صحيحة و اتهمه بالتواكل (Fatalisme)في حين أنّ القرآن الكريم يعرّف صراحة بحرية الإنسان وبمسؤوليته الكاملة ، و سجل كذلك خطأ آخر وقع فيه الغرب و هو أنّ الإسلام دين

---

[1] – فهمي جدعان : أسس التقدم عند مفكري الإسلام ، دط ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، 1989 ، ص 338 .

[2] – يوسف اليعقابي : فلسفة الحضارة عند جاك بيرك ، رسالة لنيل شهادةالماجستير، قسم الفلسفة ، كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية ، جامعة الجزائر،1986-1987 ، ص 67 .

التعب (Fatalisme) "[1] .

ووجه البروفيسور جاك بيرك نداءً إلى فرنسا بضرورة انفتاحها على الدول الإسلامية ، و لذلك و في 23 نوفمبر 1997 اقترح الوزير في مدينة ستراسبورغ تأسيس معهد للبحوث و التعليم الإسلامي من أجل فهم هذا الدين الكبير و التعريف به بشكل أفضل ، ثم يردف جان بيير شوفنمان قائلاً : لقد كان مستشاري في هذه الشؤون العربية و الإسلامية دائمًا البروفيسور جاك بيرك و معلوم أنّ جاك بيرك كان قد شغل في أواخر حياته بتقديم ترجمة فرنسية كاملة للقرآن الكريم (...) و بالتالي فالقرآن الكريم هو كتاب عقلاني ويعترف بالعقل على عكس ما يتوهم الكثيرون من الأوروبيين "[2] .

عضو مجمع اللّغة العربية بالقاهرة ، و الأستاذ الفخري في الكوليج دو فرانس و عالم الإجتماع و المستشرق يرى أنّ " الأصالة لها علاقة بالجذور ، و ما دام العرب يبحثون عنها في تصرّفاتهم ، فهل هذا يعني أنّهم يتمسكون بالماضي فقط بدلاً من التأقلم مع المعطيات الجديدة أو الرغبة إنّما في الذهاب إلى الأمام "[3].

لقد حدّد الإسلام التعامل مع الآخر على أساس التعارف {... وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ... }[4] ، و هذا التعارف ينبني على قيمة جوهرية هي السّلام فقد كانت فكرة التوحيد بمثابة الخطوة الحاسمة في إرساء السّلام بدءًا بصميم التصور الإنساني للعالم . فالشرك بما يتركه من تمزق في عالم التصور ، أيضًا من صراع في واقع الكيانات الإجتماعية و الثقافية لقي نهايته مع الحدث الإسلامي ، فحركة الإسلام

---

[1] – أبو عمران الشيخ : جاك بيرك و مقاله الأخير ، أي إسلام ؟ ص27 .

[2]– من كتاب جان بيير شوفنمان : تحديات جمهورية الإسلام في فرنسا ، قضايا و إشكاليات .

أنظر : http://fr. persee . fr .

[3] – Jacques Berque : une cause jamais perdue , p 50 .

[4] – سورة الحجرات : الآية 13 .

تجاه الآخر إمّا اكتشاف له و تعرفًا عليه و بالتالي اقتباسًا منه ، من هذا { قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ... }[1] ، و إمّا أن تكون هذه الحركة انقاذ للآخر وانتصارًا للمهمشين ، و معركة من أجل إقرار العدالة الإجتماعية "[2].

كان جاك بيرك خبيرًا في التربية الأساسية و الّتي يقصد بها القيم و الثوابت محترمًا المجتهدين من هذه الأمة و مدافعًا عن العرب لما يكون الحق معهم مع الحفاظ على هويته و أصالته متمسكًا بجذوره متأقلمًا مع واقعه . لذلك يمكننا التأكيد على أنّ التجديد لا يكون في الدين و إنّما في الفكر الديني إذ " لا يحبذ جاك بيرك تعلق المسلم بعادات يعززها الإنتساب العام و تقاليد الأجداد و التقيد من كل الجهات و الأعراف "[3].

لقد وفق جاك بيرك نسبيًا في تحليله هذا ذلك لوجود أعرف فاسدة التزم بها المسلمون بمثابة أحكام شرعية لا يجوز المساس بها .

أما عن الأعراف الصحيحة فليس في الإسلام حرج من ممارستها طالما لا تتصادم مع الأحكام الشرعية الثابتة النص .

للعالم العربي الإسلامي خصوصية تختلف عن خصوصية العالم الغربي و وجب على المسلمين التمسك بأصالتهم و هويتهم ، كما تمسك جاك بيرك نفسه بهويته و أصالته و لم يحدث قطيعة مع الذات و لم يذعن للأمر العالمي الجديد حتّى يضمن لثقافته التطور و التقدم ، فيجب على علماء العصر الإجتهاد والتجديد اقتداءً بالسلف ، و في هذا يقول القرضاوي : " إني معجب بالمدرسة السلفية التجديدية الّتي تتمثل في شيخ الإسلام ابن تيمية و تلميذه الإمام ابن القيم ، ولكن أخالفهما في بعض القضايا و أنا

---

[1] – سورة العنكبوت : الآية 20 .

[2] – هاني إدريس : حوار الحضارات ، ط 1 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ،2002 ، ص 35 .

[3] – جاك بيرك : القرآن و علم لقراءة ، ص 83 .

بهذا أطبق – في واقع الأمر – منهجهما فقد دعوا إلى الإجتهاد لا التقليد و لو قلدهما لخالفت منهجهما "[1].

فالثابت و المتغير في الشريعة ينبغي أن يفهم على حقيقته ، فالمتغير هو ما يتطرق إليه الإجتهاد ، و هذا أكبر دليل على الإنفتاح ، أمّا الثابت في الشريعة يتعلق بالجانب العقائدي ، فلا يجحد أهميته الأخلاق و الثبات عليها إلاّ مكابر فلا يتصور – عقلاً – أن نجتهد في تغيير فضيلة الصدق برذيلة الكذب الّتي تحط بصاحبها في أعين العقلاء ، و لا فضيلة العفة برذيلة الفاحشة و تشاع باسم الإنفتاح .

إنّ الثورة الصناعية هي حصيلة الإرتقاء العلمي الّذي ساهمت فيه شتى الأجناس والحضارات و الأمم الكبرى تستغل تفوقها الصناعي في دعم فلسفتها الفكرية ومذاهبها الإجتماعية .

و" لقد تقدمت اليابان منذ أكثر من قرن و لم يجد رجالها حرجًا من الإنتفاع بالعلم العصري في مجاليه النظري و التطبيقي دون أن يعلنوا حربًا على ماضيهم و دون أن يشتبكوا مع الشعب في حرب ليصرفوه عن ديانته الوثنية ، و تقدمت الولايات المتحدة في ميدان الإرتقاء العام مع حرصها البالغ على حماية شتى المذاهب الكنيسة ، بل على نشرها هنا و هناك و لنترك اليابان وأمريكا ، و لننظر إلى اسرائيل إنّ قيام دولتها على الدين حقيقة أوضح من فلق الصبح "[2] ، لقوله تعالى : {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... }[3]. " و الشهادة لا تتحقق إلاّ بالمعاصرة ، فالّذي لا يعايش المشاكل الحديثة و دراسة جذورها لا يكون شاهدًا على عصره "[4].

---

[1] – يوسف القرضاوي : الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة و المعاصرة ، ص96 .

[2] – محمد الغزالي : حصاد الغرور ، تحقيق و تعليق مسعود فلوسي ،دط ، دار ريحانة للتشر و التوزيع ، الجزائر ، دت ، ص 280 .

[3] – سورة البقرة : الآية 143 .

[4] – محمد الغزالي : المرجع السابق ، ص 280 .

لم نلاحظ تصادمًا بين الفكر الغربي من منظور جاك بيرك و الفكر الإسلامي في تحديد مفهوم التمسك بالأصالة إذ يدعو الإسلام إلى المعاصرة في ظل المبادئ الكبرى للنظام الإسلامي و معايشة المشاكل الحديثة و دراسة جذورها لأنّ الثقافة الإسلامية " ثقافة تنوع فيها الدين بفروعه المتعددة و اللغة و الأدب و الفلسفة و العلوم الطبيعية والرياضية و العلوم الإنسانية و الفنون المختلفة ، فيها فقه أبي حنيفة وأصول الشافعي و كلام الأشعري و تفسير الطبري و رواية البخاري و أدب الجاحظ و معجم الخليل و نحو سيبويه و طب ابن سينا و شعر المتنبي و رياضيات البيروني و تصوف الغزالي وفلسفة ابن رشد وتحليل ابن خلدون و ألحان الموصلي و غير ذلك ؛ فيها سلفية ابن تيمية وصوفية ابن عربي فيها ظاهرية ابن حزم ومقاصدية الشاطبي فيها عقلانية الفلاسفة و التزام الفقهاء ، فيها اجتهاد المجددين و تزمت المقلدين إلى غير ذلك "[1] .

و لتثبيت هذا التنوع الثقافي الإسلامي يجب أن يتوفر لدينا مناخ الحرية الفكرية قوي لنقد بناء لتلك التقاليد الّتي أعاقت دخول الإسلام و ليس مجرد الإنتقال من تقليد إلى تقليد آخر و إنّما الجهاد بالعقل و الروح للحفاظ على حرية الإنسان و كرامته الّتي تحفظ أصالته بمنهج وسطي و هو أفضل الأسس للربط بين ما هو أصيل و ما هو معاصر .

فلا يمكن الدعوة إلى التجديد من طرف واحد فقط ، و هو الطرف الغربي لإحداث تغييرات عميقة للتقنيات الحالية في مصطلحات الشريعة قصد التأقلم لا مع الذات المنتجة كثقافتها الخاصة و لكن للتأقلم مع الآخر الّذي أنتج ثقافته الخاصة . فدعوة عالمية الثقافة مغالطة مكشوفة لأنّ الثقافة غير العلم المحض القائم على الملاحظة التجربة " فهذا العلم التجريبي عالمي حقًا ، فقوانين الفيزياء والكيمياء والفلك والتشريع و الطب و غيرها قوانين عامة لا تتأثر بدين و لا وطن "[2] . فدعوة جاك

---

[1] – يوسف القرضاوي : الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة و المعاصرة ، ص31-32 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 119 .

بيرك إلى إعادة قراءة القرآن لا يتناقض مع ما ذهب إليه علماؤنا من بينهم الزركشي ؛ فمن منظوره لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه لأنه كلام الله (...) فلا نهاية لفهم كلامه وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله عليه . وهذا ما يفسر وجود تفاسير كثيرة للقرآن و تراجم لمعانيه ؛و لا يفهم كلام الله إلا عاقل باعتبار العقل مناط التكليف ؛ وقد نص القرآن على إعمال العقل بقوله **{ أَفَلاَ يَعْقِلُونْ }** فتبنى جاك بيرك هذا النص لفهم كلام الله بشكل أدق وأعمق انطلاقا من النص نفسه ذلك لأنّ العقل ليس هو المرجعية الّتي يعود إليها المسلمون لأنّهم أمة النقل ، فأمة الوحي تسترشد بالوحي ولا تلغي دور العقل فلا تفصل النقل عن العقل ، لأنّ العقول تتفاوت ، إنما يحكم العقل في تبيان النص لقوله تعالى : **{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ وَلَعَلَهُم يَتَذَكَّرُون }** .فلقد بين الرسول صلى الله عليه و سلم لقومه كلام الله مخاطبا عقولهم ؛ إلا أنه لم يفسر لهم القرآن كله تاركا ذلك لاجتهادات العلماء عبر الأزمنة بما ينفع أمته ؛ لأنه لو فسر القرآن كله بعمق وسعة علم لايفوقه علم لما استطاع الناس من قومه فهمه ؛ ولو بسط شرحه ليوافق سطحية تفكير عقولهم لحكم الناس من هذا الزمن بعدم قدرة القرآن على الإجابة على أسئلة العصور المتجددة ولا سيما هذا العصر الحافل بالمستجدات التي فرضت على علماء الأمة الإهتمام بالاجتهاد لحل قضايا الأمة بالعمل على حركية النص القرآني لأن العقل لا يهتدي إلا بالشرع .

الفصل الثالث

دراسة تطبيقية تحليلية لبعض معاني ألفاظ القرآن الكريم

✓ **المبحث الأول**:الوحدة والتناسق في آيات القرآن من منظور جاك بيرك.

✓ **المبحث الثاني**: إشكاليات الترجمة المتعلقة باختلاف التفاسير القرآنية.

- **النموذج الأول**: ترجمة معنى لفظة "خاتم النبيين".
- **النموذج الثاني**: ترجمة معنى لفظة "يخفي".

✓ **المبحث الثالث**: أخطاء ترجع إلى سوء فهم الكلمة.

- **النموذج الأول**: ترجمة معنى لفظة "نصر".
- **النموذج الثاني**: ترجمة معنى لفظة "الميعاد".
- **النموذج الثالث**: ترجمة معنى لفظة "الروم".

✓ **المبحث الرابع**: أخطاء ترتبط بمفاهيم و مصطلحات لها تميز في الإسلام .

- **النموذج الأول**: ترجمة معنى لفظة "الأمّي".
- **النموذج الثاني**: ترجمة معنى لفظة "أعجمي" .

✓ **المبحث الخامس**: أخطاء تتعلق بعكس ترتيب الآيات القرآنية.

- **النموذج الأول**: ترجمة معنى الآية 52 من سورة يوسف.
- **النموذج الثاني**: ترجمة معنى الآية 15 من سورة الشورى.

✓ **المبحث السادس**: إضافة عبارات زائدة على النص القرآني وإغفال عبارات أو جمل لم تترجم أصلاً.

- **النموذج الأول**: إضافة عبارات زائدة على النص القرآني.
  - **أولاً**: إضافة عبارة "في العالمين".
  - **ثانيًا**: إضافة عبارة "لفظة من الليل".
- **النموذج الثاني**: إغفال عبارات أو جمل لم تترجم أساسًا.
  - **أولاً**: حذف خمس كلمات من الآية 110 من سورة المائدة
  - **ثانيًا**: إغفال عبارة من الآية 96 من سورة يوسف.

✓ **المبحث السابع**: إفراد ما جُمع و جمع ما أُفرد في القرآن واختيار البناء للمعلوم عوض البناء للمجهول.

- **النموذج الأول**: إفراد ما جُمع و جمع ما اُفرد .
  - **أولاً**: إفراد ما جُمع في القرآن في الآية 204 من سورة الأعراف و الآية 131من سورة النساء .

1. إفراد ما جُمع في الآية 204 من سورة الأعراف .
2. إفراد ما جُمع في الآية 131 من سورة النساء .
   - **ثانيًا**: جمع ما اُفرد في الآية 151 من الأعراف و الآية 111 من سورة الإسراء .

1. جمع ما اُفرد في الآية 151 من سورة الأعراف .
2. جمع ما اُفرد في الآية 111 من سورة الإسراء .

- **النموذج الثاني**: إختيار البناء للمعلوم عوض البناء للمجهول .

تمهيـــــــــــــد :

من الملاحظ وجود ترجمات تفسيرية كثيرة لمعاني القرآن باللغات الأجنبية وعلى الرغم من ذلك نجد ترجمة تفسيرية جديدة للمترجم جاك بيرك حاول من خلالها أن يوصل المعاني للقراء باللغة الفرنسية معترفًا بصعوبة الترجمة لأن المتصدي لتفسير كتاب الله يجب أن يكون دقيق الحكم، شامل النظرة مستحضرا للآيات كلها وقافا عند حدودها وفي هذا يقول جاك بيرك :
"لا أقول إنّ لي المؤهلات الكاملة ، يجب أن تكون دراسة مستمرة للنص بالإضافة إلى الإستفادة من هذه التفاسير"[1].

و لقد اهتم المستشرق الفرنسي جاك بيرك في واقعنا المعاصر بترجمة القرآن وتفسيره إذ كان آخر عمل ختم به بيرك مشواره العلمي قبل وفاته هو ترجمة معاني القرآن الكريم أو "إعادة قراءة القرآن" الذي يشكل قاعدة مشتركة للتفاهم والتواصل والتبادل الثقافي بين مختلف الشعوب.

ولقد كلفه هذا العمل الجبار الذي لفت إليه الأنظار ستة عشر عاما من البحث والدراسة والتحقيق ذلك أن عملا في مثل هذا الحجم والأهمية يستدعى الحيطة والحذر وكثرة الإطلاع، ومن هنا فقبل الشروع في الترجمة " اطلع بيرك على أمهات التفاسير مثل الطبري والرازي وابن كثير والزمخشري والطاهر بن عاشور، واستعان بكتب البلاغة واللسانيات، ورجع إلى ترجمات المستشرقين التي لم يرض عنها في كثير من الأحيان ، وخاصة فيما يتعلق بآرائهم في قصص القرآن ".[2]

---

[1] - Jacques Berque : le coran essai de traduction , p 12 .

[2] – محمد العربي ولد خليفة : بيرك المفكر والإنسان من فرندا إلى سان جوليان، ص45.

قسم جاك بيرك ترجمته التي وضعها تحت عنوان "ونحن نعيد قراءة القرآن" En relisant le coran إلى خمسة أجزاء[1]هي :

–"جمع القرآن الكريم.

– اللغة (أو إعجاز القرآن).

–المعنى (أو غايات النص القرآني).

–الاستشراق

–نظرة إجمالية

تحت هذه العناوين قام المترجم بمجهود كبير مستعينا بمعارفه في تحليل الأديان (أنثرولوجيا الأديان)، فضلا عن الملاحظات والتعاليق التي يقدمها عن المسلمين اليوم وهم يبحثون عن مخرج بالرجوع إلى المبادئ والأصول دون أن توضع الأصول في منظور النقد التاريخي وفي سياق الحاضر، فإن تلك الأصول والمبادئ لن تعيد لهم قوتهم التكوينية "[2].

و سنتناول في هذا الفصل (التطبيقي) مسألة ترجمة بعض معاني ألفاظ القرآن الكريم من منظور جاك بيرك بالدراسة و التحليل .

---

[1] - Jacques Berque : le coran essai de traduction , p 66 .

[2] - محمد العربي ولد خليفة : بيرك المفكر والإنسان من فرندا إلى سان جوليان، ص45.

المبحث الأول : الوحدة و التناسق في آيات القرآن من منظور جاك بيرك .

القرآن وحدة لا تتجزأ ، وتعاليمه وأحكامه مترابطة متكاملة بين بعضها البعض ، ما يشبه الوحدة العضوية بين أعضاء الجسم الواحد ، إلاّ أنّ نظرة جاك بيرك للاستشراق في دراسته موضوع الوحدة والتناسق في آيات القرآن تختلف عن نظرة غيره من المستشرقين . وإذا كان علماء القرآن يسعون لإثبات هذا التجانس عن طريق البحث عن الروابط والعلاقات فإن جاك بيرك ينطلق من الافتراض نفسه من خلال بحثه عن الوحدة والتناسق في آيات القرآن حيث يرى " أنّ الاستشراق في دراسته للنص القرآني مسلما بعاداته في المنهج التاريخي، فقد أسس نفسه على التسلسل التاريخي للنزول، وكان هذا منه إفراطا إلى حد ما من وجهة نظري، ولقد انطلق هذا الأمر من مكتسبات علم الأديان المقارن (...) ولكنني لست مقتنعا قناعة كاملة بأنه يلائم هذه الرسالة، ويعود سبب ذلك لأنه يجب أن نأخذ نظام هذا المجمع مأخذ الجد من جهة، فهو يمثل حرفيا، ذلك النظام الذي تبناه الوحي الإسلامي لنفسه، وإنه ليخبرنا وجوديا على الأقل عن التصنيف الأولي للإسلام نفسه، وإنه لنظام لم يعد من الحكمة أن نقيم نظامنا بديلا عنه، كما يجب أن نفعل هذا من جهة أخرى بسبب السمة التوحيدية لعقيدة التوحيد البدئية، وكيف يمكن الزعم بهذا الخصوص بأنها لم تكن بدئية بمقدار ما كانت قطعية، وأنها لم تكن محددة في البداية كما كانت في النهاية"[1].

يبدي بيرك عدم اقتناعه من موقف الاستشراق في دراسته للنص القرآني ويرى في ذلك إفراطا يتمثل في تأسيس منهجه على التسلسل التاريخي للنزول منطلقا من الكتابة التاريخية للكتب السابقة مثل التوراة والإنجيل إذ فكر في ترتيب القرآن ترتيبا تاريخيا لا توقيفيا، لأن العقل البشري يؤطر في الزمان والمكان ومن المستشرقين الذين نهجوا

---

[1] – جاك بيرك : القرآن وعلم القراءة ، ص35-36.

منهج النقد التاريخي في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره المستشرق الفرنسي رجيس بلاشير الذي عمل على ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغته الفرنسية مركزا في ذلك على إعادة ترتيب القرآن ترتيبا تاريخيا إلا أن المترجم بيرك يرى باستقلال القرآن عن التاريخ لأنه ليس مقتنعا حسب اعترافه أن الترتيب التاريخي يلائم الرسالة المحمدية ويؤكد بأنه النظام الذي تبناه الوحي الإسلامي لنفسه ويعترف أنه نظام لم يعد من الحكمة أن نقيم نظامنا بديلا عنه. وهذا يعد من المسائل التي شغلت فكر المترجم إذ بحث عن الوحدة والتناسق من خلال الوحدات الفرعية (السور) والأقسام الداخلية (الآيات)، وهذه المحاولة لمقاربة النص القرآني من الناحية الشكلية أما محاولة بيرك مقاربته من داخله تكمن في ما لاحظه ، من خلال قوله :

" لقد لاحظنا منذ وقت مبكر أنه تهيمن مقدما في كل سورة هذه الفوضى الشائعة التي تكلمت عنها والتي تثبط جدا همة القراء الغربين، أجل إن كل سورة هي سورة متعددة الموضوعات ، ولقد كان هذا من قبل هو حال الشعر قبل الإسلام ، ثم إن كل جزء من سورة ما نجده متعدد المستويات ويتكرر غالبا "[1].

ويعزز محمد أركون رأي جاك بيرك في المسألة قائلا :" من الواضح أن هناك اختلافات كثيرة بل وكبيرة بين سور القرآن المختلفة فأحيانا ينتقل القرآن فجأة من موضوع إلى آخر لا علاقة له به على الإطلاق ولذا يجد الكثيرون صعوبة في قراءة القرآن أو في فهمه"[2]. فهو لا يقر بتوقيفية القرآن ، ولا يستطيع ملاحظة الوحدة والتناسق بين آياته ،إذ أشار إلى ظاهرة الاستطراد في القرآن الكريم وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على أنّه لم يقف على روح المعاني القرآنية لذلك وجد صعوبة في قراءته و فهمه كما وجدها ريشار بيل Richard Bellوموقفه من جمع عثمان

---

[1] – جاك بيرك : القرآن وعلم القراءة ، ص41.

[2] – محمد أركون : القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني معلومات النشر، ط1 ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، 2001 ، ص 37-38 .

رضي الله عنه للقرآن ؛ إذ ذهب هذا الأخير إلى أن" هذا الأمر لصحيح إلى درجة أن أحد المستشرقين الإنجليز وهو من أكثر الناس وضوحا واسمه ريشاربيل Richard Bell كان قد افترض في دراسة كتبها عام 1937 أن المجموعة التي كلفها عثمان بجمع القرآن قد عثرت أحيانا على وثائق تثبت وجود متغيرات خاصة بالسورة نفسها وإنها إذ لم تجرؤ أن تختار بينها فقد ضمت بعضها إلى بعض ولعل هذا ما يفسر التكرارات التي نلاحظها في بعض المواضع من القرآن والقفز المتتابع للمعنى"[1].

و لايساند جاك بيرك هذين المفكرين فيما ذهبا إليه إذ اختلف عنهما في رؤية هذه المسألة قائلاً :

" أما فيما يخصني فلا أعتقد بأن هذا هو التفسير الملائم ، وانظروا لماذا إننا إذا تركنا أنفسنا لقراءة تفصيلية لبعض الآيات ، فإننا سنلاحظ أن نظام العرض يستجيب بشكل احتمالي للنظام "[2].

ونحن نعتقد أنّ منهج الغرب يختلف جذريًا عن منهج المسلمين في مسألة توقيفية القرآن الكريم حيث يرى الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي أنّ :

"حقيقة المنهج العلمي المتبع لدى جمهرة الغربيين أنّهم "عندما يدخلون في مناقشة علمية مع الآخرين ، أو حينما يريدون أن يقيموا فرضية أو حقيقة ما أو عندما يحاولون استخراج علم أو إدراك يقين من نص أو وثيقة في التاريخ ، أن يستخدموا طريقة استنتاجية أولا، ثم إخضاع البحث لمجرد الإرادة والرغبة ثانيا ثم القصد إلى تحريف النقول والنصوص ثالثا "[3].

---

[1] – جاك بيرك : القرآن وعلم القراءة ، ص42.

[2] – المرجع نفسه ، ص 42 .

[3] – محمد سعيد رمضان البوطي : كبرى اليقينات الكونية ، ط8 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، سوريا ، 1982 ، ص34 .

فالمستشرق الإنجليزي ريشاربيل Richard Bell لم يبرهن بدليل علمي على صدق دعواه، فإذا كان إدراك الحقيقة علما فيجب أن يكون المنهج إليها أيضا علما ، ويتلخص المنهج العلمي للبحث عند المسلمين في قاعدة . " إن كنت ناقلا فالصحة أو مدعيا فالدليل "[1] .

وهذا ما جعل محمد سعيد رمضان البوطي يتساءل قائلا :

" فمن أي مصدر استقرائي أو استدلالي أو استنتاجي ثبت أن عثمان هو الذي قسم القرآن إلى سور وآيات وأنه عمد فرتبها كما شاء له هواه وأن هواه قد شاء له أن يرتبها بدءً بأطولها علما بأنه هو الذي فصل هذه طويلة وتلك قصيرة"[2] .

لذلك لا يعتقد جاك بيرك أن ما ذهب إليه المستشرق الإنجليزي ريشاربيل Richard Bell صحيح ، ولا يراه تفسيرا ملائما ودقيقا لأن تعدد المواضيع في نفس السورة القرآنية لا تعد فوضى شائعة كما يعتقد القراء الغربيون لأنهم لم يتمكنوا من استيعاب فقه هذا التعدد والتنوع فخيل إليهم أن القرآن فيه فوضى واعتقدوا أن نظام القرآن يشبه نظام الشعر قبل الإسلام ، لكن جاك بيرك يعترض على هذا الاعتقاد الخاطئ وحجته في ذلك أنه قرأ القرآن قراءة تفصيلية لبعض آياته فلاحظ أن نظام العرض يستجيب بشكل احتمالي للنظام، إنه يحترم منطق تسلسل آيات وسور القرآن ويراها منسجمة ، ويعتقد أن هذا لغز وغيب يتجاوز العقل الإنساني ؛ ونلمس هذا في قوله :" ومع ذلك فإن الإدعاء بأننا قد أمسكنا بسر التركيب لا يزال عنا بعيدا، وإذا لم نحل كما يفعل المؤمن هذه العقبة، بل هذا المحال "إلى الإعجاز فإننا نبين أن كثيرا من الدراسات السابقة على التحليل والتي يمكن أن نؤسس أنفسنا عليها لم تنجز بعد فيما نعلم، وإننا بهذا لنفسر ضعفنا النسبي (أو كسلنا أو تواضعنا)".[3]

---

[1] – محمد سعيد رمضان البوطي : كبرى اليقينات الكونية، ص34.

[2] – المرجع نفسه، ص58 .

[3] – جاك بيرك : القرآن وعلم القراءة ، ص47 .

إنّ الّذي يمكن استخلاصه من فكر المترجم إيمانه بالإعجاز القرآني ، إذ سلم عجزه أمام سر التركيب و لطالما بحث عن الوحدة و التناسق بين سور و آيات القرآن ، وانتهى إلى إحالة ذلك إلى الإعجاز معترفًا بضعفه و عدم قدرته على إيجاد تحليل دقيق غير الّذي يعتقده أهل الإيمان بوحي القرآن . و " تقوى انطباعه عن نظام لا يملك مفاتيحه بكل تأكيد "[1].

فرضًا لو اتبعنا منهج الفكر الاستشراقي في انتقاده لتوقيفية النص القرآني كمعتقد ثابت في الفكر الإسلامي ، إذ يعتقد بعض المستشرقين أنّ العقل البشري يؤطر في الزمان و المكان فمنهم من نهج منهج النقد التاريخي في ترتيب آيات القرآن الكريم و سوره . و من هذا المعتقد نطرح التساؤل الآتي:
هل نظام التأطير الزماني و المكاني لجمع و ترتيب آيات و سور نص مقدس كالقرآن يصلح نظامًا لكل الأزمنة أم يسقط بالتقادم و يخضع للتجديد ؟ وأي تجديد ؟

وتاريخ جمع القرآن ذكر في كتب التراث وقد فصل فيه علماء الإسلام إذ أن كتابة القرآن في حد ذاتها كانت موجودة على عهده- صلى الله عليه وسلم -لأنه كان يأمر صحابته بكتابته مفرقا على الأمور التي سبق ذكرها، أما الذي لم يعرف على عهده هو مسألة جمع القرآن في المصحف.

وفي هذا يقول صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن :
" كتابة القرآن ليست محدثة فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف و العسب ، وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى

[1] – جاك بيرك : القرآن وعلم القراءة ، ص38.

مكان، وكان ذلك بمثابة أوراق وجدت في بيت رسول الله فيها القرآن منتشر فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء "[1] .

هذا و لم يجمع القرآن الكريم ويرتب بين دفتين في عصر النبي- صلى الله عليه وسلم- كما جمع بعد ذلك لأسباب منها أنه لم توجد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم الدواعي التي وجدت في عهد أبي بكر الصديق وعثمان- رضي الله عنهما- وأن القرآن الكريم كان مفرقا على ثلاثة وعشرين عاما، كما أن ترتيب آيات وسور القرآن ليس على ترتيب نزوله، ولو جمع على هذه الحالة لكان عرضة للتغير والتبديل وفي هذا العصر الشيء الكثير، بما أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان على قيد الحياة لاحتمال نزول وحي آخر. وهذا ما يؤكده جاك بيرك قائلاً :

"فلنثبت انتباهنا تحديدا على الخاصة الدالة التي أدخلها جمع القرآن الذي تم القيام به في عهد الخليفة عثمان، (مات 656م) وذلك عندما عين لجنة، يمكن أن نسميها لجنة خبراء، لجمع الأجزاء المتفرقة من الوحي القرآني لوضعها في المصحف، هذا الكتاب الذي يقع الآن تحت أعيننا ومن بين هؤلاء الجامعين، ثمة شخصية ذات أهمية عظمى، إنه زيد بن ثابت* (...) وهي أجزاء مكتوبة على الورق والعظم وسعف النخيل، وكان زيد هذا على صغر سنة من أصحاب الرسول، ولأنه مثقف فقد كان

---

[1] – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ص238.

* – زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوْذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي النجاري ، أمّه النّوار بنت مالك بن معاوية بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، كنيته : أبو سعيد ، و قيل: أبو عبد الرحمان ، وقيل : أبو خارجة . و كان زيد يكتب لرسول الله صلّى عليه و سلم الوحي و غيره ، و كانت ترد على رسول الله صلّى عليه و سلّم كتب بالسريانية فأمر زيدًا فتعلمها ، وكتب بعد النبي صلّى الله عليه و سلّم لأبي بكر و عمر ، و كان أعلم الصحابة بالفرائض .
أنظر : عز الدين أبي الحسن بن علي بن محمد الجزري : أسْد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق الشيخ خليل مأمون ، ط1 ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1418هـ/1997 م ، ج2 ، ص235 .

واحدا من كتابه، ولقد تتبع تعليمات الرسول، وكان "ملهما من الله" فأدخل هذا التقسيم إلى السور"[1].

وما دام ملهمًا من الله فهذا دليل على تأييد الله له بالجمع ممّا يؤكد توقيفية القرآن الّتي لا دخل لا لزيد –رضي الله عنه– ولا للصحابة أجمعين في جمع القرآن الكريم .

وقال أبو بكر رضي الله عنه لزيد :

"إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قال هو والله خير فلم يزل أبوبكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف* وصدور الرجال"[2] .

والسبب المهم الذي أسهم في اختيار الصديق لزيد بن ثابت أنه " لم يكن من كتبة الوحي ومن حملة القرآن فحسب ولكنه فضلا عن ذلك حضر بنفسه آخر تلاوة للقرآن قام بها الرسول "[3].

---

[1] – جاك بيرك : القرآن وعلم القراءة ، ص34.

* – العسيب : جمع عُسْب وعسُب وعُسبان ، جريدة من النخل .

– اللخاف : الواحدة " لخفة " ، حجارة بيض رقاق .

أنظر : المنجد في اللغة و الأعلام ، ط 31 ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، 1986 ، ص505 و ص 718

[2] – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ص235.

[3] - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحدود ، دط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دت ، مج3، ج2، ص98.

ونظرا لثقل هذه المهمة نهج زيد بن ثابت منهجا صارما في جمع القرآن علما أنه كان رضي الله عنه من أشهر حفاظ القرآن الكريم ولقد عرضه على –رسول الله صلى الله عليه– وسلم قبل وفاته غير أنه لم يعتمد على حفظه في كتابة المصحف الشريف بل كان لا يكتب آية إلا بتوفر شرطين :

– الأول : أن يجدها مكتوبة عند أحد الصحابة مما كتب في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم– .

– الثاني : أن يجدها محفوظة عند غيره من الصحابة "[1].

أمّا ما هو شائع لدى الخاصة والعامة من أنّ عثمان –رضي الله عنه– هو من جمع القرآن الكريم غير صحيح لأنّ الجامع هو أبو بكر الصديق —رضي الله عنه– بفكرة من عمر –رضي الله عنه– ولقد استجاب لأمر أبي بكر —رضي الله عنه– بنسخ المصاحف . ويؤكد ذلك ماقاله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي عن عثمان ابن عفان —رضي الله عنه– :

" واعلم أنّه يبدو أنّ عثمان هو أول من جمع المصاحف وليس كذلك، بل أول من جمعها في مصحف واحد الصديق، ثم أمر عثمان حين خاف الإختلاف في القراءة بتحويله منها إلى المصاحف، هكذا نقله البيهقي.

قال : وقد روينا عن زيد بن ثابت أن التأليف كان في زمن النبي– صلى الله عليه وسلم– وروينا عنه أن الجمع في المصحف كان في زمن أبي بكر، والنسخ في المصاحف في زمن عثمان وكان ما يجمعون وينسخون معلوما لهم، بما كان مثبتا في صدور الرجال وذلك كله بمشورة من حضره من الصحابة وارتضاه علي بن أبي طالب وحمد أثره فيه "[2].

والحقيقة أنه لم توضع أية خطة مميزة تحكمت في ترتيب سور القرآن وآياته أثناء جمعه. فعلى افتراض أن اللجنة التي جمعت القرآن وضعت هذه الخطة فتكون بناءً على

---

[1] - جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ص102-103 .

[2] – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ص235.

ماذا ؟ هل بناء على التغيرات الزمانية المستقبلية أم بناءً على زمن معين فقط هو زمن جمع القرآن ؟

وفي هذا المعنى يقول صاحب كتاب مدخل إلى القرآن الكريم :

" أي ضمان تاريخي يستطيع أن يتحصل عليه الإنسان عند وضع مثل هذه الخطة إزاء الأحداث المستقبلية ومتطلباتها التشريعية والحلول المنشودة لها، فضلا عن الشكل اللغوي الذي يجب أن نقدم به هذه الحلول وتوافقها الأسلوبي مع هذه السور بدلا من تلك ؟ وكيف يمكن مجرد تجميع وتقريب هذه القطع المبعثرة بعضها من بعض دون تعديل أو لحام أو صلات، رغم تنوعها الطبيعي وتفرقها التاريخي أن يجعل منها وحدة عضوية متجانسة يتوافر فيها ما نرجوه من التماسك والجمال؟ ألا يصدر مثل هذا المشروع، وقد بلغ هذا المبلغ من الطموح إلا عن حلم خيالي أو عن قوة فوق قدرة البشر "[1].

فأين هي الفوض الشائعة التي تجرأ القراء الغربيون بإثارتها ونفي وجود التناسق في القرآن الكريم، هذا الكتاب الذي لا يشبهه أي كتاب، وأي نظم يدعو إليه هؤلاء؟ ما هو المنهج الذي ينبغي سلوكه ليعاد تنظيم القرآن الكريم؟ هل هو منهج القدماء أم منهج المعاصرين؟ وإذا أخذنا في اعتبارنا منهج المعاصرين ألا يصبح هذا المنهج قديما بمرور الوقت؟

والرأي الذي نميل إليه هو ما ذهب إليه محمد عبد الله دراز في دفاعه عن كتاب الله الذي لم يشبه التحريف ولا النقص المنقول بالتواتر والمحفوظ في الصدور الذي بني تنظيمه بناءً على أحداث مستقبلية غيبية . هذا الغيب الذي لا يعلمه إلا هو يتجاوز قدرات الإنسان الذهنية مهما بلغت من الذكاء أن تخطط لنظام مثله وأن تحفظه على مر الأزمنة دون تحريف .

وقد لاحظنا انبهار المترجم بيرك بأحكام القرآن الكريم من خلال دراسته لتاريخ جمعه إذ يعده أمرا عظيما :

---

[1] – محمد عبد الله دراز : مدخل إلى القرآن الكريم ، ص43.

"إن هذا التباين بين تسلسل تاريخ الأحداث وتتابعها وبين جمع القرآن ليعد أمرا عظيما، ذلك لأنه في الواقع، منذ هذه اللحظة تبدأ هيمنة القرآن المكتوب(...) إلا أن القفزة التاريخية التي أبانها جمع القرآن لم تكن أقل قبولا، فهي أصل النص الذي لا يزال أيضا تحت أعيننا ، وهو نص لم يعترض عليه لا في مجموعه ولا في تفاصيله أحد من الفرق العديدة التي فرقت الإسلام ، فلقد وصلنا إذن وضامنه رواية متتابعة ومجمع عليها "[1].

وهذا ما يبين إعجاز هذا الكتاب، وفي هذا يقول بيرك " سيكون من التناقض أن ينكر المرء أن القرآن وهو الذي نزل خلال عشرين سنة مقطعا منجما، ثم جمع بعد ذلك قد فرض نفسه بشكل فريد جدا، مع أن هذا الشكل لم يكن كيفيا ."[2]

و صفوة القول أنّ الثابت و الراسخ لدى جمهرة العلماء المسلمين الخاصة والعامة أنّ القرآن نقل بالتواتر ، الأمر الذي يعود إلى عبقرية عمر –رضي الله عنه–واجتهاد الصحابة– رضوان الله عليهم– الذين ساهموا في الحفاظ على قدسية النص القرآني ، إذ أحاطهم الله بعنايته أثناء عملية الجمع مما يؤكد أنّ الجامع هو الله إذ ألهم عثمان – رضي الله عنه– وغيره من الصحابة لهذا العمل تحقيقا لوعده بحفظ القرآن الكريم لقوله تعالى : **{ إنّا نَحنُ نَزَّلْنَا الْذِّكْرَ وَإنّاَ لَهُ لحَافِظُون }**[3] .

ولقد لقي عمل عثمان هذا القبول والرضا من أمة الإسلام في عصورها كافة، فقد حفظ الله الأمة أن تختلف في القرآن ومصحف عثمان هو الّذي اعتمدته الأمة إلى اليوم بكل طوائفها وكل مذاهبها وكل مدارسها من فقهية وفلسفية وصوفية وغيرها .

---

[1] – جاك بيرك : القرآن وعلم القراءة ، ص34-35.

[2] – المصدر نفسه ، ص118.

[3] – سورة الحجر : الآية 9 .

المبحث الثاني : إشكاليات الترجمة المتعلقة باختلاف التفاسير القرآنية .

لقد قرأت ترجمات معاني القرآن قراءة تختلف عن قراءات التفاسير الإسلامية مما ولد إشكالية في الترجمة المتعلقة باختلاف هذه التفاسير لدى مترجمي معاني هذه الألفاظ ؛ ولقد وقف جاك بيرك عندها معتمدا في منهجيته على هذه التفاسير المتباينة ؛ ولقد انتقينا نموذجين من نماذج ترجمته:

- النموذج الأول ترجمة معنى لفظة " خاتم النبيين " .
- النموذج الثاني ترجمة معنى لفظة " يخفي " .

- النموذج الأول : خاتـــم النبيين .

يعد أنبياء اللّه تعالى مبلغي التشريع السماوي ؛ خير البشر،لأنهم لم يختاروا أنفسهم لتبليغ الرسالة ؛إنّما اختارهم اللّه لعلمه السابق أنّهم أنقى من في الوجود وأفضل ، تستوي في ذلك عقولهم و قلوبهم إذ يضيفهم اللّه تعالى إلى نفسه تشريفًا و تكريمًا ويسميهم رسل اللّه ، ثم يبعث كل نبي رحمة لقومه أو زمانه حتّى إذا جاء آخر الأنبياء جاء رحمة للعالمين **{ وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِين }** .

و لولا محمد بن عبد اللّه- صلّى اللّه عليه و سلّم- لما عرفنا قصص الأنبياء كما وقعت حقًا ، وكون هذا الأخير خاتم النبيين فقد تباينت الآراء و المفاهيم في الفكر الاستشراقي والإسلامي واختلفت في تحديد مفهوم " خاتم النبيين " ممّا يجعلنا نتساءل هذه التساؤلات :

-ما علاقة الرسول- صلّى اللّه عليه و سلّم- بقومه ؟

-هل العمل المرتبط برسالته هو الأساس في معنى القيمة في حياتهم ؟

-وما هي صفة خاتم النبيين ، هل المراد بها النبي الّذي يختم به خط النبوة الّذي ابتدأ من آدم لينتهي به ؟

-وكيف يمكن أن يكون آخر الأنبياء و عيسى ينزل في آخر الزمان ؟

سنوضح هذا من خلال الآيةالأربعين من سورة الأحزاب والّتي تناولت هذه المسألة، إذ قال تعالى :

{ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ } .

وانطلاقًا من النص القرآني الّذي بين أيدينا والّذي يتناول لفظة "خاتم النبيين" نبيّن الآراء الّتي شرحت هذه اللفظة ، حيث أنّ : " لفظة " خاتم " قد تعني " الخاتم " الّذي يوقع به في نهاية وثيقة ، وهو رمز للنهاية و الختام ، و قد تعني اسم فاعل خاتم

الّذي يختم و يكون الأخير ... جاء في لسان العرب أنّ الخاتَم و الخاتِم من أسما ء النبي صلّى اللّه عليه و سلّم[1]- ، وفي القواميس ثنائية اللّغة ورد بمعنى خاتم , sceau cachet[2] الّذي يوقع به في نهاية وثيقة ، وهو رمز للنهاية و الختام ، و قد تعني اسم فاعل خاتِم الّذي يختم و يكون الأخير .

و قد اختار جاك بيرك معنى الختم الّذي نختم به الوثيقة إذ يقول :

« Muhammad n'est père d'aucun de vos mâles , mais l'Envoyé de Dieu , le sceau des prophètes »[3].

و هي الترجمة نفسهاالّتي اختارتها المترجمة دونيس ماسون* :

« Muhammad n'est le père d'aucun homme parmi vous , mais il est le Prophète de Dieu ; le sceau des prophètes .
– Dieu connait parfaitement toute chose - »[4]

و لاقت هذه الترجمة انتقادًا من طرف المترجمة زينب عبد العزيز* معترضة على اختيار جاك بيرك للفظة " خاتم النبيين " المقابل le sceau des prophètes

---

[1] – ابن منظور : لسان العرب ، مج 2 ، ص 222 .

[2] – دانيال ريغ :السبيل(عربي–فرنسي/فرنسي–عربي) ،مكتبة لاروس ،باريس،فرنسا1999،ص294

[3] – Jacques Berque : le coran essai de traduction , p 452 .

* – دونيس ماسون Denise Masson (1901م– 1994 م) : إشتغلت في البداية في مهنة التمريض حيث عزفت عنها عام 1932 لتكرس حياتها فيما بعد للدراسات الّتي تهدف إلى تبيان أوجه التشابه والإختلاف في الديانات السماوية الثلاث : الإسلام – المسيحية – اليهودية دون اللجوء إلى التوفيق بين المعتقدات . قامت بمحاولة لترجمة معاني القرآن الكريم عام1967 وكان ذلك من خلال أشهر مؤلفاتها تحت عنوان : essai d'interprétation du coran inimitable بالإضافة إلى :
L'eau, le feu et la lumière., d'après la Bible, le Coran et les traditions
أنظر http:fr.wikipedia.org/wiki/denise Masson

[4] – Denise Masson : essai d'interprétation du coran inimitable , p 557

* – زينب مصطفى عبد العزيز (الإسكندرية 1935) : أستاذة جامعية وباحثة في الحضارة وتاريخ الفن بكلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر 1985 ، مترجمة ورئيسة قسم اللّغة الفرنسية بكلية آداب جامعة المنوفية 1992 ، عضو في لجنة العلوم الاجتماعية لجنة العلوم الاجتماعية بهيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسُنة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجان مجمع البحوث الإسلامية إتحاد الكتاب المصريين نقابة الفنانين

بمعنى الختم الّذي تختم به الأوراق " لم يدرك أنّ خاتم هنا اسم فاعل من ختم أي آخر الأنبياء ، و لا نخاله يجهل كلمة ultime بالفرنسية ليقول l'ultime prophète، لكنه إذا صاغها بهذا الشكل لوقع في تناقض مع نفسه وبدا و كأنّه يعترف بنبوة سيدنا محمّد و بأنّه آخر نبي أرسل للعالمين .

و الطريف هنا أنّه لم يترجمها ترجمة حرفية كما يحلو له عادة ليقول le dernier des prophètes، فهذه الصياغة أو التركيبة بالفرنسية بمثابة سبّة وتعني " أخيب الأنبياء " .. و بما أنّه حريص على ألاّ تبدو انتقاداته واضحة من الوهلة الأولى ، فقد استخدم العبارة الشائعة لدى كافة المستشرقين و جعلوا الرسول صلوات اللّه عليه أداة تختم بها الأوراق . و الأكثر طرافة من ذلك أنّه لم يلجأ هذه المرة إلى كتابة الهامش كعادته كلما اقترف إثمًا في حق الترجمة و لم يشر إلى التفاسير "[1].

و صححت المترجمة المعنى المقابل الّذي وظفه المترجم لهذه الآية الكريمة بترجمتها الّتي أكدت من خلالها أنّ المعنى الأنسب للفظة خاتم هو لفظة ultime ، و هذا نص الترجمة :

« Muhammad n'était le père d'aucun de vos hommes , mais le Messager d'Allah et l'ultime Prophète . Allah A toujours Eté Tout – Scient de toute chose »[2].

ويلاحظ هنا أنّ زينب عبد العزيز عملت على استنطاق الرجل بما لم ينطق به مستخدمة منهجًا للشك والتحامل المطلق من خلال قراءتها للنص المترجم متهمة الرجل بالطعن في شخص الرسول- صلّى اللّه عليه و سلّم- واصفًا إيّاه بأخيب الأنبياء حسب اعتقادها و تصوّرها للترجمة الّتي كان من الممكن أن يختارها المترجم ليقول le dernier des prophètes إضافة إلى شدتها في الانتقاد والعمل على استنطاقه

التشكيليين (عضو تأسيسي) . من مؤلفاتها : ترجمات القرآن إلى أين ، وجهان لجاك بيرك ، هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة : لأصولية و الحداثة ..ومن ترجماتها إلى العربية في مجال الإسلام : الإسلام و حضارته لأندريه ميكيل .. أنظر :http:/fr.wikipedia.org/wiki/Zeineb Abdel Aziz

[1] – زينب عبد العزيز : ترجمات القرآن إلى أين ؟ وجهان لجاك بيرك ، ص69 .

[2] – Zeinab Abd El Aziz : le saint coran , p423 .

مرة ثانية باهتمامه بتجنب استعمال الهوامش نظرًا للجريمة الّتي اقترفها في حق الترجمة وهذا أسلوب غير علمي في نقد الآخر .

وأُعقب على ما سبق ذكره بالتأكيد على أنّه إن كان الفكر الاستشراقي ذهب إلى ترجمة هذه اللفظة بالختم الّتي تعنيle sceau ، فإنّ الفكر الإسلامي يتبنى المعنى ذاته، إذ اختار المترجم المسلم حميّد اللّه* نفس المعنى الّذي نقله جاك بيرك ، و هذا نص ترجمته :

« Muhammad n'est père d'aucun de vos hommes , mais messager de Dieu , et sceau des prophètes . Et Dieu demeure savant de tout »[1].

و لقد أضاف شرحًا لمعنى هذه الآية في الهامش يقول فيه :

« Sceau des prophètes le dernier , après qu'il n'y a plus de nouveaux messagers de Dieu , son propre enseignement restant valable pour toujours »[2].

إنّ إضافة الهوامش السفلية يعد تقنية من بين التقنيات المستعملة في ترجمة النصوص لإضافة المزيد من المعلومات عن السياق الثقافي للنص الّذي يراد ترجمته وتوضيحه للمتلقي وهو أسلوب لتوضيح حقيقة جوهرية كما يقول نيدا [3]* الذّي

---

* – محمد حميد الله (1908م–1326هـ / 2002م–1423 هـ) : استنفد عمره وقواه في خدمة الإسلام والمسلمين والإسلام ،قضى جل عمره في فرنسا إذ أسلم على يديه بين30 و 50 ألفًا ، تعلم 22 لغة . ألّف العديد من الكتب أشهرها "مدخل إلى الإسلام" الّذي نقل إلى العديد من اللّغات ، وكتاب "رسول الإسلام حياته وآثاره" في مجلدين وكتاب "مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، إضافة إلى ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللّغة الفرنسية حيث ظهرت الطبعة الأولى عام1959 ، علاوة على أكثر من 2000 مقالة علمية . أنظر : http:/ar.wikipedia.org/wiki/ Hamidullah Med

[1] – M.HAMIDULLAH : le saint coran , p 556 .

[2] – Ibid , p 556 .

* – يوجين نيدا (1914م) Eugène Nida : أحد منظري الترجمة الّذين مارسوا ترجمة النص المقدس المتمثل في العهدين القديم والحديث . بدأ أعماله في عام1943 كباحث في علم اللّغة في جمعية الإنجيل الأمريكية ، كان رائدًا في مجالي نظريات الترجمة واللّغويات . من مؤلفاته : Message and Mession , the Theory and Practice of Translation . أنظر : http://www . lalibre . be / I-isti-recoit-eugene-nida.html

يعتبر أحد منظري الترجمة الّذين مارسوا ترجمة النص المقدس المتمثل في العهدين القديم والحديث.

فهذا الأسلوب يستخدم للتأكيد و التبيان و لا يستخدم عند اقتراف الآثام في حق النص المترجم كما تعتقد زينب خصوصًا و أنّها تبين أنّه لم يستخدمه ، فأين هو الإثم إذن ؟ و الّذي اعتمد هذه الأساليب في نقل المعاني مترجم مسلم كما أسلفنا الذكر ، فهل يحق لنا اتهامه بنفس الإتهام الّذي اتهم به جاك بيرك؛و لو سلّمنا أنّ هذا الخطأ من أخطاء حميّد اللّه ، فهل من حق المترجم المسلم الخطأ و يحرم على غيره من غير المسلمين .

و الغريب في الأمر أنّ ترجمة معنى هذه الآية وردت بالمعنى ذاته في القرآن المقدّس le saint coran الّذي أشرفت على ترجمته الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية و الإفتاء ة والدعوة و الإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، و هذا نصها :

« Muhammad n'a jamais été le père de l'un de vos hommes , mais le messager d'Allah et le dernier des prophètes . Allah est Omniscient »[1].

و دون الاجتهاد في استنطاق الآخر و البحث عمّا يدور في خلده فالمعنى المنقول من هذه الآية واضح و صريح ، فإن صدقت دعوى زينب عبد العزيز في حكمها على النوايا ، فهل نستطيع إصدار الأحكام الّتي صدرت من المسلمين في مقاربتهم للنص القرآني بالدراسة و البحث و الترجمة كما نصدرها على غيرهم ؟

---

[3] – منصرعبده أحمد علي: تقنيات ترجمة النص الأدبي من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية ، دراسة تحليلية مقارنة لنماذج من الأدب الإنجليزي ، أطروحة معدة لنيل درجة الدكتوراه في الترجمة ، قسم الترجمة ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة الجزائر ،2009 ، ص88 .

[1] – الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد :القرآن الكريم و ترجمة معانيه إلى اللّغة الفرنسية ، دط ، دار الكتاب العزيز ، المملكة العربية السعودية ، ص423 .

و أحسن رد نراه صائبًا على هذه الإشكالية رد محمود العزب الّذي يرى "أنّ التراجم كلّها – حتّى ما أجازته منها مؤسسات و هيئات إسلامية معتمدة – مليئة بالإصابات و الأخطاء ، سواء منها ترجمات المسلمين أو ترجمات غير المسلمين . و التراجم يتقادم بها العهد ، و تتجدّد و تنسى ، و النص القرآني العربي الأصلي باقٍ خالد . كما أنّ التفاسير تتعدّد و تتجدّد ، و يقع في الكثير منها آثار ما يسمى الاسرائيليات ، كذلك التراجم ، بل إنّ التراجم أكثر عرضة لظهور الاسرائيليات ، نجدها على وجه الخصوص لدى المترجمين الغربيين "[1].

و بالرجوع إلى التفاسير الإسلامية تحديدًا تفسير القرطبي لاحظنا أنّه قرأ خاتم الأنبياء بكسر الميم " خاتِم " قرأ ابن مسعود ، و قد أورد أحاديث تعضد ذلك ، ومن الأحاديث الّتي استشهد بها ما ورد في صحيح مسلم عن جابر قال : قال رسول اللّه – صلّى اللّه عليه و سلّم- : مثلي و مثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا فأتمها و أكملها إلاّ موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها و يتعجّبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة ، – قال رسول اللّه –صلّى اللّه عليه و سلّم – فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء "[2].

أمّا المفسر صاحب كتاب "تفسير القرآن العظيم" قد جزم بأنّه لا نبوة بعد محمد- صلّى اللّه عليه و سلّم – وأنّ الآية القرآنية نص في ذلك ، و اللّه سبحانه و تعالى من حكمته أن جعل رسالة كلّ نبي تمهيدًا لمن يأتي بعده إذ كل نبي أرسل إلى قومه فقط ، أمّا رسالة محمّد- صلّى اللّه عليه و سلّم- فهي رسالة عالمية لكل البشر و بالتالي لم

---

[1] – محمود العزب : إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم (اللغة و المعنى) ، ص105-106 .

[2] – أبو عبد اللّه بن محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ط5 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1417 هـ / 1996 م ، مج 7 ، ص 127 .

يترك نبينا- صلّى اللّه عليه وسلّم- شيئًا من النصيحة[1]و البيان حتّى يستدركه من يأتي بعده كما يرى المفسر الرازي[2] أمّا الإشكالية الّتي شغلت فكر الزمخشري المتمثلة في نزول عيسى -عليه السلام- في آخر الزمان فكيف يكون محمد- صلّى اللّه عليه وسلّم- آخر الأنبياء وجوابه الجميل أن كون محمد-صلّى اللّه عليه وسلّم- آخر الأنبياء فلا ينبأ أحد بعده و عيسى ممّن نبّئ قبله ، و لقد كذب كل من ادعى النبوة بعد- محمّد صلّى اللّه عليه و سلّم- مثل مسيلمة الكذاب وغيرهم [3].

و من التفاسير الّتي وقع عليها الاختيار واطمأنت إليه النفس لتفسير هذه الآية القرآنية الكريمة تفسير الطاهر بن عاشور و هذا نصه :

" و إذا قد كان الرسل لم يخل عمود أبنائهم من نبيء كان كونه خاتم النبيين مقتضيًا أن لا يكون له أبناء بعد وفاته لأنّهم لو كانوا أحياء بعد وفاته و لم تخلع عليهم خلعة النبوءة لأجل ختم النبوة به كان ذلك غضا فيه دون سائر الرسل وذلك ما لا يريده اللّه به . ألا ترى أنّ اللّه قطع النبوءة من بني اسرائيل بعد عيسى -عليه السلام- صرف عيسى عن التزوج (...) و الآية نص في أنّ محمدًا -صلّى اللّه عليه و سلّم- خاتم النبيين و أنّه لا نبي بعده في البشر لأنّ النبيئين عام فخاتم النبيئين هو خاتمهم في صفة النبوءة (...) و قد أجمع الصحابة على أنّ محمدًا- صلّى اللّه عليه و سلّم- خاتم الرسل و الأنبياء وعُرف ذلك و تواتر بينهم ، و في الأجيال من بعدهم و لذلك لم يترددوا في تكفير مسيلمة و الأسود العنسي فصار معلومًا من الدين بالضرورة فمن أنكره فهو كافر خارج عن الإسلام و لو كان معترفًا بأنّ محمّدًا رسول اللّه للناس منهم.

---

[1] – أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم ، دط ، دار إحياء الكتب العلمية ، دت ، ج3 ، ص493 .

[2] – الفخرالرازي : التفسير الكبير ، ج25 ، ص 215 .

[3] – أبو القاسم جار اللّه محمود بن عمر الزمخشري : الكشاف في عيون الأقاويل ، ص265 .

و قرأ الجمهور " و خاتم النبيين " بكسر تاء " خاتِم " على أنّه اسم فاعل من ختم ، وقرأ عاصم بفتح التاء على تشبيهه بالخاتم الّذي يختم به المكتوب في أنّ ظهوره كان غلقًا للنبوة "[1].

من كل ما تقدّم ذكره اتضح لنا عدم دقة زينب عبد العزيز فيما ذهبت إليه من رأي نحو ترجمة جاك بيرك في إيجاده مقابلاً لمعنى آية خاتم النبيين خصوصًا في مؤاخذتها له بعدم الإشارة إلى التفاسير المعتمدة لإيضاح المعنى ، إذ تبيّن لنا من خلال تصفح التراجم السابقة الذكر و بعض التفاسير الّتي استشهدنا بها في هذه المسألة علمًا من أنّ من ضمن منهجية جاك بيرك في ترجمته التفسيرية الاعتماد على التفاسير و إن لم يذكرها في هذا المقام فقد عمل على ذكرها و الاستشهاد بها في مقام آخر ، و تحديدًا تفسير ابن عاشور لاحظنا أنّ تفسيره لجملة " خاتم النبيين " تحمل المعنى ذاته الّذي ذهب إليه كل من المترجم حميد اللّه و حمزة بوبكر من المسلمين و دونيس ماسون وجاك بيرك من رجال الغرب فبأي حق نؤاخذ الرجل ، فإن أصاب هؤلاء فقد أصاب و إن أخطأوا فقد أخطأ بناءً على إشكالية الترجمة المتعلقة باختلاف التفاسير القرآنية لذلك لا نحبذ التحامل المطلق في نقد الآخر مهما اختلفت عقيدته عن عقيدتنا كما يجب الإلتزام بالنقاش العلمي الهادئ المتمثل في الرّد الجميل الّذي علّمنا إياه الرسول- صلّى اللّه عليه و سلّم- الّذي لاقى اعتراضات كثيرة و تحديات أكبر من طرف المخالف و لم تصدر منه إلاّ الردود الجميلة المقنعة و الموضوعية المتمثلة في منهج المجادلة بالّتي هي أحسن بغض النظر عن سوء نية المخالف أو حسنها ، و لنتيقن أنّ المآخذ حول هذا الدين ستبقى إلى أن يرث اللّه الأرض و من عليها ، ولا نخش على كتاب ربنا مهما تصدى له المخالف فلقد توعّد الخالق بحفظه إذ قال :

{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ }[1].

---

[1] - محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير و التنوير ، ص45-47 .

[1] - سورة الحجر : الآية 9 .

و قد أجمع الصحابة على أنّ الرسول- صلّى اللّه عليه و سلّم- خاتم الأنبياء والرسل ، ولقد تواتر هذا المفهوم عبر الأجيال من عهده - صلّى اللّه عليه و سلّم- إلى يومنا هذا ، لذلك لم يتردد الأوائل ممن تلقوا الوحي منه- صلّى اللّه عليه و سلّم- مباشرة في تكفير مسيلمة الكذاب الّذي ادعى النبوة وكذلك ابتدأ من آدم لينتهي به، وهذا من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة .

و لم يناقض جاك بيرك التفسير الإسلامي في المعنى الّذي نقله و إنّما جاء مطابقًا للمعنى الّذي نقله الطاهر بن عاشور في تفسيره لمعنى الآية الكريمة.

- النموذج الثاني : ترجمة معنى لفظة " يخفي " .

سورة الأحزاب مدنية ، و عدد آياتها 73 ، تناولت الآية الـــ37 منها مسألة في غاية الأهمية تخص بيت النبوة إذ تتعلق بقصة زواجه –عليه الصلاة و السلام– بالسيدة زينب بنت جحش وطلاقها من زيد بن حارثة –رضي الله عنهما– وعتاب الله لرسوله في هذا الشأن ، و الشبهات الّتي أثارها الفكر الاستشراقي حول هذه القضية .

و من ثمّ هل من الصعب على الفكر الاستشراقي فهم طبيعة تشريع الأحكام في الإسلام ؟
و هل المسلك الّذي سلكه الرسول– صلّى اللّه عليه و سلّم– مع زيد مشروع ومطلوب ؟

و من خلال هذا النموذج من النماذج المختارة من هذه الترجمة نبين بعض المعاني الّتي وقف عليها المترجم في تأويله للفظة " يخفي " لقوله تعالى :
{ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧ }[1].
لقد نقل جاك بيرك معاني هذه الآية التي تتحدث عن زواجه– صلّى اللّه عليه وسلّم– بالسيدة زينب بنت جحش* إلى لغته و تناول هذه القصة بالتحليل الّذي يفصح عن

[1] – سورة الأحزاب : الآية 37 .

* – زينب بنت جحش رئاب بن يعمر بن صبيرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة أمّها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول اللّه عليه الصلاة و السلام ، تزوجها الرسول صلى اللّه عليه و سلّم في سنة خمس للهجرة .

تبيان الفكر الغربي عن الفكر الاستشراقي إذ ترجم محل الشاهد من هذه الآية " يخفي " بـــ refouler إذ جاء في قوله :

« Lors tu disais au gratifié de Dieu , à ton gratifié : « Retiens ton épouse , même si cela te contrarie , et prémunis-toi envers Dieu » : C'était , refouler en ton âme ce que Dieu fait à présent éclater ; craindre les hommes , alors que Dieu a tellement plus de droit à ta crainte … Aussi quand Zayd eut cessé les rapports avec elle , Nous te la fîmes épouser , de sorte qu'il n'y ait pas de gêne pour les croyants quant aux épouses de leurs fils adoptifs une fois que ces derniers ont cessé les rapports avec elles »[1].

لقد قابل بيرك اللفظ يخفي بـــ refouler و ذلك بالرجوع إلى المعجم الفرنسي[2] الّذي اعتمده في ترجمته للألفاظ القرآنية و الّذي ورد فيه بمعنى كبت ، ضغط ، أي كبح الغيظ ، و المعنى ذاته ورد في لسان العرب بمعنى الستر والكتمان[3] . و لم يوظف اللفظ المقابل cacher الّذي وظفه مترجمون آخرون لمعاني القرآن الكريم قبله أمثال حميد اللّه و حمزة بوبكر و زينب عبد العزيز بعده .

جاء في ترجمة حميدالله لهذه الآية ما نصه :

« Et quand tu disais , à un que Dieu avait comblé de bienfait tout comme toi-même l'avais comblé : « Garde pour toi ton épouse et crains Dieu » , tandis que tu cachais en ton âme ce que Dieu allait rendre public ! – Et tu redoutes les gens , alors que Dieu a plus droit à ce que tu le redoutes »[4].

أنظر : أبو عمر يوسف بن عبد اللّه بن محمّد بن عبد البر القرطبي : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمّد معوّض و الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1415 هـــ / 1995 م ، ج 4 ، ص 406 .

[1] – Jacques Berque : le coran essai de traduction , p 451-452 .

[2] – Le petit Robert , refouler , 1996 , p 2311 .

[3] – ابن منظور : لسان العرب ، ص 288 .

[4] – M.HAMUDALLAH : Le saint coran , p 555 .

و المعنى ذاته ذهب إليه المترجم حمزة بوبكر ما نصه :

« Garde pour toi ton épouse et crains Dieu Souviens-toi que tu cachais en ton âme ce que Dieu allait rendre public et que tu redoutais le jugement des gens , alors que Dieu est plus digne d'être redouté de toi … »[1].

و لقد أكدت زينب عبد العزيز المعنى نفسه في ترجمتها لمعنى هذه الآية ، إذ تقول:

«Et lorsque tu disais à celui qu'Allah Gratifia et que toi as gratifié : « Tiens à ton épouse et crains Allah » . Et tu cachais en toi-même ce qu'Allah Devait mettre en évidence . Tu redoutais les gens , tandis qu'Allah A plus de droit d'être redouté . Quand alors Zaïd eut commerce avec elle , Nous te la Fîmes épouser afin qu'il n'y ait nulle gêne pour les croyants , quant aux épouse de leurs fils adoptifs , s'ils ont eu commerce avec elle . Et l'Ordre d'Allah a toujours été accompli »[2].

و لم تختلف ترجمة دونيس ماسون في نقلها معنى لفظة " يخفي " عن الترجمات السالفة الذكر ،و يظهر ذلك جليا من خلال نص ترجمتها الآتي :

« Quand tu disais à celui que Dieu avait comblé de bienfaits et que tu avais comblé de bienfaits : « Garde ton épouse et crains Dieu » , tu cachais en toi-même , par crainte des hommes , ce que Dieu allait rendre public ; - mais Dieu est plus redoutable qu'eux -»[3].

و المعنى ذاته ذكرته الترجمة الّتي اعتمدتها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد :

«Quand tu disais à celui qu'Allah avait comblé de bienfait, tout comme toi-même l'avais comblé : « Garde pour toi ton épouse et crains Allah » , et tu cachais en ton âme ce qu'Allah rendre public »[4].

---

[1] – HAMZA BOUBAKEUR : le coran , 1989 , ENAG , p 145 .
[2] – Zeineb Abd El Aziz : le saint coran , p 423 .
[3] – Denise Masson : essai d'interprétation du coran inimitable , p 556
[4] – Le saint coran , p 423 .

فخوف الرسول –صلّى اللّه عليه و سلّم– من وقوع الناس في عرضه واتهامه بالزواج من زوجة ابنه بالتبني وحياؤه الشديد جعلاه يخفي في نفسه و يكبت حسب تحليل جاك بيرك هذه التهمة الخطيرة المتمثلة في زواجه بزوجة متبنّاه ، و لم تتقبل نفسه أمرًا في غاية الصعوبة " ذلك لأنّ التبني في الجزيرة العربية في ذلك العصر كان يعد قرابة حقيقية تجعل مثل هذا الحب إحساسًا بارتكاب زنى المحارم ، و إذا كان الأمر كذلك فقد نزل وحي إلاهي أعلن مشروعية التبني ، بل منع ممارسته ، و في غضون ذلك طلق زيد زوجته و إذ ذاك استطاع الرسول أن يتزوج المرأة الشابة ، وذلك من أجل هذين السببين (...) و هذا أمر صعب فهمه إلى حد بعيد بالنسبة إلى إنسان معاصر وضع نفسه بداية في إطار ذهني نقدي إزاء الشرق "[1].

نعتقد أنّ صعوبة الفهم لفكرة التبني ليست مشكلة الآخر فحسب و إنّما شكلت هذه المسألة صعوبة الفهم لدى الّذين تناولوا هذه المسألة بالتفسير و التحليل من المفسرين في تأويل معنى الآية فقد استشهد الطبري بحديث غير صحيح مفاده أنّ :

" زينب بنت جحش فيما ذكر رآها رسول– اللّه عليه الصلاة و السلام– فأعجبته وهي في حبال مولاه فألقى في نفس زيد* كراهيتها لمّا علم اللّه مما وقع في نفس نبيّه فأراد فراقها فذكر ذلك لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم زيد فقال له رسول اللّه– صلّى اللّه عليه و سلّم– أمسك عليك زوجك* و تخفي في نفسك ما اللّه مبديه ، يقول و تخفي في نفسك محنة فراقه إياها ليتزوجها إن هو فارقها "[2].

---

[1] – جاك بيرك : القرآن و علم القراءة ، ص 72 .

* – زيد : هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عبّود بن عوف بن كنانة ابن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي ، بن تغلب بن حلوان بن عمران بن لحاف بن قضاعة . و هو مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أشهر مواليه و هو حب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ، و كان زيد يقال له زيد بن محمد .

أنظر : عز الدين أبي الحسن بن علي بن محمّد بن الأثير الجزري : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحأ ، ط 1 ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1418 هـ / 1997 م ، ج 2 ، ص 238 .

* أمسك عليك زوجك ، لم أجده في كتب الحديث ، ذكره الطبري فقط في تفسيره .

[2] – أبو بكر محمّد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ط2، 1954، ج 18، ص5–6

يبدو أنّ الطبري لم يُعن بتمحيص النقول في هذه المسألة و لم يتناولها بالنقد والفحص وهذا ما يراه الألمعي إذ ذهب إلى أنّه " انتقى من الروايات ما رآه أنسب للقرآن و أقرب إلى اللّغة العربية الصحيحة و ما يتفق مع جملة المأثور عن النبي- صلّى اللّه عليه و سلّم- من أحوال و أعمال و أقوال و لم يتقيّد في الرواية بما قيّدالمحدثون به أنفسهم من تحري السند تحريًا دقيقًا بل تساهل قليلاً في ذلك و شدّد في انتقاء المروي نفسه و لذلك دخل عليه بعض الخلط الاسرائيلي المدسوس في قصة زيد و زينب "[1].

أمّا المفسّر ابن كثير فقد اهتم بالنقد والفحص أكثر من غيره ، لذلك ردّ كل روايات ابن جرير في قصة زيد و زينب حيث قال في تفسيره :

" ذكر ابن أبي حاتم و ابن جرير آثارًا عن بعض السلف رضي اللّه عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحًا لعدم صحتها فلا نوردها "[2].

ونلاحظ نفس الخلط الاسرائيلي الّذي ساقه الزمخشري في تفسيره ما نصه :

" (أمسك عليك زوجك) تعني زينب بنت جحش رضي اللّه عنها و ذلك أنّ الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم أبصرها بعدما أنكحها زيدًا فوقعت في نفسه فقال: سبحان مقلب القلوب . و أنّ الّذي أخفاه- صلّى اللّه عليه و سلّم- في نفسه تعلق قلبه بها و قيل مودّة مفارقة زيد إيّاها و قيل علمه بأنّ زيدًا سيطلقها وسينكحها لأنّ اللّه قد أعلمه بذلك "[3].

اتضح لنا أنّ مماساقه المفسّرون و المترجمون الّذين تقدّم ذكرهم من معانٍ لهذه الآية الكريمة أنّها صُبغت من غير قصد بالخلط الاسرائيلي و المدسوس ، إذ كان هم المفسر جمع الروايات فقط دون نقدها و تمحيصها ، و اقتصر المترجمون للمعاني على إيجاد

---

[1] – زاهر عوض الألمعي : مع المفسّرين و المستشرقين في زواج النبي بزينب بنت جحش ، ط4 ،1983 ، ص 40 .

[2] – أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم ، ص491 .

[3] – أبو القاسم جار اللّه محمود بن عمر الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل ، ص 262 .

مقابل دقيق باللّغة الفرنسية cacher لمعنى " يخفي " ، لأنّ لفظة cacher تعني إخفاء شيء موجود في حقيقته لأنّ منشأ الخطأ يكمن في تأويل متعلق الخشية كما يرى القاسمي إذ يقول :

" فمتعلق الخشية على رأي القائلين بالعشق و الغرام هو خشيته- صلّى اللّه عليه وسلّم -أن يطّلع الناس على ما في قلبه من الحب و الميل إلى زينب ، أمّا على رأي المحققين العارفين بأحوال الأنبياء فمتعلق الخشية خشيته- صلّى اللّه عليه و سلّم- من وقوع الناس في عرضه و قولهم تزوّج بزوجة ابنه و الفرق واضح بين متعلق الخشيتين في كلتا الحالتين ، و الخشية هنا ليس معناها الخوف إنّما معناها الاستحياء "[1].

و من بين الّذين تفطنوا لهذه الأخبار المدسوسة الّتي لا تليق بمقام الأنبياء قصد الإساءة إلى التراث الإسلامي الشيخ محمد الغزالي :

" هل يلوم اللّه رجلاً لأنّه أحبّ امرأة آخر فكتم هذا الحب في نفسه ، أكان يرفع درجته لو أنّه صاغ فيها قصائد الغزل ؟ هذا و اللّه هو السّفة ، إن اللّه لا يعاتب أحدًا على كتمان حب طائش ، فالّذي أخفاه النبي- صلّى اللّه عليه و سلّم- في نفسه تأذيا من هذا الزواج المفروض و تراخيه في إنفاذ أمر اللّه به ، و خوفه من لغط الناس عندما يجدون نظام التبني – كما ألفوه – قد انهار (...) من كان يمنع محمدًا من الزواج بزينب و هي قريبته – بنت عمته – و هو الّذي ساقها إلى رجل لم تكن فيه راغبة وطيّب خاطرها لترضى به ، أفبعد أن يقدمها لغيره يطمع فيها ؟ "[2].

و انطلاقًا من هذه الشبهات الّتي أثيرت حول شخص النبي- صلّى اللّه عليه وسلّم- في زمنه و من قومه و عبر كل الأزمنة وصولاً إلى زمننا الّذي تتباين فيه العقائد والأفكار بين المفكرين المسلمين أنفسهم و بين المسلمين و غيرهم من أهل العقائد الأخرى في دراسة مثل هذه القضايا أن نورد في هذا المقام تساؤلاً للشيخ البوطي في المسألة إذ يقول :

---

[1] – محمد جمال الدين القاسمي : محاسن التأويل ، ص4869 .

[2] – محمد الغزالي : فقه السيرة ، ط 2 ، مكتب رحاب ، 1988 ، ص 440 .

" ما هو الدافع الّذي يدفع بالنبي- صلّى اللّه عليه و سلّم- إلى المجازفة عادة ليخترق عادة من أهم العادات العربية و يتزوج مطلقة متبنّاه غير مبال بكلامهم؟
و التساؤل الأهم ، أي ضرورة تدعوه إلى إدراج هذه الآية في القرآن و هي من أول حرف إلى آخر حرف عتاب للرسول شديد ، و كشف عمّا يخفيه من الميل القلبي إليها ؟ "[1].

لقد أصاب الشيخ البوطي فيما ذهب إليه في إجابته على التساؤل المطروح وهو الزواج بدافع الواجب رغم أي شعور معارض لذلك كبت -الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم- و رفض الأمر و جاهد نفسه من وقوع مثل هذا الزواج ، لكن قانون السماء فرضه عليه فرضًا ليضع حدًا نهائيًا لقانون التبني المتعارف لدى قومه ليس فقط بالنص الإلاهي و إنّما بالتنفيذ على صعيد الواقع ، فمتعلق الخشية كما يرى الرازي " ليس إشارة إلى أنّ النبي خشي الناس ، و لم يخش اللّه بل المعنى اللّه أحق أن تخشاه وحده ولا تخشى أحدًا معه و أنت تخشاه وتخشى الناس أيضًا ، فاجعل الخشية له وحده ".فما أخفاه- صلّى اللّه عليه وسلّم- خشيته من لغط الناس عندما يجدون نظام التبني كما ألفوه قد انهار .
" فالمسلك الّذي سلكه النبي- صلّى اللّه عليه و سلّم- مع زيد مسلك مشروع ومطلوب و إنّما هناك شيء داخلي يخفيه في قلبه و لم يصرّح به و ذلك أنّ اللّه تعالى أخبر النبي- صلّى اللّه عليه و سلّم- و لم يأمره أمرًا بأنّ زيد سيطلق زوجته زينب وسيتزوجها هو- صلّى اللّه عليه و سلّم- لتهدم العادة الراسخة عند العرب و المتمثلة في عدم زواج زوجات الأدعياء و هو أمر خطير يمس معتقدًا من معتقداتهم و كان- الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم- يؤجل هذا ريثما يأتي الأمر الصّريح الموجب للتنفيذ المعجّل ، ولا يدري بعد كم مدة يتعيّن ذلك "[2].

---

[1] - محمد سعيد رمضان البوطي : كبرى اليقينيات الكونية ، ص86 .

[2] - بيوض ابراهيم بن عمر : في رحاب القرآن ، تحرير عيسى بن محمّد الشيخ بالحاج ،1316 هـ- 1401 هـ ، 1899 / 1981 م ، جمعية التراث القرارة ، غرداية ، الجزائر ، ج12 ، ص 342 – 362
* -ابراهيم بن عمربيوض(11ذوالحجة 1313هـ/21 أفريل1899م-8ربيع الأول1401هـ/1981

و قد كتب الشيخ البوطي منصفًا الحبيب- صلّى اللّه عليه و سلّم- : " فلا توجد آية في القرآن أدل على أنّ القرآن كلام اللّه الّذي لا دخل لمحمد- صلّى اللّه عليه وسلّم- في حرف واحد منه من الآية الّتي نزلت بسبب هذه الحادثة "[1].

ومن الّذين ناقشوا الموضوع كانت لهم ردود متقاربة ، ومن هذه الردود الّتي قيلت رد المفكر محمّد عبد الله دراز في قوله : " مطلقة زيد (ابنه بالتبني) هي الزيجة الوحيدة المنصوص عليها في القرآن ، فتراه يحاول بكل جهده أن يمنع إتمام هذا الزواج ، و لكن قانون القرآن يفرضه عليه فرضًا ليضع حدًا ليس فقط بالنص كما كان الرسول يرجو و إنّما بالتطبيق العملي أيضًا لنظام تبني الأطفال في الوثنية الّذي كان يقضي بالتماثل بين الابن المتبنّى و الابن الشرعي ، وهو ما يمكن تسميته حرفيًا : الزواج بدافع الواجب رغم أي شعور معارض "[2].

تبيّن لنا من خلال ما ورد في مصادر التفاسير الإسلامية ، و الترجمات الّتي تناولت هذه القصة بالدراسة والتحليل، و بناءً على تباين المفسّرين المسلمين أنفسهم وكذا المترجمين لمعاني القرآن من المسلمين و غيرهم أن " تعدد المعاني للألفاظ القرآنية ليس مفاده تعدد معاني إحدى مفرداتها ، بل نتيجة وجود معان داخلية ضمنية في المفردة الواحدة . فللكلام معانً خفية يصل إليها المترجم بعد تجاوز المعاني الوضعية الظاهرة للألفاظ لاستجلاء دلالة اللفظ و الآية لكي يتمكن من نقلها على أقرب الوجوه إلى دلالات اللّغة الفرنسية ، و غالبًا ما تقترن هذه المعاني الخفية بالجوانب

ولد العلامة بمدينة القرارة ، أخذ مبادئ الفقه و العربية عن مشايخه الحاج ابراهيم البريكي و أبو العلاء عبد الله و الشيخ الحاج عمر بن يحي . من كتبه : دلائل الإعجاز في البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، طلعة الشمس في أصول الفقه للسالمي . و قد ترك الشيخ فتاوى على أسئلة علمية وفقهية جمعها الأستاذ بكير الشيخ بلحاج (باشعادل) و طبعها في جزئين .

أنظر : محمد بن موسى باباعمي و آخرون : معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصرالحاضر ، قسم المغرب الإسلامي ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ،ج2 ، 1421 هـ/2000م ، ص21-22 .

[1] – محمد سعيد رمضان البوطي : كبرى اليقينيات الكونية ، ص212 .

[2] – محمد عبد اللّه دّراز : مدخل إلى القرآن ،دط، دار القلم، الكويت1984، ص 90 .

الدينية ، و لا سيما أسباب نزول الآيات الّتي تكتنف سياق الكلام و تؤثر فيه و نعني بسياق الكلام معناه الواسع الّذي يضم السياق المقالي و سياق الحال أو المقام "[1].

و انطلاقًا من الترجمات الّتي اهتمت بمعاني الألفاظ القرآنية و الّتي استشهدنا بها في مبحثنا هذا لا حظنا اتفاق كل المترجمين على توظيف مقابل للفظة يخفي بمعنى cacher علمًا أنّ هذا المقابل يحمل معنى إخفاء شيء في حقيقته بما يوحي بإخفاء الرسول- صلّى اللّه عليه و سلّم- شيئا في نفسه حقيقة و هو حبه للسيدة زينب بنت جحش و هي على ذمة زيد و رغبته في الزواج بها فعلاً لذلك خشي اكتشاف الناس هذه الحقيقة و لم يخش اللّه و هذا يسيء لشخصه- صلّى اللّه عليه وسلّم- و تتأكّد الشبهة ضده ، و لطالما خاض المستشرقون في عرض الرسول- صلّى اللّه عليه و سلّم- بأقلامهم لكن الملاحظ على اختيار المستشرق الفرنسي جاك بيرك المقابل refouler لنقل معنى هذه الآية كان اختيارًا دقيقًا لأنّ المفهوم الّذي يمكن استيحاؤه منها هو عدم تقبل الرسول- صلّى اللّه عليه و سلّم -أي شعور أو إحساس بالميل القلبي اتجاه السيدة زينب رضي اللّه عنها و إنّما خشي لغط الناس عندما يجدون نظام التبني كما ألفوه قد انهار ، و هذا إنصاف لرسولنا الكريم و هذا مما شدّ انتباهنا وجعلنا نفكّر في إيراد هذا النموذج بشكل خاص غيرة على نبينا- صلّى اللّه عليه وسلّم- و عدم المساس بقدسية إيماننا و تصديقنا به .

و لقد عمل المترجم على تلبية حاجات جمهوره من القراء لفهم نص ترجمة هذه الآية و ذلك لتباين الثقافات و العقائد بين المسلمين و غيرهم ، لذلك نجده يوظف أسلوبًا من أساليب الترجمة المتمثل في تقنية الهوامش السفلية foot notes للشرح والتوضيح و ذلك بإضافة المزيد من المعلومات عن السياق التاريخي و الثقافي للنص الّذي يراد ترجمته و هذا نصه :

« Il s’agit de Zayd b.Haritha , fils adoptif du prophète et époux de Zaynab , que ce dernier finit par épouser après une

---

[1] - حيدر علوان كاظم : الفروق الدلالية بين ترجمتين فرنسيتين لبعض ألفاظ القرآن ، دراسة تحليلية مقارنة ، كلية الآداب و اللّغات ، قسم الترجمة ،2003 / 2004 ، ص 154 .

crise morale à laquelle mit fin la révélation des v 4, 5 et 37 de cette sourate » [1].

و هذا التوضيح الّذي أضافه المترجم فيه حقيقة جوهرية و هي إلغاء قانون التبني الّذي كان سائدًا في الجاهلية و هو أمر خطير يمس معتقدًا من معتقداتهم و يفسر العادات و التقاليد المختلفة كما توضح الآيات القرآنية من هذه السورة قوله تعالى :

{مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ۝٥ }[2].

كما أنّ اللّه قرّر قاعدة أنّ الأمر للّه و رسوله فقط ممّا يوحي بصعوبة هذا الأمر القاهر المخالف لمألوف العرب و تقاليدهم العنيفة لقوله تعالى :

{ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينًا ۝٣٦ }[3].

و بإمكان أي عاقل أن يعقل هذا أن يحرر نفسه من كلّ سلطان إلاّ لأنّه الحق فلن يجد عندئذ في قصة زواج النبي- صلّى اللّه عليه و سلّم- أي مشكلة تحتاج إلى بحث .

---

[1] – Jacques Berque : le coran essai de traduction , p 452 .

[2] – سورة الأحزاب : الآية 5 .

[3] – سورة الأحزاب : الآية 36 .

المبحـــث الثالث : أخطاء ترجع إلى سوء فهم الكلمة .

لقد تباينت آراء مترجمي معاني القرآن الكريم في تحديد دقة بيان الألفاظ ومدلولاتها لأسباب قد ترجع إلى سوء فهمها ؛ وقد عمل المترجم جاك بيرك على تحديد الترجمة بين اللفظ و مدلوله فارتأينا عرض بعض النماذج من ترجمته في هذا المبحث ووقع اختيارنا على ثلاثة نماذج :

- النموذج الأول ترجمة لفظة معنى " نصر " .
- النموذج الثاني ترجمة لفظة معنى " الميعاد " .
- النموذج الثالث ترجمة لفظة معنى " الرّوم " .

- النموذج الأول : ترجمة معنى لفظة " نصر " .

إنّ اللّه يطلق الابتلاءات و الامتحانات تمضي في طريقها ، و يتلقاها عباده كل وفق طبيعته و استعداده ، و كل حسب طريقه و منهجه الّذي اتخذه لنفسه، والابتلاء واحد ، و لكن آثاره في النفوس تختلف بحسب اختلاف المنهج والطريق .
وفي كل هذه الحالات فإنّ عباد الله ينتظرون نصر مؤكد منه عز وجل ، وهذا ما تؤكده الآية الكريمة :

{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالْضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ ءامَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلآ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ }[1].

و وردت قراءة جاك بيرك لهذه الآية على النحو الآتي :

« A quand le secours de Dieu ? Or le secours de Dieu est toujours proche . »[2]

كمالاقت هذه الترجمة انتقادًا من بعض الباحثين في هذا الفن ، إذ ذهبت زينب عبد العزيز إلى لوم جاك بيرك على توظيف لفظة " نجدة " دون لفظة " نصر " في ترجمته ، و لفظة " النصر " التي ترد في القرآن إحدى عشرة مرة تصل تصريفاتها اللّغوية إلى قرابة المائة مرة لم يترجمها مرة واحدة بمعناها الحقيقي (...) وكأنّه يأبى كتابة النصر للإسلام أو أنّ الإسلام قد انتصر [3].

---

[1] – سورة البقرة : الآية 214 .

[2] – Jacque Berque : Le coran , p 55 .

[3] – زينب عبد العزيز : ترجمات القرآن إلى أين ، وجهان لجاك بيرك ، ص30 .

واختلفت ترجمتها لهذه الآية عن ترجمة جاك بيرك إذ وردت على النحو الآتي :

« A quand la victoire d'Allah ? Or , la victoire d'Allah est sûrement proche . » [1]

ولفظة النصر تعني بالفرنسية Victoire و فقًا للمعجم الفرنسي إلاّ أنّه وظّف لفظة Secours للتعبير على النصر ، إلاّ أنّ هذه الترجمة جاءت مخلة بالمعنى لأنّ لفظة Secours حسب المعجم الفرنسي ثنائي اللّغة الّذي اعتمد عليه بيرك كما ذكر في مقدمة ترجمته بمعنى النجدة ، إذ تعني ترجمته : أنّ رسول اللّه ورفاقه في الإيمان صاحوا : متى نجدة اللّه ؛ و في نفس الآية نرى : **{ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيب }** ترجمه إلى :

« Le secours de Dieu est toujours proche . »[2]

جاء في "لسان العرب" أنّ لفظة " نصر " تعني إعانة المظلوم ، نصره على عدوّه ينصره و نصره ينصره نصرًا [3]. أما المعنى الّذي ساقه صاحب كتاب المفردات أنّ "النصر" و النصرة " العوْن "[4].

ولقد اعتمد جاك بيرك في ترجمة معاني الألفاظ القرآنية و آياتها على كتب التراث مثل لسان العرب إلاّ أنّه لم يكن دقيقًا في إيصال المعنى و التفسير الصحيح . وفي هذا السياق يقول الطبري في تأويل هذه الآية :

---

[1] – Zeineb Abd El Aziz : le saint coran , p33.

[2] – Le petit Robert (victoire) , p 2770.

– سهيل إدريس : المنهل فرنسي/عربي ، (victoire) ، ص 649 .

Le petit Robert (secours) , p 1239.

[3] – ابن منظور : لسان العرب ، ص 195 .

[4] – الراغب الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق نديم مرعشلي ، دار الكتاب العربي ، دط ، دت ، ص 516 .

" أم حسبتم أنّكم أيّها المؤمنون تدخلون الجنة و لم يصبكم مثل ما أصاب من قبلكم من أتباع الأنبياء و الرسل و الشدائد و المحن و الإختبار فتبتلوا بما ابتلوا واختبروا من " البأساء " و هو شدة الحاجة و الفاقة و الضراء و هي العلل – و لم تزلزلوا زلزالهم – يعني : و لم يصبهم من أعدائهم من الخوف و الرعب شدة و جهد حتى يستبطئ القوم نصر اللّه إياهم و أنّه معهم على عدوهم ، و أعلى كلمتهم "[1].

لقد وظف الطبري لفظة " النصر " في دخول الجنة إذ يعتبر ثمنه كبير جدًّا يتمثل في حسن التعامل مع الشدائد بذكاء تأسيًا بالسابقين من الأنبياء و المرسلين و المحن الّتي لا حول و لا قوة في حياتهم ، لذلك توجب على كل مؤمن إيمانًا ثابتًا باللّه أن لا تهتز عقيدته منتظرًا نصر اللّه القريب .

و لقد لاحظنا الطبري في تأويله لهذه الآية كيف استعمل مفهوم النصر لا مفهوم النجدة ، إذ كان دقيقًا فيما ذهب إليه . و المعنى ذاته ذهب إليه الزمخشري في تفسير قوله تعالى : { مَتَى نَصْرُ اللهِ } أي بلغ بهم الضجر و لم يبق لهم صبر حتّى قالوا ذلك و معناه طلب الصبر و تمنيه "[2].

و لم يختلف رأي الفخر الرازي عن تفسير الطبري و الزمخشري في نصح المسلمين الاقتداء بأصحاب الرّسول- صلى اللّه عليه و سلّم- ، إذ يقول :
" كانت حالهم إلى أن أتاهم نصر اللّه و لم يغيّرهم طول البلاء عن دينهم و أنتم يا معشر المسلمين كونوا على ذلك و تحمّلوا الأذى و المشقة في طلب الحق ، فإنّ نصر اللّه قريب لأنّه آتٍ و كل ما هو آت قريب "[3].

---

[1] – الطبري : جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، ج4 ، ص 288 .
[2] – الزمخشري : الكشاف ، ص 356 .
[3] – الفخر الرازي : التفسير الكبير ، ج6 ، ص 18 .

نلاحظ اتفاق هؤلاء المفسرين على تفسير مشترك لهذه الآية لتبيان مفهوم النصر وشدة احتياج أهل البلاء له إلاّ أنّ هناك من المفسرين من توقف في استيحاء المعنى الدقيق من الآية نفسها إذ يقول : " لا نعرف طبيعة النصر الّذي كان ينشده الرّسول و المؤمنون ، هل هو نصر الغلبة الّذي يتمثل في هزيمة الكافرين أمام المؤمنين في موقع الصراع بين قوة الكفر و قوة الإيمان ، أو هو النصر بإنزال العذاب على الكافرين ليمتثل في زوالهم عن الساحة بواسطة العذاب المتنزل عليهم من اللّه ؟ و ربما كان المعنى الثاني هو الأقرب ، لأنّ ذلك هو شأن الأمم الّتي كانت تكفر باللّه و تتحدى رسله وتسخر برسالاته فيرسل الله عليها العذاب في نهاية الأمر كما فعله في قوم صالح و هود و لوط و شعيب –عليهم السّلام– و غيرهم ، و بذلك يكون النصر قائمًا على أساس الإنتقام من القوم الكافرين "[1].

ونرجح من الآراء ما رجحه حسين فضل اللّه فيما ذهب إليه باعتقاده أنّ طبيعة النصر المنشودة من الرّسول و المؤمنون هي نصر الرّسول– صلى اللّه عليه و سلّم– كما نصر اللّه قبله من الأنبياء على طغيان أقوامهم ، كقوم صالح وهود و لوط وشعيب– عليهم السلام– و هذه سنة من سنن اللّه في خلقه أن ينصر المظلوم على الطاغية المتمادي في طغيانه و المستهزأ برسالات اللّه المعتدي على أنبيائه و أتباعهم .
و في هذا السياق يقول مصطفى عبد الغني : " و مع ما في هذا من لوم يمكن أن يوجه إلى جاك بيرك — و نحن نوافق عليه — فإنّ كلمة النجدة تبتعدكثيرًا في دلالتها الإشتقاقية عن كلمة النصر ، فإنّ الإختلاف في المعنى ، وتطور معاني المشتقات الفكرية و غير الفكرية في المرجعيات ربما تكون دالة على هذا الإختلاف ونحن لا نبرر للمترجم ذلك و إنّما نلاحظ فروق المعاني أو (معنى الكلمة) في الذهن الّذي يتغيّر كثيرًا في مرجعياته ، و هو لبس لا ندافع فيه عن جاك بيرك و إنّما نقارب به فهم

[1] – محمّد حسين فضل اللّه : من وحي القرآن ، ج2 ، ص 162 .

ترجمته ، خاصة و أنّه سئل في هذا فقال على الفور : – قلت النجدة الّتي تؤدي إلى النصر "[1].

لقد التبس على جاك بيرك الفروق في المعاني ، إذ لم يكن دقيقًا في ترجمته للفظة النصر و أشاطر مصطفى عبد الغني الرأي في قوله هو لبس لا ندافع فيه عن جاك بيرك و إنّما نقارب به فهم ترجمته خصوصًا بعد ما سئل و انتقد وتقبل النقد من ناقديه مصرحًا بأنّه وظف لفظة النجدة التي توصل إلى النصر .

و هذا ما ينبغي لنا أن نعتقده في ما ننتظره من النصر في مواقعنا المشتركة للعمل الإسلامي ، فقد يشعر الإنسان في بعض مراحل حياته بالجمود المسيطر على النفس وضعف يشوبه اليأس إلاّ أنّ سؤال الرّسول– صلى اللّه عليه وسلّم– و الّذين آمنوا معه عن نصر اللّه يصوّر مدى المحنة الّتي تزلزل مثل هذه القلوب الموصلة الثابتة على الشدائد و المحن المستيقنة أنّ لا نصر إلاّ نصر اللّه، لذلك لا تطلب النجدة من أحد ولا نتطلع إلى أي حل آخر إلاّ نصر اللّه وحده للفوز بالجنة مع الإخلاص للّه وحده حتّى يتطلع الصابر إلى مستقبل مشرق يحقق له النصر . هذا هو الطريق كما يصفه اللّه للجماعة المسلمة الأولى ، و للمسلمين عبر الأجيال وعبر الأزمنة طريق النصر الّذي لا مفهوم له إلاّ النصر من اللّه لا نجدة من عباده .

و عليه اتضح لنا أنّ جاك بيرك لم يتمكّن من خلال ترجمته لهذه الآية أن يفتح قلوبنا على عالم من المعاني و الألوان و المشاعر الّتي تجعلنا نحس بالمعنى الّذي يقربنا من روعة الأسرار لهذا الوحي القرآني الخالد ، حيث أنّ المعاني الّتي استطاع الوقوف عليها ليست أكبر من اللّغة و قواميسها .

كما أنّ اللّجوء إلى الترجمة الحرفية قد يكون مقبولاً إذا وافقت المعنى الأصلي للآية ، فالملاحظ أنّ جاك بيرك لجأ إلى إيجاد مقابل فرنسي للمعنى اللّغوي للفظة النصر دون مراعاة للسياق الدقيق للمعنى و لم يكن دقيقًا فيما ذهب إليه .

---

[1] – مصطفى عبد الغني : ترجمة جاك بيرك للقرآن من القراءة إلى التفسير ، الإجتهاد ، العدد49 ، دار الإجتهاد ، بيروت ، لبنان ، 2001 ، ص125 .

- النموذج الثاني : ترجمة معنى لفظة " الميعاد " .

قال تعالى :

{ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٩ }[1].

المؤمنون يتجهون إلى ربهم بالدعاء الخاشع ليثبتهم على الحق ، و ألا يزيغ قلوبهم بعد الهدى ، و أن يسبغ عليهم رحمته و فضله و يتذكرون يوم الجمع الّذي لا ريب فيه والميعاد الّذي لا مخلف له .

وترجم جاك بيرك الآية الكريمة { **إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ** } على النحو الآتي :
« Dieu ne manque pas au rendez-vous »[2].

وذهبت المترجمة زينب عبد العزيز إلى عدم إدراك جاك بيرك لقدسية وعد اللّه بين المسلمين حتّى يترجم بهذا المعنى الذي مفاده " أنّ اللّه لا يتخلف عن المواعيد الّتي يرتبط بها " و تتساءل : هل يمكن أن يصل الاستهزاء من عالم هو عضو مجمع اللّغة العربية بمصر كي يترجم لفظة " الميعاد " و الّتي تعني وعد اللّه ، أو حتّى وعيده بكلمة rendez-vous بغض النظر عن معناها الشعبي السائد .. و من البديهي هنا أنّ المعنى المقصود بالميعاد هو الوعد "[3].

---

[1] – سورة آل عمران : الآية 8 – 9 .

[2] – Jacques Berque : le coran essai de traduction , p 71 .

[3] – زينب عبد العزيز :ترجمات القرآن إلى أين ؟ وجهان لجاك بيرك ، ص34 .

و كان لزامًا عليه من منظورها أن يترجم هذه الآية ترجمة صحيحة تحمل المعنى الآتي :

« Notre Seigneur , c'est toi qui Rassembleras les hommes en un certain jour , sans aucun doute . Certes , Allah ne manque point à la promesse »[1].

" ثمّ يعود و يترجمها بمعناها الصحيح في سورة الزمر:**{ لاَ يُخْلِف اللّه الميعاد }** أي أنّه يعرف معنى الكلمة لكنه يتعمد عدم استخدامها "[2].

و بالرجوع إلى الترجمات القرآنية باللّغة الفرنسية لمعاني القرآن الكريم نجد من المترجمين من تضمنت ترجمته المقابل نفسه الّذي اختاره بيرك ، و هذا ما نص عليه حميد اللّه في ترجمته إذ وردت على النحو الآتي :

« Seigneur ! Oui , c'est toi qui rassembleras les gens , un jour , - en quoi il n'y a point de doute ! – Dieu , vraiment , ne manque pas au rendez-vous »[3].

و هنا يستوقفنا التساؤل الآتي :

ألا يدرك المترجم المسلم حميد اللّه قدسية وعد اللّه بين المسلمين حتّى يترجم الآية الكريمة بنفس المعنى الّذي ترجمه المستشرق الفرنسي جاك بيرك علمًا أنّ ترجمة حميد اللّه لمعاني القرآن الكريم أجازتها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء و الدعوة و الإرشاد بعد انتخاب أحسن التراجم الموجودة لتكون منطلقًا للعمل ومرجعًا أساسيًا للجهود ، و تمّ اختيار ترجمة هذا الأخير لما تمتاز به من قوة الأسلوب وجزالة المعاني .

و في هذا السياق يقول محمود العزب : " فنحن كثيرًا ما نميّز بشكل قاطع يقترب من التعسف بين الباحثين المسلمين من جهة و الباحثين الأوروبيين من جهة أخرى ، و لا نطبق نفس المعايير النقدية عليهم جميعًا ، فهذه المعايير نفسها قابلة

---

[1] – Zeineb Abd El Aziz : le saint coran , p 50 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 34 .

[3] – M.HAMIDULLAH : le saint coran , p 64 .

للمناقشة شريطة احترام التميز الأساسي و الضروري بين موقف إيماني و موقف عقلي نقدي ، و هما موقفان للعقل الإنساني فيما يخص وظائفه و طريقة انشغاله ، و خياراته ، و أهدافه ، و مصالحه و نتائجه "[1].

فلا بد أن تكون نظرة المؤمن للقرآن مختلفة عن نظرة غير المؤمن **{ وَ لَو شَاءَ رَبّك لآمَنَ مَن في الأرضِ كُلّهم جَمِيعًا }**.

و تجنبًا للتعسف و إطلاق الأحكام على الباحثين المسلمين و الدفاع عنهم والبحث عن مواطن القصور و النقص عند غيرهم من الباحثين الغربيين دون تطبيق المعايير النقدية عليهم و مناقشتهم جميعًا يوقعنا في اتهام من المخالف ممّا يسيء إلى الخلق القرآني نفسه الّذي يدعو إلى الحكمة و الموعظة الحسنة لأنّ الإنصاف في خدمة القرآن قد يرد من غير المسلمين و هذا ما نلمسه في ترجمة دونيس ماسون لهذه الآية و هذا نصها :

« Notre Seigneur !
Tu es , en vérité , celui qui réunira les hommes un jour : nul doute n'est possible à ce sujet car Dieu ne manque pas à sa promesse »[2].

و كما هو واضح فهي الترجمة الّتي تحبذها المترجمة زينب عبد العزيز ، ولقد طابقت ترجمة ماسون ترجمة حمزة بوبكر* إذ نقل المقابل نفسه لتبيان معنى هذه الآية الكريمة و هذا نص ترجمته :

« C'est –une promesse de Dieu et Dieu ne manque pas à sa promesse »[3].

---

[1] – محمود العزب : إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم (اللغة و المعنى) ، ص21

[2] – Denise Masson :Essai d'interprétation du coran inimitable , p 65 .

*– حمزة بوبكر (1912–1995) : عميد المسجد الكبير في باريس ، انشغل بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللّغة الفرنسية فأثمرت مساعيه بظهور مؤلفه le coran .

أنظر : www. Portail : Islam . com

[3] – HAMZA BOUBAKEUR : le coran , tome 2 , p 225 .

و لقد اتفقت التفاسير الإسلامية في تفسير لفظة الميعاد ، فنجد الطبري في تأويله لمعنى هذه الآية مانصه : " ربنا إنّك جامع الناس ليوم القيامة ، فاغفر لنا يومئذ و اعف عنا ، فإنّك لا تخلف وعدك ، أن من آمن بك و اتبع رسولك ، وعمل بالّذي أمرته به في كتابك ، أنّك غافر يومئذ . و معنى قوله (اليوم) في يوم ، و ذلك يوم يجمع اللّه خلقه لفصل القضاء بينهم في موقف العرض والحساب . و " الميعاد " " المفعال " من " الوعد " "[1].

أمّا تحليل محمّد حسين فضل اللّه و شرحه لهذه الآية فيرى أنّه " لابد للإنسان المؤمن أن يعيش وعيًا وجدانيًا – دائمًا – ليتذكر المستقبل الأخروي من أجل أن يتوازن لديه الحاضر الدنيوي ، فلا تؤثر عليه و سائل الزيغ ، و لا تضغط عليه عناصر الإنحراف و لا تستلبه نوازع الهوى في حركة النفس الأمارة بالسوء ، فذلك هو الّذي يمثل القوة الّتي تثبته عند مزال الأقدام **{ إِنَّ اللَّه لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَاد }** فأنت يا اللّه الصادق في وعدك تباركت و تعاليت يا رب العالمين "[2].

و يتفق محمّد شحاته مع هؤلاء المفسرين الّذين سبق ذكرهم في أنّ الميعاد تعني الوعد لأنّه قول الحق و اللّه لا يخلف وعده ، إذ ذهب هذا الأخير إلى أنّ الجملة **{ إِنَّ اللَّه لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَاد }** جملة من كلام اللّه بعد أن تمّ كلام الراسخين في العلم ، كأنّ القوم لما قالوا **{ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيْومٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ }** صدّقهم اللّه في ذلك و أيّد كلامهم بقوله **{ إِنَّ الله لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَاد }** و قيل هذا كلام الراسخين، والمعنى على هذه : إنّك لا تخلف وعدك للمسلمين والكافرين بالثواب والعقاب ، و التأكيد بإن ، و إظهار لفظ الجلالة بدلاً من الضمير يفيد تأكيد نفي الريب ، كما يفيد تأكيد قيام الساعة تأكيدًا حاسمًا "[3].

---

[1] – الطبري : جامع البيان عن تأويل القرآن ، مج3 ، ص 189 .

[2] – محمّد حسين فضل اللّه : من وحي القرآن ، ص243- 244 .

[3] – عبد اللّه شحاته : تفسير القرآن الكريم ، دط ، دار غريب ، القاهرة ، مصر ،ج2 ، ص 529 .

كما ذهب ابن منظور في لسان العرب إلى أنّ الميعاد لا يكون إلاّ وقتًا أو موضعًا والوعد مصدر حقيقي ، و الميعاد و المواعدة وقت الوعد و موضعه "[1].

بعد هذه الجولة السريعة في كتب التفاسير و المعاجم تبيّن لنا المفهوم الدقيق للفظة الميعاد هو الوعد إذ وعد سبحانه و تعالى جميع عباده بجمعهم في هذا اليوم يوم الفصل و ما هو بالهزل لأنّ الّذي يخاف يوم الحساب و يعتقد هذا الإعتقاد الغيبي أن يعد العدة الثقيلة التي تثقل موازينه للقاء العزيز الجبار؛ لذلك لا نعتقد أن المعنى الذي وظفه جاك بيرك كان صائبا إذ لم يكن دقيقا فيما ذهب إليه لأن الميعاد و المواعدة وقت الوعد و موضعه ؛ لذلك لا يعقل أن توظف و تستخدم لفظة خفيفة في الميزانكثيرة الاستعمال بين البشر في لقاءاتهم و مواعيدهم للتعبير عن لقاء الله الأعظم في يوم الوعد .

[1] – ابن منظور : لسان العرب ، مج 3 ، ص 462 .

- النموذج الثالث : ترجمة معنى لفظة "الـــــرّوم".

قال تعالى :

{ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ }.[1]

نزلت الآيات الأولى من هذه السورة بمناسبة معينة وذلك حين غلبت فارس الرّوم فيما كانت تضع يدها من جزيرة العرب ، و كان ذلك إبان احتدام الجدل حول العقيدة بين المسلمين السابقين إلى الإسلام في مكة قبل الهجرة و المشركين .. ولما كان الرّوم في ذلك الوقت أهل كتاب دينهم النصرانية ، و كان الفرس غير موحّدين ديانتهم المجوسية ، فقد وجد المشركون من أهل مكة في الحادث فرصة لاستعلاء عقيدة التوحيد ، و انتصار ملة الكفر على ملة الإيمان .

ونلاحظ أنّ جاك بيرك اختار مقابلاً لاسم سورة الروم ROME و تعني "روما" ولكن القرآن يقصد بالروم الرومان ، و إلاّ لما وضع أداة التعريف و لقال "روما" وبدليل أنّه يقول : **{ مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ }** أي الروم البيزنطيون ، وقد وضع المترجم هامشًا يقول فيه إنّه اختار هذه الترجمة لسبب صوتي "[2]. وهو الأمر الّذي لا نوافقه عليه إذ ذكر الشيخ الصابوني أنّ سبب تسمية السورة بسورة "الرّوم" لذكر المعجزة الباهرة الّتي تدل على صدق أنباء القرآن العظيم (...) وتحدثت السورة عن حقيقة المعركة الّتي غلبت فيها الرّوم فارس وهزمتهم وفرح المسلمون لذلك [3].

---

[1] – سورة الرّوم : الآية 1-5 .

[2] – محمود العزب : إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم (اللغة و المعنى) ، ص76 .

[3] – محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير

« Nous disons pour des raisons d'euphonie , « Rome » , ou il faut entendre , bien sur , « les Byzantins » »[1]

ونلاحظ أنّ محمود العزب انتقد جاك بيرك و اعتراض عن المقابل غير المناسب الّذي اختاره لترجمة إسم سورة الروم هو نفسه الّذي لاحظته زينب عبد العزيز و هذا نصه: " أما سورة "الروم" فترجمها باسم العاصمة روما إذ كتب ROME !! و من الغريب أن يضع هنا هامشًا يقول فيه " نقول روما لأسباب ترخيم الصوت ، أو التطريب Euphonie حيث كان لابد من وضع كلمة "البيزنطيون" بالطبع "[2].
و ذهبت إلى أنّ الترجمة الصحيحة لاسم هذه السورة هو les Romains [3] .

ورد في معجم البلدان مفهوم الروم " أنّه جيل معروف في بلاد واسعة تضاف إليهم ، فيقال بلاد الروم . قال الأزهري : الروم جيل ينتمي إلى عيصو بن اسحاق بن ابراهيم –عليهم السلام –، و قال الجوهري : الروم من ولد روم بن عيص ، يقال : رومي وروم، كما يقال : زنجي وزنج، فليس بين الواحد والجمع إلاّ الياء المشدّدة "[4] وجاء في كتاب المفردات توضيحًا لمفهوم "الرّوم" "أنّه الجيل المعروف تارةً وتارةً لجمع رومي كالعجم "[5].

و أورد عبد الله شحاته إيضاحًا لهذه الكلمة مفاده أنّ :

---

[1] – Jacques Berque : le coran essai de traduction , p431.

[2] – زينب عبد العزيز : ترجمة القرآن إلى أين ؟ وجهان لجاك بيرك ، ص30-31 .

[3] – زينب عبد العزيز : القرآن الكريم و ترجمته معانيه إلى اللغة الفرنسية ، ص404 .

[4] – شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان ، ط2 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1995 ، ص97 .

[5]– الراغب الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص213 .

" الروم : قوم من الفرنج يستوطنون الجنوب الشرقي من أوروبا ، و يقول المؤرخون : إنّهم عرفوا باسم جدّ لهم اسمه روم ، أو رومي ، من ذرية يافث بن نوح (...) من تدبير الله أن جعل هذه الأمم الكبيرة تتحارب مع بعضها حتّى تضعفا معًا ، ثمّ يأتي الإسلام بقوته الفكرية و المادية فينتصر على الفرس و على الروم و على غيرها .
وعندما انتصرت الروم على فارس فرح المؤمنون بانتصار أهل الكتاب من الروم على الفرس الوثنيين ، و الله تعالى ينصر من يشاء ، فلا معقب لأمره و هو العزيز الغالب الرحيم بعباده المؤمنين".[1]

و سيد قطب في الظلال يرى " تحقيق هذا الوعد طرف من الناموس الأكبر الّذي لا يتغيّر **{ وَ لَكِنَّ أَكْثَـــرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون }** و لو بدا في الظاهر أنّهم علماء، و أنّهم يعرفون الكثير ، ذلك أنّ علمهم سطحي يتعلق بظواهر الحياة ولا يعمّق سننها الثابتة ، و قوانينها الأصلية ، و لا يدرك نواميسها الكبرى وارتباطاتها الوثيقة "[2] .

و لقد ذكرت التراجم القرآنية معاني اسم هذه السورة ، إذ ترجم حميدالله اسم هذه السورة : Les Byzantins[3] .

و الملاحظ على ترجمة دونيس ماسون[4] و ترجمة زينب عبد العزيز والرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد[5] الإتفاق على ترجمة اسم السورة بـــles Romains .

---

[1] – عبد الله شحاته : تفسير القرآن الكريم ، ج11 ، ص4129 .

[2] – سيد قطب : في ظلال القرآن ، ط2، دار الشروق ، القاهرة ، 1406هـــ/1986م ، مج5 ، ج19 ، ص2758 .

[3] – M .HAMIDULLAH : Le saint coran , p530 .

[4] – Denise Masson : essai d'interprétation du coran inimitable , p531 .

[5] – le saint coran , p404 .

واعتمادًا على الترجمات السابقة أرى أنّه لا يحق للمترجم جاك بيرك التصرف والاجتهاد لأنّه يحيد عن المعنى القرآني الدقيق ، فمترجم النص الديني لا يتمتع بقدر كبير من الحرية أمام النص الّذي يترجمه كمترجم النص الأدبي لكي لا يقع في المحظور الشرعي ، فالدقة والأمانة شرطان أساسيان في ترجمة النصوص الدينية المقدسة .

صفوة القول أنّ جاك بيرك لم يكن دقيقًا في ترجمته لمعنى اسم سورة الروم ، إذ ترجمها باسم العاصمة الإيطالية روما ، و هذا لا يتفق إطلاقًا مع المعنى الحقيقي الّذي أوردته كتب التفاسير و المعاجم . أمّا حجته الّتي احتج بها و الّتي أوردها في الهامش ليقول أنّ الروم هم البيزنطيون ، وأنّه اختار ترجمة اسم روما لسبب صوتي ، فهذا لا يوافقه عليه أحد ، و لا يقتنع به أحد ، إذ كان بإمكانه أن يترجمها مباشرة بلفظة les Byzantins كما فعل حميدالله . بالإضافة إلى ما أكدته التفاسير و التراجم والمعاجم إلى أنّ المعنى المقابل الّذي اختاره بيرك لاسم سورة الروم لا يخدم المعنى إطلاقًا .

المبـــحث الرابع : أخطاء ترتبط بمفاهيم و مصطلحات لها تميّز في الإسلام .

تناول المفسرون بالدراسة عدّة مفاهيم و مصطلحات لها تميّز في الإسلام ، و سلك المشترقون في ترجمة معانيها تقنيات تحمل أبعادًا مميّزة تعكس ثقافة المترجم ، فعمدنا في هذا المبحث عرض سلوك جاك بيرك في ترجمته لهذه المفاهيم و المصطلحات ، و وقع اختيارنا على نموذجين :

-النموذج الأول تناول بالدراسة معنى لفظة " الأمي " .
-أمّا الثاني فتناول دراسة معنى لفظة " الأعجمي " .

- النموذج الأول : ترجمة معنى لفـــظة " الأمّـــي ".

الأمية وصف خصّ به رسوله –صلّى الله عليه و سلّم– ، و هذا لا يعني أنّ طبيعة الرسول جامدة لا يستطيع تذوق المعاني الجميلة ، و قد ذكره اللّه تعالى باسمه وصفاته عند اليهود و النصارى في الكتب السابقة التوراة و الإنجيل ، و لم يمارس القراءة والكتابة و لم يجلس إلى معلم . و هنا يستوقفنا التساؤل الآتي :

هل الأمية وصف كمال فيه أم وصف نقصان ؟ و ما تأثيرها على الإعجاز العلمي العقلي الّذي أيّده الله به ؟
هل الأمية صفة سرية أو ملازمة للأمة ؟
هل الأحكام يجب أن تبقى مناسبة لمرحلة الأمية ؟
وهل تبقى الأمة أمية بعد نزول القرآن ؟ وما المقصود بالنبي الأمي ؟

و للإجابة عن هذه التساؤلات نروم جلاء معنى لفظة الأمي من منظور المترجم جاك بيرك مستعينين في ذلك بالمصادر الإسلامية الّتي توضح منهجه في التعامل مع ألفاظ وآيات القرآن الكريم .

لنتأمل لفظة الأمي في سياق الآية القرآنية الآتية :
قال تعالى : { ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ }[1].

ترجمها جاك بيرك بقوله :

[1] – سورة الأعراف : الآية 157 .

« En faveur de ceux qui suivent l'Envoyé , le prophète maternel qu'ils trouvent chez eux inscrit dans la Torah comme dans l'Evangile »[1].

و تعني ترجمته : لصالح الّذين يتبعون الرسول النبي الأمومي (من الأمومة)، فإنّ ترجمته لكلمة " أمّي " و تعني في كافة القواميس و التفاسير : " الشخص الّذي لا يعرف القراءة و الكتابة " بكلمة " الأمومي " من الأمومة ، أو على صلة بالأمومة ، فيفوق أي تعليق .. فهو اختيار يرتبط بلا شك بتلك الفكرة الغريبة التي حاولوا فرضها للتشكيك في أخلاقيات الرسول –صلى اللّه عليه و سلّم– من جهة و خاصة في " ادعائه عدم معرفة القراءة و الكتابة ، لذلك اتهموه بالإحتيال ضمن ما اتهموه به تجريحًا " [2].

كما أبدت زينب عبد العزيز عدم اقتناعها بما ذهب إليه جاك بيرك في اختياره اللفظ المقابل لترجمة معنى لفظة الأمي النبي الأمومي le prophète maternel من الأمومة .

وذكر صاحب المفردات أنّ " الأمي هو الّذي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وعليه حُمِل " هو الّذي بعث في الأميين رسولاً منهم " (...) هم العرب الّذين لم يكن لهم كتاب " النبي الأمّي ... في التوراة والإنجيل" قيل منسوب إلى الأمة الّذين لم يكتبوا لكونه على عادتهم كقولك عامي لكونه على عادة العامة ، وقيل سُمي بذلك لأنّه لم يكن يكتب ولا يقرأ من كتاب وذلك فضيلة له لاستغنائه بحفظه واعتماده على ضمان الله منه بقوله { **سَنقرِئك فَلاَ تَنْسَى**} "[3].

---

[1] – Jacques Berque : le coran essai de traduction , p 181 .

[2] – زينب عبد العزيز : ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك ، ص64 .

[3] – الراغب الأصفهاني : معجم المفردات ، ص19 .

و جاء في " لسان العرب " بمعنى المنسوب إلى ما جبلته عليه أمه ، أي لا يكتب ، فهو في أنّه لا يكتب أمّي لأنّ الكتابة مكتسبة [1].

و في الحديث : { **إنّا أمة أمية لا نكتب و لا نحسب** }[2]، أراد أنّهم على أصل ولادة أمهم ، لم يتعلموا الكتابة و الحساب ، فهم على جبلتهم الأولى .

وعليه ، فإنّ قاموس القرآن في مجمع القاهرة يختار مثله مثل لسان العرب و العديد من المعلقين دون أن نغفل نفس حديث البخاري (رقم 968) عبارة " من لا يعرف القراءة والكتابة "[3] .

وجاك بيرك اعتمد كذلك على كتب التراث مثل لسان العرب وكذا حديث البخاري (رقم 968) المذكورين آنفًا إذ نصا على جبلة الإنسان الأولى أي ما جبلته عليه أمّه ، و قد أورده في هامش الترجمة و هذا نصه :

« - Um mi : l'exégèse islamique et l'orientalisme s'en sont donné à cœur joie pour interpréter ce terme , qui n'a pas forcément dans le coran une acception unique . Appliqué au prophète , est-il à mettre en rapport , selon l'étymologie , avec l'authenticité maternelle , ou la communauté (Um ma , le pluriel faisant difficulté dans la forme adjectivale , la direction et le but (Um m) , etc. ? le dictionnaire coranique de l'Académie du Caire opte , comme le lisàn , et d'innombrables commentateurs , sans oublier le hadith lui-même (Bukhàri , n° 968), pour la paraphrase : « qui ne sait ni lire ni écrire » »[4] .

وهنا يستوقفنا التساؤل الآتي :

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب ، مج 1 ، ص 105 .

[2] – أخرجه البخاري في كتاب الصوم ، باب : قول النبي صلى اللّه عليه و سلّم : لا نكتب و لا نحسب ، رقم الحديث 1913 ، ص 568 .

[3] – زينب عبد العزيز : ترجمات القرآن إلى أين ؟ و جهان لجاك بيرك ، ص65 .

[4] – Jacques Berque : le coran essai de traduction , p 181 .

هل هذا يعني أن تبقى الأمة أبدًا لا تقرأ ولا تكتب ولا تحسب ؟

وهل كلمة "الأمية" الّتي وردت في الحديث نسبة للجهل أو الأمة ؟

و تقدم زينب عبد العزيز ترجمتها للقراء على النحو الآتي :

« Ceux qui suivent le Messager , le prophète analphabète qu'ils trouvent inscrit chez eux , dans la Torah et l'évangile ».[1]

وعليه ، نعتقد أنّ ما قصده جاك بيرك بالأمومي هو المنسوب إلى الأم أي هو أشبه بأمه منه بأبيه ، لأنّ النساء العرب ما كن يعرفن القراءة و الكتابة ، و ما تعلّمنها إلاّ في الإسلام ، فصار تعلم القراءة و الكتابة من شعار الحرائر ، دون الإماء ، كما قال عبيد الراعي و هو مسلم :

هن الحرائر لا ربّات أخمرة سود المحاجر لا يقر أن بالسور .

أمّا الرجال ففيهم من يقرأ و يكتب [2].

و ترجمة بيرك أمّي أمومي maternel أقرب إلى تفسير ابن عاشور فيما ذهب إليه.

و تتشبث زينب عبد العزيز برأيها وبعدم اقتناعها بترجمة جاك بيرك لهذه اللفظة إذ تقول : " ثم يبادر كعادته كلما اقترف جرمًا في حق القرآن ، بوضع هامش طويل يقول فيه مبررًا فعلته ، " أمّي " لقد أفاضت كتب التفسير والاستشراق في تفسير هذه الكلمة الّتي ليس لها بالضرورة معنى واحد في القرآن ، وعندما نطبقها على النبي ، هل يتعيّن علينا أن نضعها وفقًا لعلم الاشتقاق – و أصل الكلمة – مع أصالة الأمومة ، أو

---

[1] – Zeineb Abd El Aziz : Le saint coran et la traduction en langue française du sens de ses versets , ed 1 , association mondiale de l'appel islamique , Tripoli , Lybie , 2001, p 170 .

[2] – محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، مج5 ، ج9 ، ص 133 .

مع الأمة (و إن كان الجمع يمثل صعوبة في الشكل النعتي) أو مع الاتجاه والهدف (أم) ... إلخ ؟

و بينت الترجمة الّتي اعتمدتها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد معنى هذه اللفظة على النحو الآتي :

« Ceux qui suivent le Messager , le prophète illettré qu'ils trouvent écrit (mentionné) chez eux dans la Torah et l'Evangile »[1].

و قد اختلفت ترجمة حميدالله لهذه اللفظة عن غيره فوردت على النحو الآتي:

« Ceux-là qui suivent le Messager , le prophète gentil qu'ils trouvent en toutes lettres chez eux dans la Torah et l'Evangile »[2].

في حين ذهبت المترجمة دونيس ماسون إلى أنّ مدلول لفظة الأمي تنسب إلى الذي يجهل القراءة و الكتابة :

« Pour ceux qui suivent l'Envoyé : Le prophète qui ne sait ni lire ni écrire que ces gens-là trouvent mentionné chez eux dans la Tora et l'Evangile »[3].

وقد لاحظت زينب عبد العزيز أنّ ترجمة جاك بيرك للفظة "أمّي" ليست بالمعنى الوارد في القرآن وتؤكد ذلك بقولها :

" ويواصل جاك بيرك نفس التلاعب بالإصرار على عدم أميّة سيد المرسلين باختيار كلمة تتضمن معنى معرفة القراءة لكنهم أناس بلا ثقافة فكرية ، و ذلك تماشيًا

---

[1] – Le saint coran et la traduction en langue française du sens de ses versets , p 170 .

[2] – HAMIDULLAH : Le saint coran , 13eme éd , 1985 / 1405 , p 217 .

[3] – Denise Masson : Essai d'interprétation du Coran Inimitable , p 218

مع الهدف والمغالطة بالتلاعب بالألفاظ لقوله تعالى : { ... وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ ... } [1] .

« Et dis à ceux qui ont reçu l'Ecriture et aux gentils ... »

ترجمته كلمة " الأميين " بكلمة gentils و هي كلمة عبرية الأصل و تعني وثنيين ، و إن كانت بالنسبة لليهود القدامى تعني " غريب " و بالنسبة للمسيحيين تعني " وثني " و معناها الشائع هو : " غير المؤمن دون اليهود و المسيحيين "[2].

لكن الّذي لاحظناه أنّ جاك بيرك ترجم لفظة الأميين بـــ incultes [3] أي بلا ثقافة فكرية . و هنا يستوقفنا التساؤل الآتي :

لقد أعطى حميدالله في ترجمته لفظة النبي الأمّي دلالة النبي الوثني le prophète gentil فهل تعمد ذلك ؟

و في آية قرآنية أخرى من سورة الجمعة تناولت موضوع الأمية يقول فيها تعالى :

{ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ }[4]. وقد بيّن من خلالها صاحب الموافقات أنّ الشريعة الإسلامية شريعة أمّية لأنّ الله بعث بها رسولاً أمّيًا إلى قوم أمّيين معتمدًا على أنّ هذه الشريعة نزلت في الأساس لقوم أمّيين ، فيلزم أن تكون الشريعة على معهودهم وفي مستواهم [5] .

---

[1] – سورة آل عمران : الآية 20 .

[2] – زينب عبد العزيز : ترجمات القرآن إلى أين ؟ وجهان لجاك بيرك ، ص67 .

[3] – Jacques Berque : le coran essai de traduction , p 72 .

[4] – سورة الجمعة : الآية 2 ، 3 .

[5] – ابراهيم ابن موسى اللّخمي الغرناطي المالكي أبو إسحاق الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة ، تعليقات محمد عبد الله دراز ، دط ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، دت ، مج2 ، ص 69 .

و ترجم جاك بيرك كلمة " الأميين " الّتي تعني غير المتعلمين "[1].حيث كانت ترجمة جاك بيرك كالآتي :

« Lui qui a envoyé au sein des incultes un Envoyé des leurs pour leur réciter Ses signes , les purifier , leur enseigner l'Ecrit et la sagesse .. »[2].

ثم يبادر كالمعتاد بوضع هامش يقول فيه :

" إنّنا نختار هذه المرة كلمة " غير مثقفين " الترجمة " أميين " الّتي تشير هنا ، فيما يبدو إلى العرب ، و أستشهد بترجمة حمزة بوبكر و هامشه .

و " منهم " يمكننا تأكيد الترجمة التقليدية لكلمة " أمّي " عندما تنطبق على النبي و كذلك يمكننا أن نفهم أيضًا : (الّذين لم يحصلوا بعد على التنزيل) بما أنّ منهم تشير إلى الأصل ، وهذه الترجمة الأخيرة تتفق و النزعة العالمية الّتي تبدو في الآية الثالثة من هذه السورة {وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ }[3] ".[4]

و هذا نص الهامش الذي لجأ إليه جاك بيرك :

« Incultes : On opte cette fois pour la traduction de ummiyin visant ici en premier lieu , semble-t-il , les Arabes . Minhum pourrait renforcer l'interprétation traditionnelle de ummi , appliquée au prophète . On peut aussi comprendre : « ceux qui n'ont pas encore reçu de révélation » , minhum indiquant alors l'origine ; cette dernière traduction irait mieux avec l'universalisme qu'on pressent vous »[5].

و بالرجوع إلى ترجمة حمزة بوبكر الّتي أشار إليها بيرك في هامشه لاحظنا أنّه ترجم كلمة أميين بالمعنى ذاته، و هذا نص ترجمته :

---

[1] – محمود العزب : إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم ، ص57 .

[2] – Jacques Berque : le coran essai de traduction , p 612 .

[3] – سورة الجمعة : الآية 3 .

[4] – زينب عبد العزيز : ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك ، ص68 .

[5] – Jacques Berque : le coran essai de traduction , p 612 .

« C'est lui qui a envoyé chez les incultes un prophète issu d'eux qui leur récite ses versets »[1].

و بالعودة إلى بعض التفاسير الإسلامية وجدنا المفسر الرازي ينفي الأمية عن العرب خاصة لأنّ- الرسول صلى اللّه عليه و سلّم- بعث إلى كافة الناس ، إذ يقول :

" إحتجاج أهل الكتاب بها قالوا قوله {بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ } يدل على أنّه -عليه السلام- كان رسولاً إلى الأميين و هم العرب خاصةً غير أنّه ضعيف فإنّه لا يلزم من تخصيص الشيء بالذكر نفي ما عداه ، و لأنّه لو كان رسولاً إلى العرب خاصة كان قوله تعالى : { **كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا** } لا يناسب ذلك ، فقوله {**كَافَةً لِلنَّاسِ** } دليلاً على أنّه- صلى اللّه عليه و سلم- رسولاً للكل ."[2]

وهذا ما يفند ما ذهب إليه المترجم بيرك في اعتقاده المحتمل أنّ الأمّية تخص العرب وحدهم فقط .

قال المفسرون هم الأعاجم يعنون بهم غير العرب ، أي طائفة كانت ، قاله ابن عباس و جماعة و مقاتل يعني التابعين من هذه الأمة الّذين لم يلحقوا بأوائلهم ، و في الجملة معنى جميع الأقوال فيه كل من دخل في الإسلام بعد النبي -صلّى اللّه عليه وسلّم- إلى يوم القيامة ، فالمراد بالأميين العرب ، وبالآخرين سواهم من الأمم ، فالمسلمون كلهم أمة واحدة و إن اختلفت أجناسهم[3].

---

[1] – Hamza Boubakeur : le coran , ENAG , Algerie , 1989 , Tome 2, p 508 .

[2] – الفخر الرازي : التفسير الكبير ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ،1980 ، ج30 ، ص 3 .

– الفخر الرازي : هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي العلامة فخر الدين أبو عبد الله القرشي البكري التيمي الطبرستاني الأصل الرازي ابن خطيب الري الشافعي (544-606 هـ) ، المفسر المتكلم من تصانيفه "التفسير الكبير" سماه مفاتيح الغيب و صنف كتاب "المحصول" البرهان في قراءة القرآن و مصنف في إعجاز القرآن .

أنظر : أحمد بن محمد الأدندوي : طبقات المفسرين ، تحقيق سليمان بن صالح الخزي ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، 1417 هـ/1997 م ، ص213 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 3 .

و يقول سيد قطب :

" في معنى قوله تعالى : **{ وَ آخَرِينَ مِنْهُم لَمَا يَلْحَقُوا بِهِم }**.. يعني بقية من بقي من أمة محمّد -صلّى اللّه عليه و سلم- ، و هي تدل على الآخرين غير العرب ، و على آخرين غير الجيل الّذي نزل فيه القرآن .

و نشير إلى أنّ هذه الأمة موصولة الحلقات ممتدة في شعاب الأرض و في شعاب الزمان ، تحمل هذه الأمانة الكبرى ، و تقوم على دين اللّه الأخير "[1].

نستخلص من كلام المفسر سيد قطب و التحليل الّذي ساقه في المسألة تحديدًا **{وَعَلَى آخَرِينَ غَيرَ الجِيلِ الّذِي نَزَلَ فِيهِ القُرْآن }** و هو نفس الإحتمال الّذي أشار إليه جاك بيرك لما فسّر الأميين بالّذين لم يحصلوا بعد على التنزيل و هذه الترجمة تتفق والنزعة العالمية التي تبدو في الآية الثالثة من سورة آل عمران **{وَآخَرِينَ مِنْهُم لَم يَلْحَقُوا بِهِم }** عبّر عنها السيد قطب بأمة موصولة الحلقات ممتدة في شعاب الأرض وفي شعاب الزمان ممّا يدل على النزعة العالمية الّتي أشار إليها بيرك ، فالمسلمون كلهم أمة واحدة و إن اختلفت أجناسهم .

وقد وضح محمد شحرور معنى "الأمّي" بقوله :

" لقد أطلق اليهود و النصارى على النّاس الّذين لا يدينون بدينهم أي ليسوا يهودًا ولا نصارى لفظ "الأمّي" و جاءت من كلمة غوييم العبرية " الأمم " و هو ما نعبّر عنه اليوم بالدّهماء أو الغوغاء أوالعامة لأنّ هؤلاء النّاس كانوا جاهلين و لا يعلمون ما هي الأحكام في كتب اليهود و النصارى و النّبوات التي جاءت لهم ، و من هنا جاءت لفظة الأمّي التي تعني : غير اليهودي و النصراني ، و الجاهل بكتب اليهود و النصارى ، و بما أنّ التوراة و الإنجيل هما نبوتا موسى و عيسى لذا جاء التبشير بنبوة محمّد في التوراة و الإنجيل و ليس في الكتاب لقوله تعالى : **{ الّذِي يَجِدُونَه مَكْتُوبًا عِنْدَهُم فِي ٱلتَورَاةِ وَ الإِنْجِيل }** "[2].

---

[1] – سيد قطب : في ظلال القرآن ، المجلد 6 ، ط 12 ، 1986 ، ص 3567 .

[2] – محمّد شحرور : الكتاب و القرآن قراءة معاصرة ، ط 7 ، بيروت، لبنان ، 2004 ، ص139 – 140

وكان الشعراوي من الّذين تناولوا تفسير الآية الّتي تتناول موضوع "الأمّية" في سورة النحل في قوله تعالى : **{ الّذِينَ يَتْبَعُونَ الرَّسُول النَّبِي الأُمِّي الّذِي يَجِدُونَه مَكْتُوبًا عِنْدَهُم فِي الْتَورَاةِ وَ الإِنْجِيل }** فيقول : هو –عليه الصلاة والسّلام – الأمّي هو الذي لم يمارس القراءة و الكتابة و لم يجلس إلى معلم ، فهو –عليه السّلام – باق على الحالة التي ولد عليها ، و قد ذكره ربّه جلاّ وعلا – باسمه وصفاته ونعوته عند اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل، وقد كتمها الكافرون منهم وأساءوا تأويلها " [1].

نعتقد أنّ المعنى الّذي ذهب إليه جاك بيرك أقرب إلى المعنى الّذي فسّر به الطاهر بن عاشور لفظة الأمّي " منسوب إلى الأم و هي الوالدة أي أنّه بقي على الحالة التي ولد عليها مدة حضانة أمّه ، و قد اشتهر اليهود عند العرب بوصف أهل الكتاب فلذلك قيل هنا " و منهم أمّيون " أي ليس جميعهم أهل كتاب و لم تكن الأمّية في العرب وصف ذم لكنها عند اليهود وصف ذم كما أشار إليه قوله تعالى : " ذَلِكَ لأَنَّهُم قَالُوا لَيْسَ عَلَينَا فِي الأُمِّيينَ سَبِيل ". إذ كان اليهود ينتقصون المسلمون بأنّهم أمّيون ، فتحدى اللّه اليهود بأنّه بعث رسولاً إلى الأمّيين و بأنّ الرّسول أمّي و أعلمهم أنّ ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء كما في آخر الآية و أنّ فضل اللّه ليس خاصًا باليهود و لا بغيرهم "[2].

أمّا الأمّيون فقد وردت في القرآن أربع مرات ، و العجيب أنّ المترجم قد عاد فسمّاهم Les incultes" أي غير المتعلمين[3] . و بمعنى الجهل في الكتاب قوله تعالى :

---

[1] – محمّد متولي الشعراوي : تفسير الشعراوي ، دط ، أخبار اليوم ، دت ، مج7 ، ص 4381 .

[2] – محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير و التنوير ، ج27 ، ص 209 .

[3] – محمود العزب : إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم ، ص57 .

{ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ }[1]. أي ٱلذين لا يعلمون الكتاب ومحتوياته هم الأمّيون بالكتاب و لذا أتبعها { **وَ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُـــنُّونْ** }.

" و من هنا نرى أنّ النبي –صلّى اللّه عليه وسلّم– كان أمّيًا بمعنى أنّه غير يهودي و غير نصراني ، و إن كان أمّيًا أيضا بكتب اليهود و النصارى و كانت معلوماته عن كتبهم هي بقدر ما أوحي إليه بعد بعثته –صلّى اللّه عليه و سلّم– "[2].

اتضح لنا أنّ المفهوم الذي توصل إليه أو ذهب إليه جاك بيرك أقرب إلى المفهوم الذي استنتجه محمد الطاهر بن عاشور في نسبته الأمّي إلى الأم . و الأمية كما يرى محمد الطاهر بن عاشور أنها " وصف خص به من رسله محمدا – " صلى اللّه عليه وسلّم– إتمامًا للإعجاز العلمي العقلي الذي أيّده اللّه به ، فجعل الأمّية وصفًا ذاتيًا له ليتم بها وصفه الذاتي و هو الرسالة ، ليظهر أنّ كماله النفساني كمال إلهي لا واسطة فيه للأسباب المتعارفة للكمالات ، و بذلك كانت الأمّية وصف كمال فيه، مع أنّها في غيره وصف نقصان ، لأنّه لما حصل له من المعرفة و سداد العقل ما لا يحتمل الخطأ في كل نواحي معرفة الكمالات الحق ، و كان على يقين من عمله و بيّنة من أمره ، ماهو أعظم ممّا حصل للمتعلّمين ، صارت أمّيته آية على كون ما حصل له إنّما هو من فيوضات إلاهية "[3].

و هنا يستوقفنا التساؤل الآتي :
لو أنّ الرّسول –صلى اللّه عليه و سلّم– تعلم ، ماذا يتعلم ؟

---

[1] – سورة البقرة : الآية 78 .

[2] – محمد شحرور : الكتاب و القرآن قراءة معاصرة ، ص 141 .

[3] – محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير و التنوير ، مج 5 ، ج 9 ، ص 133 .

دون تردد نقول الشعر ، لكن اللّه تعالى يقول :

{ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ } [1].

فالرسول –صلى اللّه عليه و سلّم– لم يتعلّم الشعر و قالوا عنه شاعر ، و هذا لا يعني أنّ طبيعة الرّسول– صلى اللّه عليه– وسلّم جامدة ، و لا يستطيع – ما عاذ اللّه – أن يتذوق المعاني الجميلة ؛ لأنّه –صلى اللّه عليه و سلّم– جُبِلَ على الرّحمة ؛ و قد قال فيه الحق سبحانه : { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ... }[2]. و لهذا نفهم قوله الحق :{ **وَ مَا عَلَمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ** ...} أي أنّ الحق سبحانه و تعالى لم يشأ له أن يكون شاعرًا ، و هكذا نفهم أنّ هناك فرقًا بين " نفي الوجود " و بين " نفي بقاء الوجود " " .[3]

فالرّسول –صلى اللّه عليه و سلّم– لم يقرأ و لم يكتب و لم يعرف بالبلاغة والشعر بين قومه حتى يستطيع أن يأتي من عنده بهذا الكلام المعجز الذي لم يستطع فطاحل شعراء العرب الّذين تمرّسوا في البلاغة و اللّغة بأن يأتوا بآية من مثله ؛ مما يدل على صدق الوحي القرآني فالرسول –عليه الصلاة والسلام– أمّي و كلامه قد أعجز الشعراء ، لذلك فالأمّية شرف له تنفي عنه شكوك واتهامات الاقتباس من كتب غيره ؛ ولقد رفض الشيخ القرضاوي قبول فكرة أمّية الشريعة إلاّ إذا حُملت على معنى الفطرية والسهولة والبعد عن التكلف والتعقيد .[4]

وقد لاحظنا كيف اعتمد جاك بيرك على لسان العرب و حديث البخاري في توضيح مفهوم الأمية إذ وردت بمايفيد البقاء على أصل الولادة أي على جبلة الإنسان الأولى ؛

---

[1]– سورة يس : الآية 69 .

[2]– سورة آل عمران : الآية 159 .

[3]– محمد متولي الشعراوي : تفسير الشعراوي ، مج 11 ، ص 6750 .

[4] – يوسف القرضاوي : كيف نتعامل مع القرآن ، ص 442 .

وهو نفس المعنى الذي ساقه المترجم حمزة بوبكر أي من لا يعرف القراءة والكتابة الجهل بالحساب فبقاؤه- صلى الله عليه و سلم -على الأمّية شرف إلى يوم الدّين . ذلك أنّ أمّية الأمة ليست أمرًا مطلوبًا ولا مرغوبًا فيه ، بل بعث الله رسوله في الأمّيين رسولاً ليخرجهم من الأمّية إلى إباحة العلوم والنور ، فهذه مهمته مع الأمّيين التزكية وتعليمهم الكتاب والحكمة بدليل أنّ أول آية من الوحي أوجبت طلب العلم ، فالأمّية ممدوحة في حقه –صلّى الله عليه وسلّم- فهي دليل على الإعجاز ، وليست ممدوحة في حق الأمة بل يجب عليها التحرر منها لطلب العلم والنظر في ملكوت السموات والأرض اقتداءً بالرسول الكريم الّذي يعد أول من حارب الأمّية .

والأرجح من الآراء في هذه المسألة ما ذهب إليه الشيخ الغزالي من أنّ العرب إذا كانوا في ذلك العصر أمة أمّية ، فالأمّية لا يمكن استمرارها ، كما أنّ الخطاب ليس للعرب ولكنه للناس جميعًا –المتعلم وغيره- كما أنّه ليس لزمان واحد فقط . وكان العرب أمة أمّية وكان الفرس والرمان هم المثقفون ، وعندما أنظر إلى الفرس والروم أجد أنّه كانت لديهم جهالات ربما لم تكن موجودة عند العرب وربما كان العرب أحسن أخلاقًا من الرّوم والفرس في جاهليتهم تلك : { ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ }[1] ، فيقول الرسول –صلّى الله عليه وسلّم- : **{ إنّا أمّة أمّية }** أي تجهل الكتابة والحساب في عصر معين لا يقتضي أن تبقى أمّية دائمًا ، والقرآن خطاب خالد مجرد من حدود الزمان والمكان (...) فأمة تستقبل القرآن لابد أن تكون أمّيتها قد زالت بهذا القرآن نفسه ، فإذا كان القرآن يدل على مصادر معرفة في أساس المنطق الحديث ، وأساس حضارة أوروبا ، فكيف تكون الأمة أمّية ، هذا أمر مستبعد .

القرآن لم يترل على العرب وحدهم ؛ و لم يترل لفترة معينة ، وإنّما هو خالد عبر الزمن ، فكيف يمكن أن ينفع أصحاب الكسل العلمي والمعارف العلمية في المستقبل إذا اعتبر خطابًا أمّيًا للأمّيين ؟

---

[1] - سورة الأنعام : الآية 124 .

ويعتقد الغزالي أنّ المقصود بالنبي الأمّي النبي الّذي خرج بعيدًا عن الدائرة الّتي كان يؤخذ منها الأنبياء ، وهي إسرائيل ، وإن كان هناك أنبياء عرب "[2]. وهذا ما يتوافق مع رأي شحرور من أنّ لفظة الأمّي تعني غير اليهودي والنصراني كما أشرنا سابقًا أي الجاهل بكتب اليهود والنصارى ولقد جاء التبشير بنبوة النبي الأمّي في كتبهم وجاء بكتاب مترل من ربه خالد إلى يوم القيامة .

وعليه ، فالأمّية شرف للرسول –صلى الله عليه وسلم- ووصف كمال لا وصف نقص فيه .

[2] – محمد الغزالي : كيف نتعامل مع القرآن ، ص199 .

- النموذج الثاني : ترجمة معنى لفظة " أعجمي ".

القرآن الكريم وحي السماء نزل به جبريل الأمين على فؤاد النبي- صلى الله عليه و سلم- ليكون من الرسل المنذرين لقومهم ، وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين ، وتحدثت عنه التوراة و الإنجيل و بشر به موسى و عيسى ، و لو نزل القرآن على رجل أعجمي فقرأه عليهم بلغتهم ما آمنوا مع هذه المعجزة البينة لأن التكذيب قد استقر في قلوبهم كما استقر في قلوب المجرمين المكذبـــين قبلهم.

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد أنّ كلمة "الأعجمي" ذكرت أربع مرات في القرآن ، إذ ورد ذكرها في سورة النحل في قوله تعالى : **{ لِسَانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيهِ أَعْجَمِيٌّ }** ، و ذكرت مرتين في سورة فصلت لقوله تعالى : ، **{ لَوْلاَ فصلَت آيَاتِهِ أَأَعْجَمِي وَ عَرَبِي }** . كما ذكرت هذه اللّفظة أيضا في سورة الشعراء لقوله تعالى:**{ وَ لَوْ نَزلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأعْجَمِين }** ".[1]

و ذكرت المصادر العربية والتفاسير على أنّ لفظة " أعجمي " هو غير الناطق بالعربية ، إذ ورد ذكرها في معجم النفيس من كنوز القواميس أنّ الأعجم هو الذي لا يفصح و لا يبيّن كلامه و إن كان عربي النسب . تقول هذا الرجل أعجمي إذا كان لا يفصح ، كان من العجم أو من العرب [2].

أمّا ترجمة جاك بيرك لهذه اللّفظة كانت كالآتي :

---

[1] – حسين محمد فهمي الشافعي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ط 1 ، دار الإسلام ، 1418 هـــ / 1998 م ، ص 84 .

[2] – خليفة محمّد التليسي : النفيس من كنوز القواميس ، صفوة المتن اللّغوي من تاج العروس و مراجعه الكبرى ، مج 3 ، ص 1433 .

« Nous savons bien qu'ils disent : « Ils ne fait là que suivre la dictée d'un humain » : or la langue de celui qu'implique leur allégation est barbare , alors que ce texte est en clair langue arabe ».[1]

لقد فضل جاك بيرك توظيف لفظة barbare التي لا يتفق معناها مع ما ورد في المصادر العربية التي صرّح أنّه اعتمد عليها في منهجه ، و يعود هذا كما يرى محمود العزب إلى " تأثير الثقافات الغربية من ناحية حيث كان الإغريق يطلقون على غيرهم هذه الصفة التي تحمل معنى التوحش ، و ربما الهمجية كذلك ، كما أنّنا قد نشم وراء هذه الترجمة رائحة من أثر العهد القديم ، حيث يطلق على غير العبريين و غير اليهود صفة gouyim التي تحمل مثل ما في barbare و التي تترجم في اللّغات اللاتينية كذلك بنفس المصطلح "[2].

الملاحظ أنّ جاك بيرك اعتمد على القواميس أو المعاجم الأجنبية في إيراده معنى هذه اللّفظة حيث ورد معناها في المعجم الفرنسي بمعنى : أعجمي بمعنى barbare[3] ، و في قاموس ثنائي اللّغة barbare[4] أي أجنبي أعجمي .

و لقد شكلت هذه اللّفظة خلافا كبيرًا بين أكثر مترجمي معاني القرآن و من بين المفسّرين و المترجمين العرب ؛ إذ ذهب كل من المترجم حميدالله والمترجمة دونيس ماسون و زينب عبد العزيز إلى ترجمة هذه اللفظة بمايفيد المعنى الآتي:

« Et Nous savons fort bien ce qu'ils disent : « Oui ! Quelqu'un l'enseigne , tout simplement ! – Or , celui à

---

[1] – Jacques Berque : Le coran essai de traduction , p 289 .

[2] – محمود العزب : إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم (اللغة و المعنى)، ص 57 – 58 .

[3] – Le Petit Robert : (barbare) , Paris , 1996 , p 193 .

[4] – سهيل إدريس : المنهل فرنسي–عربي ،ط2 ، دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، 1972 ، ص130.

qu’ ils l’imputent parle une langue étrangère , tandis que cette langue-ci est arabe , claire ! »[1] .

وأضاف حميد الله في هامش ترجمته لمعنى لفظة " الأعجمي " ما يفيد أنّ المقصود به اليهودي أو النصراني ، و لقد انقسمت وجهات النظر و الآراء في تحديد هويته قوله:

« (A’jami) . Il s’agit d’un Juif ou d’un Chrétien ;mais sur son identité les avis sont partagés »[2].

أما دونيس ماسون فقد نقلت المعنى الآتي :

« Nous savons qu’ils disent : « C’est seulement un mortel qui l’instruit » Mais celui auquel ils pensent parle une langue étrangère ; alors que ceci est une langue arabe claire »[3].

في حين ذهبت المترجمة زينب عبد العزيز إلى اختيار المقابل الآتي :

« Et Nous Savons exactement qu’ils disent : « Ce n’est qu’un être humain qui lui enseigne ! » La langue de celui auquel ils font allusion est étrangère , et ceci est une langue arabe évidente »[4] .

ومن مفسري القرآن نجد الزمخشري في كتابه " الكشاف "إذ عرّف الأعجمي بمعنى "غير بيّن "، و هذا القرآن " لسان عربي مبين " ذو بيان و فصاحة ردًاعلى لقولهم وإبطالاً لطعنهم [5]."

---

[1] – M.HAMIDULLAH : le saint coran , p360 .

[2] – Ibid , p360 .

[3] – Denise Masson : essai d’interprétation du coran inimitable , p361 .

[4] – Zeineb Abd El Aziz : le saint coran , p 279 .

[5] – أبو القاسم جارالله محمود بن عمرالزمخشري : تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دط ، المطبعة العامرة الشرقية ،1307هـ، مج 2 ، ص 610 .

أمّا المعنى الذي أورده صاحب كتاب التحرير و التنويرما يفيد أنّ " الأعجمي المنسوب إلى الأعجم ، و هو الذي لا يبين عن مراده من كل ناطق لا يفهمون ما يريده ، ولذلك سموا الدواب العجماوات "[1].

أمّا القاسمي في تفسيره لقوله تعالى : { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ } [2] :

و" يخبر تعالى عن المشركين في قولهم غير ما نقل عنهم قبل من المقالة الشنعاء وكذبهم و بهتهم أنّ الرسول إنّما يعلمه هذا الذّي يتلوه من القرآن بشر يعنون رجلاً أعجميًا كان بين أظهرهم يقرأ في الكتب المتقدّمة ، زعم أنه يتحدّث معه النبي -صلى اللّه عليه و سلّم- أحيانًا . و إنّما لم يصرّح باسمه للإيذان بأنّ مدار خطئهم ليس بنسبته -صلى اللّه عليه و سلّم- إلى التعلم من شخص معيّن بل من البشر كائنًا من كان ثمّ أشار تعالى وضوح بطلان بهتهم ، بأنّ لسان الرجل الّذي ينسبون إليه التعليم أعجمي غير بيّن و هذا القرآن الكريم لسان عربي مبين ذو بيان و فصاحة ، و من أين للأعجمي أن يذوق بلاغة هذا التزيل و ماحواه من العلوم فضلاً أن ينطق به ، فضلاً أن يكون معلمًا له !"[3].

وفي هذا السياق ذهب محمود العزب إلى توضيح مدى تأثر المترجم بمخزونه الثقافي فائلاً : " نشم وراء هذه الترجمة رائحة أثر من العهد القديم "[4]. وهذا ما نلاحظه في تفسير محمد الطاهر بن عاشور لهذه الآية إذ يقول :

---

[1] – محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير و التنوير ، مج 7 ، ج 14 ، ص 288 .

[2] – سورة النحل : الآية 103 .

[3] – محمد جمال الدّين القاسمي : محاسن التأويل ، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، 1418هـ / 1997 م ، ج 6 ، ص 410 .

[4] – محمود العزب : إشكاليات معاني القرآن الكريم ، ص 60 .

" فقد كان في مكة غلام رومي كان مولى لعامر بن الحضرمي اسمه جبر كان يصنع السيوف بمكة و يقرأ من الإنجيل ما يقرأ أمثاله من عامة النصارى من دعوات الصلوات ، فاتخذ زعماء المشركين من ذلك تمويهًا على العامة ، فإنّ معظم أهل مكة أميين فكانوا يحسبون أنّ من يتلو كلمات يحفظها و لو محرّفة أو يكتب حروفًا يتعلمها يحسبونه على علم ، و كان النبي –صلى اللّه عليه و سلّم– لّما جانبه قومه و قاطعوه يجلس إلى هذا الغلام ، و كان هذا الغلام قد أظهر الإسلام فقالت قريش : هذا يعلّم محمّدًا ما يقوله "[1].

الملاحظ أنّ جاك بيرك لم يكن دقيقًا في اختياره المقابل الأنسب لترجمة وتبيان معاني الألفاظ ، إذ لم يفسر هذه المعاني بناءً على المعاني التي استعملها العرب أثناء نزول القرآن و إنّما استخدم و وظف معان ظهرت بعد ذلك و هذا ما يبعد عن المفهوم الدقيق لمعاني و ألفاظ هذا الكتاب، و في هذا السياق يقول صاحب كتاب " تفسير المنار " :

" فكثيرًا ما يفسّر المفسّرون كلمات القرآن بالإصطلاحات التي حدثت في الملة بعد القرون الثلاثة الأولى ، فعلى المدقق أن يفسّر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله و الأحسن أن يفهم اللّفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه و ينظر فيه ، فربما استعمل بمعانٍ مختلفة كلفظ الهداية "[2].

و المفهوم الدقيق الذي اختاره محمود العزب لهذه اللّفظة هو عبارة Les non arabophones ، و هذا مفهوم بعيد عن ما افتراه النصارى على النبي –صلى اللّه عليه و سلّم– ، فكيف يستطيع الأعجمي أن يتذوق بلاغة هذا التنزيل وما حواه من العلوم فضلاًعن أن ينطق به ، وفضلاًعن أن يكون معلمًا له كما يرى القاسمي .

---

[1] – محمد الطاهر بن عاشور : المرجع السابق ، ص 286 .

[2] – محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ص 21 – 22 .

وأي لسان الّذي يزعمون أنّه علمه وينسبون إليه التعليم أعجمي حسب الصابوني والقرآن عربي في غاية الفصاحة ، فكيف يمكن لمن لسانه أعجمي أن يعلّم محمدًا هذا الكتاب العربي المبين ؟ ومن أين للأعجمي أن يذوق بلاغة هذا الكتاب المعجز في فصاحته وبيانه ؟

وحتّى الماديون الملحدون في روسيا الشيوعية كما يذكر سيد قطب عندما أرادوا أن يطعنوا في هذا الدّين ، كانت دعواهم أنّ هذا القرآن لا يمكن أن يكون من عمل فرد واحد – هو محمد – بل من عمل جماعة كبيرة . وأنّه لا يمكن أن يكون قد كتب في الجزيرة العربية بل إنّ بعض أجزاءه كتب خارجها ؛ دعاهم إلى هذا استكثار هذا الكتاب على موهبة رجل واحد ، وعلى علم أمة واحدة ، و لم يقولوا ما يوحي به المنطق الطبيعي المستقيم إنّه من وحي رب العالمين لأنّهم ينكرون أن يكونوا لهذا الوجود إله ، وأن يكون هناك وحي ورسل و نبوات .

فكيف كان يمكن – وهذا رأي جماعة من العلماء في القرن العشرين- أن يعلّمه بشر لسانه أعجمي عبد لبني فلان في الجزيرة العربية .

وهذا هو الرأي الذي نميل إليه والذي ينفي كل افتراء على الرسول -صلى الله عليه وسلم-و يؤكد قطعية ثبوت النص القرآني بالوحي الإلهي والذي يمكن أن نختم به مبحثنا هذا .

المبحث الخامس : أخطاء تتعلق بعكس ترتيب الآيات القرآنية .

لقد سلك جاك بيرك في تعامله مع الآيات القرآنية سلوكا و منهجا يختلف عن غيره من المترجمين و المفسرين إذ تصرف في النص القرآني بالعمل على عكس ترتيب بعض آياته ؛ و يتضح ذلك من خلال النموذجين الآتيين :

- النموذج الأول يتمثل في عكس ترتيب كل من الآية 52 و الآية 50 من سورة يوسف .
- النموذج الثاني يتعلق بعكس ترتيب العبارة لنا أعمالنا و لكم أعمالكم من الآية 15 من سورة الشورى .

- النموذج الأول : ترجمة معنى الآية 52 من سورة يوسف .

إنّ القصص القرآني يعطينا العبرة التي تخدمنا في واقع الحياة ، فليست قصة يوسف- عليه السّلام- مع امرأة العزيز للتسلية ، بل هي العبرة التي تخدمنا في قضايا الحياة ، لأن يوسف – عليه السّلام – كان قوي الإرادة لا يمكن لغيره أن يحتال عليه و يصرفه عن رأيه و يجعله خاضعًا له ، و من ثمّ لم تستطع امرأة العزيز أن تحوّل إرادته إلى ما تريد بمراودتهاله عن نفسها .

و براءة أي إنسان أمر مهم لزوال ريبة معينة . أما القرآن الكريم فقدأ فصح عن هذه المسألة بقوله :

{ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢ } [1] .

إلاّ أنّ المترجم جاك بيرك لم يحافظ على ترتيب الجمل القرآنية لهذه الآيات مركزًا على الآية الإثنين و الخمسين الّذي يعتقد أنّها يجب أن تقرأ بعد نهاية الآية الخمسين لأهمية ما تحمله هذه الآية من معنى سبق أن مهدنا للحديث عنه ، إذ يقول : " هذا هو نص القرآن في جملته الأخيرة ليشكل صعوبة بالغة أمام المترجمين ، ذلك لأنّها كما هو بديهي لا يمكن أن تنسب إلى امرأة العزيز ولكن إلى يوسف كما هو مفهوم ، و أنّ الآية الإثنيين و الخمسين يجب أن تقرأ بعد الآية خمسين "[2].

---

[1] – سورة يوسف : الآية 50 – 51 – 52 .

[2] – جاك بيرك : القرآن و علم القراءة ، ص43 .

« … Cela pour qu'il sache que je ne l'ai point trahi en son absence , et que Dieu ne guide pas (la machination) des perfides »[1].

هذه ترجمة جاك بيرك للآية 52 من سورة يوسف و التي نصها :

{ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ }.

وقد لجأ المترجم إلى استعمال الهامش لتوضيح ما ذهب إليه بقوله :

« Certains commentateurs prêtent ce verset et le suivant à l'épouse . C'est méconnaitre le rôle de l'iltifât et des entrelacs dans le coran . le propos revient évidemment à Joseph , du fait de son accent moral et édifiant »[2].

فالحوار لا يفسر إلاّ في التشابكات كما يعتقد المترجم إذ ينسب بعض المفسّرين هذا القول إلى امرأة العزيز إلاّ أنّه كما هو بديهي فإنّ هذا القول من كلام يوسف - عليه السّلام- ، و قد اختلف المفسّرون للنص القرآني في تفسيرهم لهذه الآية ويعتبرون " أنّ هذا الاعتراف شهادة مريحة من امرأة العزيز ببراءة يوسف من كل الذنوب و طهارته من كل العيوب " ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْب " أي ذلك اعتراف مني بالحق له ، و الشهادة لصدق الّذي علمته منه ، ليعلم أنّي لم أخنه بالغيب عنه منذ سجن إلى الآن ، فلم أنل من أمانته ، أو أطعن في شرفه و عفته ، بل صرحت لأولئك النسوة بأنّي راودته عن نفسه فاستعصم ، و هاأنا ذا أقر بهذا أمام الملك ورجال دولته

[1] – Jacques Berque : Le coran essai de traduction , p 250.
[2] – Ibid , p 250 .

و هو غائب عنا (...) و شهدنا على أنفسنا في مثل هذا الحفل الرهيب و المقام المنيف ببراءته من كل العيوب ، و سلامته من كل سوء "[1].

و الرأي ذاته ذهب إليه صاحب كتاب تفسير التحرير و التنوير من أنّ " ظاهر نظم الكلام أنّ الجملة من قول امرأة العزيز و على ذلك حمله الأقل من المفسرين "[2].

و قد قال بعض العلماء إنّ هذا القول من كلام يوسف -عليه السلام- كردٍّ عليها حين قالت : { قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ } . وفي هذا السياق يقول صاحب جامع البيان في تأويل آي القرآن في تأويل قوله تعالى : { ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ...} هذا الفعل الّذي فعلته من ردّي رسول الملك إليه ، و ترك إجابته و الخروج إليه ، و مسألتي إياه أن يسأل النسوة اللاّتي قطعن أيديهن عن شأنهن ، إذ قطعن أيديهن ، إنّما فعلته ليعلم أنّي لم أخنه في زوجته (بالغيب) يقول : لم أرتكب منها فاحشة في حال غيبته عني ، وإذا لم يرتكب ذلك بمغيبته ، فهو في حال مشهده إياه ، أحرى أن يكون بعيدًا من ركوبه "[3].

و هذا ما يؤكده ترجمان القرآن في تفسيره " ذلك ليعلم " العزيز " أنّي لم أخنه في امرأته " بالغيب " إذا غاب عنّي " و أنّ اللّه لا يهدي " لا يصوب و لا يرضي (كيد الخائنين) تحمل الزناة فقال له جبريل عليه السلام و لا حين هممت بها يا يوسف "

---

[1] – أحمد مصطفى المراغي : تفسير المراغي ، ص45

[2] – محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير و التنوير ، ص292 .

[3] – الطبري : جامع البيان في تأويل آي القرآن ، ص235-236 .

وما أبرئ نفسي " قلبي من الهم (إنّ النفس) يعني القلب (لأمارة) للجسد (بالسوء) بالقبيح من العمل (إلاّ ما رحم بي) عصم ربي "[1].

أمّا ما ذهب إليه الشعراوي في هذا السياق " أنّ هذا القول من تمام كلام امرأة العزيز و كأنّها توضح سبب حضورها لهذا المجلس ، فهي لم تحضر لتبرئ نفسها " إنّ النفس لأمارة بالسوء " و مجيء قول الحق سبحانه المؤكد أنّ النفس على إطلاقها أمارة بالسوء ، يجعلنا نقول : إنّ يوسف أيضًا نفس بشرية(...) و يمكن أن ينسب هذا القول إلى يوسف كلون من الحرص على أن لا يمسه غرور الإيمان ، فهو كرسول من اللّه سبحانه هو الّذي صرف كيدهن عنه. و هذا لون من رحمة اللّه به ، فهو كبشر مجرد عن العصمة و المنهج من الممكن أن تحدث له الغواية ، لكن الحق سبحانه عصمه من الزّلل "[2].

الجملة الأخيرة حسب حميد اللّه نسبها إلى امرأة العزيز و ليس إلى- يوسف عليه السلام -:

« Ceci pour que mon mari sache que je ne l'ai pas trahi en secret , et qu'en vérité Dieu ne guide pas la ruse des traitres »[3].

يبدو أنّ مفهوم حميد اللّه من الآية القرآنية يتعلق بشخص ثالث و هو العزيز ، ونفس التفسير استخلصته ماسون من ترجمتها لمعنى الآية ، إذ تنسب إلى امرأة العزيز :

« Voila , pour que mon mari sache que je ne le trahis pas en secret et que Dieu ne dirige pas la ruse des traitres » [4] .

---

[1] – ابن عباس : تنوير المقياس من تفسير ابن عباس (المعروف بابن عباس) ، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، 1421 هـ / 2000 م ، ص 253 .

[2] – محمّد متولي الشعراوي : تفسير الشعراوي ، ج 11 ، ص 6991 .

[3] – M .HAMIDULLAH : le saint coran , p 311 .

[4] – Denise Masson : essai d'intérprétation du coran inimitable , p 312 .

في القرآن الكريم أشارت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية بإلحاق المقصود إلى يوسف- عليه السلام- أي عدم خيانة امرأة العزيز يوسف بالغيب :

« Cela afin qu'il sache que je ne l'ai pas trahi en son absence , et qu'en vérité Allah ne guide pas la ruse des traitres »[1].

و المعنى ذاته ذهبت إليه زينب عبد العزيز :

« Cela , afin qu'il sache que je ne l'ai pas trahi en son absence. Certes , Allah ne guide point les manœuvres des traitres »[2].

الملاحظ أنّ الجملة القرآنية الأخيرة حسب حميد اللّه و دونيس ماسون تنسب إلى امرأة العزيز حتّى يعلم زوجها أنّها لم تخنه بالغيب مع يوسف- عليه السلام- و أنّها بريئة من التهمة في حين إعلان براءة يوسف -عليه السلام- بعدم خيانته أثناء غيابه نسبت إلى امرأة العزيز أيضًا . أمّا إلحاق التهمة بيوسف -عليه السلام- بعدم خيانته الملك العزيز فهذا ممّا لا تتقبله العقول بالقبول .

و القول الأشهر و الأليق بسياق القصة و معاني الكلام أنّه من قول امرأة العزيز لأنّ سياق الكلام كله من كلامها بحضرة الملك ، و هذا ما يؤكده ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى : { ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ...} ، تقول : إنّما اعترفت بهذا على نفسي ليعلم زوجي أنّي لم أخنه بالغيب في
نفس الأمر و لا وقع المحذور الأكبر ، وإنّما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع فلهذا إعترفت ليعلم أنّي بريئة { ... وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ } و ما أبرئ نفسي

[1] – le saint coran , p 241 .
[2] – Zeineb Abd el Aziz : le coran , p 241 .

فالنفس تتحدّث و تتمنى ، و لهذا راودته لأنّ "النفس لأمارة بالسوء إلاّ ما رحم ربي" أي إلاّ من عصمه اللّه تعالى : { **إِنَّ رَبِّي غَفُور رَحِيم** } و هذا هو القول الأشهر والأليق و الأنسب بسياق القصة و معاني القرآن "[1].

إنّ ترجيح جاك بيرك قول من نسب الخيانة إلى يوسف –عليه السلام– دون غيره ممّن نسبها إلى امرأة العزيز بناءً على اختلاف المفسرين للنص القرآني بهدف تبرئة يوسف – عليه السلام– من الذنب واعتبروه اعترافًا من امرأة العزيز كدليل على عدم خيانتها ليوسف أثناء غيابه يؤكد اعتماد جاك بيرك على التفاسير الإسلامية الّتي تبنت الرأي نفسه ، وذلك ما لمسناه من تفسير الطبري وتفسير ابن عباس لهذه الآية خلافًا للمترجم حميد الله والمترجمة دونيس ماسون وزينب عبد العزيز الّذين يرون بنسبة الخيانة إلى امرأة العزيز وليس إلى النبي يوسف –عليه السلام– تبرئة لنفسها من الذنب لامتناع من راودته عن الفاحشة و لم تقع في المحذور الأكبر ، وهذا هو القول الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني القرآن من منظور ابن كثير ، وهو الأرجح لدينا لاستحالة اقتناعنا بنسب هذا الاتهام إلى من قال : { **قَالَ رَبِّ السِّجْن أَحَبُ إِلَي مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيه** } مترفعًا عن الفاحشة الّتي لا تليق بعموم البشر الأتقياء فكيف الحال بالأنبياء المعصومين من الزلل .

[1] – الحافظ عماد الدّين أبي الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم ، ص632 – 633 .

- النموذج الثاني : ترجمة معنى الآية 15 من سورة الشورى .

و من المواضع التي عكس فيها جاك بيرك ترتيب الآيات القرآنية الآية التي بين أيدينا ، قال تعالى :

{ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥ }[1].

أمر الله سبحانه و تعالى نبيه– صلّى الله عليه و سلّم– بالإستقامة على دعوته وألاّ يلتفت إلى الأهواء المتصارعة حول دعوته ، و أن يكون مجدّدًا للإيمان بالدعوة الواحدة الّتي شملت شرائع الأنبياء جميعًا ؛ كما أعلن سبحانه فردية التبعة : { ... لَنَا أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ ... } "[2].

فمن خلال هذه الآية لاحظنا أنّ جاك بيرك عكس ترتيب جملة الآية المتوازية دون مراعاة الترتيب القرآني الثابت بالتواتر [3] و ترجمها بقوله :

« à vous vos œuvres , à nous les nôtres »[4] .

---

[1] – سورة الشورى : الآية 15 .

[2] – سيد قطب : في ظلال القرآن ، (بتصرف) ، ص3149 .

[3] – محمود العزب : إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم (اللغة و المعنى) ،ص79 .

[4] – Jacques Berque : le coran essai de traduction , p 521 .

في حين حافظ غيره من المترجمين لمعاني الآيات القرآنية على الترتيب التوقيفي و هذا ما لاحظناه على ترجمة حميدالله :

« A nous nos œuvres , et à vous vos œuvres »[1]

مضيفًا تقنية من تقنيات الترجمة ، إذ اتخذ هامشًا يوضح فيه معنى الآية ، وهذا نصه :

« Dieu va réunir nous et vous (pour confrontation). Il est donc commandé à Muhammad et de s'adresser aux Gens du livre (Judéo-chrétiens , etc.) et de faire la justice , même envers l'ennemi »[2] .

فالله سبحانه و تعالى سيجمع عباده جميعًا يوم القيامة لذلك طلب من محمد- صلّى الله عليه و سلّم- أن يخاطب أهل الكتاب من يهود و مسيحيين و غيرهم وأن يمارس العدل حتّى مع العدو .

و من المترجمين الّذين تطابقت ترجمتهم مع ترجمة حميدالله دونيس ماسون الّتي حافظت على الترتيب القرآني دون تصرف في جمله ، إذ وردت ترجمتها على النحو الآتي :

« A nous nos œuvres ; à vous vos œuvres »[3].

و الترتيب نفسه حافظت عليه الترجمة المعتمدة من الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة و الإرشاد ، إذ وردت على النحو الآتي :

---

[1] – HAMIDULLAH : Le saint coran , p640.
[2] – Ibid , p 640 .
[3] – Denise Masson : Essai d'interprétation du coran inimitable , p641.

« A nous nos œuvres et à vous vos œuvres »[1] .

أمّا المترجمة زينب عبد العزيز فقد التزمت بنفس الترجمة في الترتيب القرآني مع فروق بسيطة في ترجمة معنى أعمالنا ، و أعمالكم إذ قرأت الآية مترجمة إياها على النحو الآتي:

« A nous nos actions et à vous vos actions »[2].

إلا أن " الحقيقة المعلومة من الدين بالضرورة أن الله سيجمع المسلمين و أهل الكتاب في يوم لا ريب فيه ، لذلك فالمطلوب من محمد- صلّى الله عليه و سلّم- التوجه إلى اليهود و النصارى بإقامه العدل بينهم ، علمًا أنّ للعدل أهمية كبرى في المعتقد الإسلامي يجب تطبيقه مع المسلمين و مع أعدائهم . فهي دعوة إنصاف من منظور محمّد الطاهر بن عاشور إذ يرى أنّ الله يجازي كلا بعمله و هذا خبر مستعمل في التهديد و التنبيه على الخطأ "[3].

نخلص إلى اتفاق المترجمين السابق ذكرهم على الترتيب القرآني للآية الكريمة باستثناء المترجم جاك بيرك الّذي تصرف في ترتيب الجمل المتوازية دون توضيح في الهامش؛ موظفاهذه التقنية من تقنيات الترجمة دون تبرير لاختياره هذا لتبيان معنى هذه الآية المتعلقة بمخاطبة أهل الكتاب من يهود ومسيحيين و غيرهم من أهل العقائد الأخرى بممارسة أهم مبدأ من مبادئ هذا الدين و هو إقامة العدل بين جميع الخلائق ، لذلك كان على جاك بيرك أن لا يغفل مسألة التوقيف ، هذه المسألة العقدية الثابتة عند المسلمين ، و الّتي التزمت بها دونيس ماسون وغيرها من المترجمين المسلمين .

---

[1] – Le saint coran , p484.

[2] – Zeineb Abd El Aziz : le coran , 484 .

[3] – محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير و التنوير ، مج12 ، ج25 ، ص63 .

المبحث السادس : إضافة عبارات زائدة على النص القرآني و إغفال عبارات أو جمل لم تترجم أساسًا .

لقد وظف جاك بيرك في مقاربته للنص القرآني بالدراسة و الترجمة منهجا يختلف اختلافا بارزا بينه و بين غيره من المترجمين ؛ إذ اعتمد بعض التقنيات المعروفة في علم فن الترجمة مثل تقنية الإضافة وتقنية الحذف مما قد تؤثر هذه الأخيرة تأثيرا سلبيا على المعنى ؛ و يتضح ذلك من خلال النماذج الآتية :

- النموذج الأول : إضافة عبارة زائدة على النص القرآني .

. أولاً : إضافة عبارة " في العالمين ".

. ثانيًا : إضافة عبارة " لحظة من الليل ".

- النموذج الثاني : إغفال عبارات أو جمل لم تترجم أساسًا .

. أولاً : إشكالية حذف كلمات من الآية 110 من سورة المائدة .

. ثانيًا : إغفال عبارة من الآية 96 من سورة يوسف .

- النموذج الأول : إضافة عبارات زائدة على النص القرآني .

من التقنيات التي اعتمدها جاك بيرك في ترجمته لألفاظ و معاني القرآن الكريم تقنية أو منهجية الإضافة addition إذ أضاف عبارة Au sein des univers التي معناها " في العالمين " في الآية 109 من سورة الصافات ، قوله تعالى : {سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ } ، فتصبح الآية بالإضافة " سلام على إبراهيم في العالمين " و هي ليست كذلك [1].

كما أضاف عبارة " لحظة من الليل " التي تعني en un instant de la nuit للآية الأولى من سورة الإسراء .

أولاً : إضافة عبارة " في العالمين " .

كانت ترجمة جاك بيرك للآية 109 من سورة الصافات على النحو الآتي :
« Salut sur Abraham au sein des univers »[2]

لقد تصرف جاك بيرك في النص القرآني بإضافة عبارة " في العالمين " دون تبرير لاختياره لهذه الإضافة ، إذ لم يلجأ إلى حل الهوامش كتقنية من تقنيات الترجمة لتوضيح تصرفه هذا .
و قد التزمت المترجمة زينب عبد العزيز بالحفاظ على أصل النص القرآني فوردت ترجمتها على النحو الآتي :

---

[1] – محمود العزب : إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم (اللغة و المعنى) ، ص77 .

[2] – Jacques Berque : Le coran essai de traduction , p 482 .

« que la paix soit avec Abraham »[3]

أمّا ترجمة دونيس ماسون فقد ترجمت هذه الآية بقولها :

« La paix sur Abraham »[1]

فلم تضف هذه المترجمة عبارة " في العالمين " رغم أنّ تقنيات الترجمة واحدة في نقل المعاني ،فجاك بيرك اعتمد منهج الإضافة الّذي عُرف به كتاب التوراة .

و لم تختلف ترجمة حميد اللّه هذه الآية عن غيره من ترجمة زينب عبد العزيز وترجمة دونيس ماسون ، و كانت على النحو الآتي :

« Paix sur Abraham »[2] .

و بالعودة إلى التفاسير الإسلامية التي كانت ضمن منهج جاك بيرك في نقل المعاني ، نجد صاحب كتاب التنوير والتحرير يؤكد أنّ عبارة " في العالمين " لم يرد ذكرها في هذه الآية " لأنّ إبراهيم لا يعرفه جمع الجميع من البشر بخلاف نوح عليه السّلام "[3].
و قوم نوح كما يرى هذا المفسّر " هم الناس الّذين كانوا عامرين الأرض يومئذ إذ لا يوجد غيرهم على الأرض كما هو ظاهر حديث الشفاعة و ذلك صريح ما في التوراة "[4].

وتأكيدًا على ذلك نورد الحديث النبوي الشريف الآتي :

{حدّثنا محمّد بن مقاتل : أخبرنا عبد اللّه : أخبرنا أبو حيان اليتمي ، عن أبي زرعة بن عمرو بنى جرير ، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : " أتي الرّسول صلى اللّه عليه و سلّم بلحمٍ ، فرفع إليه الذراع – و كانت تعجبه – فنهس منها نهسة ثمّ قال : " أنا

---

[3] – zeineb abd el aziz : le saint corant , p 450 .
[1] – Denise Masson : Le coran , p 533 .
[2] – M . HAMIDULLAH : le saint coran , p 593 .
[3] – محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير و التنوير ،ج14 ، ص160 .
[4] – المصدر نفسه ، ج14 ، ص187 .

سيد الناس يوم القيامة (...) يا نوح ، إنّك أنت أول الرّسل إلى أهل الأرض ، و قد سمّاك اللّه عبدًا شكورًا ، إشفع لنا إلى ربّك ..."} [1].

وكدليل آخر عن الزيادة في كتابة التوراة ما أورده الطاهر بن عاشور في قوله :
" ما وقع في سفر التكوين في الإصحاح الثاني و العشرين أنّ اللّه امتحن إبراهيم فقال له : خذ إبنك وحيدك الّذي تحبه إسحاق و اذهب إلى أرض المريّا وأصعده هنالك محرقة على أحد الجبال الّذي أقوله لك ..." إلى آخر القصة .
و لم يكن إسحاق إبنًا وحيدًا لإبراهيم فإنّ اسماعيل وُلد قبله بثلاث عشرة سنة.
و لم يزل إبراهيم و إسماعيل متواصلين ، و دفنه إسحاق و إسماعيل أبناءه " فإقحام اسم إسحاق بعد قوله : إبنك وحيدك من زيادة كاتب التوراة "[2].

إلاّ أنّ التساؤل الّذي يستوقفنا في هذه المسألة ، هل يخضع النص القرآني لهذه التقنيات كما يخضع نص التوراة ؟
قد يقال ، نص التوراة نص مقدس مثل النص القرآني في قداسته ، فلماذا تطبق هذه التقنيات عليه و لا تطبق على غيره مثل ما فعل نيدا ؟
إلاّ أنّ توقيفية القرآن الكريم في الفكر الإسلامي تتعارض مع تطبيق تقنيات الترجمة في العقائد الدينية الأخرى غير الإسلام لثبات العقيدة الإسلاميةالصحيحة المعلومة من الدين بالضرورة الراسخة في ذهن كل مسلم.

---

[1] – متفق عليه من حديث أبا هريرة ، أخرجه البخاري ،3 / 1458 ، كتاب التفسير ، باب : ذرية من حملنا مع نوح إنّه كان عبدًا شكورًا ، رقم الحديث : 4712 ؛ و مسلم : 1 / 121 ، كتاب الإيمان ،باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

[2] – محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير و التنوير، مج11 ، ص 158 .

ثانيًا : إضـــافة عبارة " لحظة من الليل ".

كان اليهود يعيرون النبي صلّى الله عليه و سلّم بأنّه يذهب إلى بيت المقدس مثل الرسل السابقين و يعيرونه أنّه ليس من سلسلة الأنبياء ، فقد اختصّ الله ابراهيم بأن جعله أبًا للأنبياء و المرسلين و أنّ جميعهم كانوا من نسل ولده إسحاق ، ثمّ يعقوب الملقب باسرائيل . أمّا النبي محمد- صلى الله عليه و سلّم- فكان وحده من نسل إسماعيل بن إبراهيم ، و قد جعل الله الإسراء إلى بيت المقدس ليكون بمثابة تدشين لنبوته ثمّ جعله يصلي إمامًا بالأنبياء ليكون هذا اعترافًا بأنّه أهلا للرسالة "[1] .

إنّ للمسجد الأقصى دلالة باهرة عند اللّه تعالى و سمي الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ، إذ بارك اللّه حوله لأنّه مقر الأنبياء و مهبط الملائكة و الإسراء بين هذين المسجدين هو الرحلة التي أكرم اللّه بها نبيه ليلاً ، إذ قال تعالى : سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ }[2].

و حاول المترجم جاك بيرك أن ينقل معنى الإسراء ليلا من خلال ترجمته حيث وردت ترجمته لهذه الآية على النحو الآتي :

« O transcendance de celui qui fit aller de nuit , en un instant de la nuit , son adorateur de l’ Oratoire consacré à l’oratoire ultime dont Nous avons béni le pourtour , afin de lui découvrir de nos signes ! »[3].

---

[1] – عبد الله شحاته : تفسير القرآن ، ج 8 ، ص2770 .

[2] – سورة الإسراء : الآية 1 .

[3] – Jacques Berque : Le coran essai de traduction , p 292 .

و قد لاقت ترجمته هذه انتقادًا من طرف المترجمة لمعاني القرآن الكريم زينب عبد العزيز معترضة على إضافته لفظة " في لحظة من اللّيل " En un instant de la nuit أي أنّ الرسول- صلى اللّه عليه و سلّم- من منظورجاك بيرك أُسري به في لحظة من اللّيل فقط و ليس في اللّيل كله ، إذ وردت ترجمتها كالآتي :

« Gloire à celui qui fit partir , de nuit , son serviteur , de la Mosquée Sacrée à la Mosquée al- Aqsa , dont Nous Avons béni les alentours , pour lui montrer de Nos Signes . Il Est, lui , l'Omni – Audient , l'Omnivoyant »[1].

و الملاحظ على ترجمة زينب عبد العزيز أنّ رحلة الإسراء كانت في الليل كله و ليس في جزء من أجزائه أو لحظة من لحظاته .

لقد أثارت قضية الإسراء من قبل أذهان العرب من قريش ، إذ عجزوا عن تصور الفكرة فاجتمعت آراؤهم بين مستهزأ و مصدقو لم يصدّقه إلاّ الصديق رضي اللّه عنه ، لأنّ الإسراء معجزة من معجزات اللّه ممّا أدى إلى اختلاف و تساؤل ضعاف الإيمان إن كان الإسراء قد تم بالروح و الجسد ، أو بالروح فقط. و سورة النجم تجيب على أنّ الإسراء كان بالرّوح و الجسد : { لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾ } [2].

وتأكيدًا لهذه الآية فإنّ لفظة "الإسراء" كما يقول سيد قطب : " آية من آيات اللّه ، و هو نقلة عجيبة بالقياس إلى مألوف ، و المسجد الأقصى هو طرف الرحلة .

والمسجد الأقصى هو قلب الأرض المقدسة الّتي أسكنها الله بني إسرائيل ثمّ أخرجهم منها (...) إنّ الإسراء تم في البرهة الوجيزة التي لم يبرد فيها فراش الرّسول- صلى اللّه عليه و سلّم- دليل على أنّه جزء من اللّيل و ليس اللّيل كله ، و سفره على البراق ،

---

[1] – Zeineb Abd El Aziz : le coran , p 282 .

[2] – سورة النجم : الآية 18 .

إذ سمّي البراق كسرعة البرق . و أيًّا كانت صورتها و كيفيتها – آية من آيات اللّه تفتح القلب على آفاق عجيبة ، في هذا الوجود ، و تكشف عن الطاقات المخبوءة في كيان هذا المخلوق البشري "[1].

كما أوردنا رأي المفسّر محمد الطاهر بن عاشور الّذي ذهب إلى أنّ المسجد الأقصى " بناه سليمان –عليه السّلام –، و الأقصى أي الأبعد ، و المراد بعده عن مكة بقرينة جعله نهاية الإسراء من المسجد الحرام ، و هو وصف كاشف إقتضاه هنا زيادة التنبيه على معجزة هذا الإسراء و كونه خارقًا للعادة لكونه قطع مسافة طويلة في بعض ليلة "[2].

والرأي الدقيق الذي نوضح به هذا المفهوم تفسير الرازي للمعنى ليلا إذ يرى أن " الإسراء لا يكون إلا بالليل ، فما معنى ذكر الليل ؟ قلنا : أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء ، و أنه أسري به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة ، و ذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ".

تبيّن لنا أنّ تفسير محمد الطاهر بن عاشور لهذه الآية هو نفس المفهوم الّذي فسّر به جاك بيرك نص هذه الآية ، من أن رسول الله– صلى عليه و سلم– قد أسري به في بعض ليلة فقط و ليس في ليلة كاملة ، و بشكل أدق ماذهب إليه الرازي من تأكيده على البعضية مما يثبت أن هذه الرحلة أمر خارق للعادة و هو معجزة من معجزات الله ونورد في هذا القول :

" و الأمر في جملته خاضع لقدرة الله التي لا تقف أمامها حدود و هو معجزة لرسول الله ، و المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي الرسالة تصديقا له في دعواه ، و ليس فيما كشفه العلم من قوانين الجذب العام و نظام الأفلاك و مسابح

---

[1] – سيد قطب : في ظلال القرآن ، مج 6 ، ص 2212 .

[2] – محمّد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير و التنوير ، ص 14 – 15 .

النجوم و عناصر الكواكب و نواميس الحركة و طبقات الهواء و تحديد الحركات ومعايير السرعة ليس في ذلك كله و ما يتصل به ما يقف أمام الإسراء و المعراج . فقد ثبت أن نجم المشتري يجري بسرعة ثلاثين ألف ميل في الساعة فيجري تسعة أميال كلما تنفس الإنسان . و المشتري أكبر من أرضنا بألف و أربعمائة مرة . و أن الله الذي جعل هذا الجسم المكثف الهائل يقطع الأبعاد الشاسعة في لحظات لا يبعد عليه أن يسري بنبيه من مكة إلى بيت المقدس على مقتضى ناموس لا نعرفه و إن كان الوجود يشتمل عليه مادام العلم قد أثبت سرعة عجيبة لأجرام كثيفة .) فتقنية الإضافة التي وضّفها المترجم في ترجمته قصد بها التوضيح و التفسير لا أكثر ، علمًا أنّ عمله هذا يعدّ ترجمة تفسيرية لمعنى هذه الآية ،والرأي الذي يمكننا الإقتناع به من آراء المفسرين رأي الفخر الرازي من تأكيده على البعضية مما يثبت أن هذه الرحلة أمر خارق للعادة و معجزة من معجزات الله ؛ خصوصًا إذا علمنا أنّ للبيت مكانة وقدسية عند اللّه تعالى نظرًا للعلاقة الوثيقة بين الأنبياء من رابطة الدّين الواحد الّذي جمعهم اللّه عزوجل .

و المعنى الّذي استشفه البوطي من الإسراء به- صلى الله عليه وسلّم- إلى بيت المقدس " لدلالة باهرة على مدى ما لهذا البيت من مكانة و قدسية عند الله تعالى، و فيه دلالة واضحة أيضًا على العلاقة الوثيقة بين ما بعث به كل من عيسى بن مريم و محمّد بن عبد اللّه -عليهما الصلاة و السّلام- و على ما بين الأنبياء من رابطة الدّين الواحد الّذي أتبعهم اللّه عز و جل "[1].

[1] – محمّد سعيد رمضان البوطي : فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، ط11 ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1991 ، ص 113 .

صفوة القول أنّ الإسراء وسط بين البعثة و إخراج الرّسول- صلى اللّه عليه وسلّم- من مكة إلى المدينة لإثبات قدرة اللّه بمعجزة شبه مادية ، فالمؤمن في غنى عن الماديات ، يبقى الإيمان بالغيب و تبقى هذه الحادثة إبتلاء و فتنة .

و الأمر في جملته خاضع لقدرة الله الّتي لا تقف أمامها حدود و هو معجزة لرسول الله ، و معجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدّعي الرسالة تصديقًا له في دعواه ، و ليس فيما كشفه العلم من قوانين الجذب العام و نظام الأفلاك و مسابح النجوم وعناصر الكواكب و نواميس الحركة و طبقات الهواء و تحديد الحركات و معايير السرعة- ليس في ذلك كله و ما يتصل – ما يقف أمام الإسراء و المعراج .

- النموذج الثاني : إغفال عبارات أو جمل لم تترجم أساسًا .

" لقد قام محمود العزب بدراسة تقوم في صلبها على مجموعة ملاحظات وتصويبات قام بها أثناء مراجعة ترجمة معاني القرآن و قدّمها لمجمع البحوث الإسلامية في الأزهر ؛ بناءً على تكليف من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السابق الشيخ جاد الحق علي جادالحق .. موجّهة إلى جاك بيرك الأستاذ السابق لعلوم الإسلام في كوليج دو فرانس .. و قد صحّح بناءً عليها كثيرًا من الأخطاء في ترجمته في الطبعة الثانية الصادرة في باريس سنة 1995 ، و شكر الأزهر و شكرني على ذلك "[1].

من أغرب ما وقع فيه جاك بيرك في مجال الحذف من النص القرآني ما جاء في ترجمته للآية: مائة وعشرة من سورة المائدة حيث نسي ترجمة خمس كلمات هي :
{... فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ... } .
بالإضافة إلى الإغفال عن عبارة { **عَلَى وَجْهِه** } في ترجمته للآية السادسة والتسعون من سورة يوسف .

أولاً :إشكالية حذف كلمات من الآية 110 من سورة المائدة .

بناءً على الملاحظات و التصويبات من محمود العزب و الموجهة إلى جاك بيرك ، لوحظت بعض التصحيحات الّتي صحّحها المترجم في الطبعة الثانية الصادرة في باريس عام 1995 ، منها قوله تعالى :

---

[1] – محمود العزب :إشكاليات الترجمة (اللغة و المعنى) ، ص5 .

{ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ }[1] .

وتتبعنا لقراءته دفعتنا إلى التفكير في طبيعة مقاصده الاستكشافية للقرآن بالاستعانة بما ذهبت إليه المترجمة زينب عبد العزيز في هذا السياق إذ تعتقد أنّ " السيد بيرك قد أغفل ترجمة هذا الجزء من الآية لأنّه وارد في الإنجيل و معروف تاريخيًا ، و إن نقل هذه الواقعة إلى النص الفرنسي يدل على أنّ القرآن يشير إلى حقائق ثابتة ..

و هو ما حاول جاك بيرك التضليل عليه بحذف هذه الكلمات الخمس مثلما تعمد حذف آيات أو كلمات أخرى لها دلالتها و ذلك بخلاف تغيير ترتيب عبارة "نعمتي عليك و على والدتك" ترجمها : نعمتي على والدتك و عليك ، Mon bienfait sur ta mère et sur toi".[2]

و بالرجوع إلى ترجمة جاك بيرك للآية :{ **فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي**} لاحظناأنه لم يسقط الكلمات الخمس كلها كما تعتقد زينب عبد العزيز و إنما أغفل منها فتكون طيراً إذ ذكر النفخ فيها دون ذكر النتيجة من هذا النفخ الذي تولد منها أن تكون طيرا بإذن الله ؛ إذ لم يوضح المعنى بدقة كما وضحه غيره من المترجمين أمثال

---

[1] – سورة المائدة : الآية 110 .

[2] – زينب عبد العزيز : ترجمات القرآن إلى أين ؟ وجهان لجاك بيرك ، ص62 .

دونيس ماسون التي وضحت المعنى بقولها : et elle est oiseau . فكانت ترجمته كالآتي :

« Lors Dieu dit : « Jésus fils de marie , rappelle-toi Mon bienfait sur ta mère et sur toi , quand je te confortai de l'Esprit de sainteté , te faisant parler dés le berceau comme à l'âge adulte ; que je t'enseignai l'Ecriture et la sagesse , la Torah , l'Evangile ; et que tu créais d'argile comme une forme d'oiseau , non sans Ma permission ; et que tu soufflais sur elle, non sans Ma permission ; et que tu guérissais l'aveugle et le lépreux , non sans Ma permission ; »[1] .

الملاحظ على هذه الترجمة أنّ المترجم لم يبرر تغيير ترتيب الآية { **نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلَى وَالِدَتِكَ** } و هو تغيير لم ينتهجه أحد من المترجمين أمثال دونيس ماسون ، زينب عبد العزيز و محمد حميدالله ، ملتزمين بتوقيفية القرآن الكريم دون التصرف في الآيات بالإسقاط و الحذف لعدم تناسب القرآن المقدس مع هذا النوع من التقنيات .

و لو أردنا استنطاق الرجل و استكشاف ما يدورفي خلده لاعتقدنا أنّه قد قدّم ذكر الأم على ذكر الولد لأنّ أم عيسى –عليه السلام– مقدسة جدًّا في الفكر المسيحي ، و أنّ معجزة إنجابها سيدنا عيسى أعطاها هذا النوع من القداسة فورد ذكرها في الترجمة قبله .

ذكرنا هذا التحليل من باب الإحتمال فقط لا من باب الجزم لأنّ الفكر الإسلامي يبقي النص القرآني الثابت بالتواتر على حرفيته دون محاولة التصرف فيه بالتقديم أو بالتأخير . و في هذا الصدد يقول سيد قطب :

[1] – Jacques Berque : le coran essai de traduction , p138 .

" إنّها المواجهة بما كان من نعم اللّه على عيسى ابن مريم و أمّه .. من تأييده بروح القدس في مهده ، و هو يكلم الناس في غير موعد الكلام ، يبرئ أمه من الشبهة الّتي أثارتها و لادته على غير مثال ، ثمّ و هو يكلمهم في الكهولة يدعوهم إلى الله .. وروح القدس جبريل- عليه السلام- يؤيده هنا و هناك .. ومن تعليمه الكتاب و الحكمة و قد جاء إلى هذه الأرض لا يعلم شيئا ، فعلمه الكتاب و علمه كيف يحسن تصريف الأمور ، كما علّمه التوراة الّتي جاء فوجدها في بني إسرائيل، و الإنجيل الّذي آتاه إياه مصدّقًا لما بين يديه من التوراة ، ثمّ من إتيانه خارق المعجزات الّتي لا يقدر عليها بشر إلاّ بإذن الله – لا ندرِ كيف لأنّنا لا ندري إلى اليوم كيف خلق الله الحياة ، وكيف يبث الحياة في الأحياء "[1].

و ما يؤيد رأي سيد قطب ما ورد في المنتخب في تفسير القرآن مانصه :

" و في ذلك الوقت ينادي الله عيسى بن مريم من بين الرسل فيقول له : أذكر ما أنعمت به عليك و على أمك في الدنيا ، حينما ثبتك بالوحي و أنطقتك و أنت رضيع بما يبرئ أمك مما اتهمت به ، كما أنطقتك و أنت كبير بما قد أوحيت إليك ، و حينما أنعمت عليك بتعليمك الكتابة ، و وفقتك للصواب من القول والعمل و علمتك كتاب موسى و الإنجيل الّذي أنزلته عليك ، و أقدرتك على معجزات تخرج عن طوق البشر حيث تتخذ من الطين صورة الطير بإذن الله ، فتنفخ فيها فتصبح طائرًا حيًا بقدرة الله لا بقدرتك "[2].

و زينب عبد العزيز استعملت لفظة vouloir بدل permettre ممّا يبيّن أنّ إرادة الله الحقة لاتضاهيها إرادة في الخلق فوردت ترجمتها لهذه الآية على النحو الآتي :

---

[1] – سيد قطب : في ظلال القرآن ، مج 2 ، ج5 ، ص 997 .

2 – رقية محمّد جبر ، و عشيرة محمد كامل أحمد : المنتخب في تفسير القرآن الكريم باللّغتين العربية و الفرنسية ، ص174 .

« Lorsque Allah dit : « O Jésus fils de Marie , souviens-toi de ma Grâce envers toi et envers ta mère , lorsque Je t'Ai soutenu par l'Esprit de Sainteté pour que tu parles aux hommes , au berceau , et dans la force de l'âge . Et lorsque Je t'Ai Enseigné le Livre , la Sagesse , la Torah et l'Evangile . Et lorsque tu créais de l'argile comme la forme de l'oiseau , par Mon Vouloir , et en laquelle tu insufflas et elle devint oiseau , par Mon Vouloir . Et tu guérissais l'aveugle-né et le lépreux , par Mon Vouloir »[1].

و الترجمة المختارة من هذه الترجمات المذكورة ترجمة زينب عبد العزيز التي تبيّن إرادة الله الحقة ، كما وضحت المعنى الوارد في ترجمتها بذكرها " elle devient oiseau" .

أمّا المترجم حميدالله فقد احترم مراحل خلق الطير موظفا في ترجمته لفظة puis بقوله :

« Tu pétrissais de glaise comme une figue d'oiseau puis tu soufflais dedans ; puis par Ma permission , elle devenait oiseau »[2] .

أما نص الترجمة كاملاً لمعنى هذه الآية نورده على النحو الآتي :

« Et quand Dieu dira : « O Jésus , fils de Marie , rappelle-toi Mon bienfait sur toi et sur ta mère quand

[1] – زينب عبد العزيز : القرآن الكريم و ترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية ، ص126 .

[2] –M.HAMIDULLAH : le saint coran , 159 .

Je te fortifiai de l'esprit de Sainteté ! au berceau tu parlais aux gens , puis comme homme ayant atteint l'âge mur .
Et quand Je t'enseignai le livre et la sagesse et la Torah et l'Evangile ! Et quand tu pétrissais de glaise comme une figue d'oiseau ! puis tu soufflais dedans ; puis par Ma permission , elle devenait oiseau . Et tu guérissais par Ma permission , l'aveugle-né et le lépreux ! »[1]

في حين كانت ترجمة دونيس ماسون لمعنى هذه الآية كالآتي :

Dieu dit :
« O Jesus , fils Marie ! Rappelle-toi mes bienfaits à ton égard et à l'égard de ta mère .Te t'ai fortifié par l'Esprit de Sainteté .
Dés le berceau , tu parlais aux hommes comme un vieillard . Je t'ai enseigné le livre , la sagesse , la Torah et l'Evangile .
Tu crées , de terre , une forme d'oiseau avec ma permission. Tu souffles en elle , et elle est : oiseau avec ma permission . Tu guéris le muet et lépreux avec ma permission »[2].

ثانيًا : إغفال عبارة من الآية 96 من سورة يوسف .

ومن المآخذ الموجودة على هذه الترجمة ما أغفله جاك بيرك من عبارة " على وجهه " دون أن يوضح السبب من وراء عمله هذا .

[1] – M.HAMMIDULLAH : le saint coran , p159 .
[2] – Denise Masson : Essai d'interprétation du coran imitable , p160 .

قال تعالى : { فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٩٦ }[1] ، كما أنّ المترجم ذكر " ألقى القميص عليه "[2].

« Mais quand vint le porteur de la bonne nouvelle , il lui jeta la chemise . Jacob redevint voyant . Il dit : « Ne vous ai-je pas dit que je sais de par Dieu ce que vous ne savez pas ? »[3].

في حين أوردت دونيس ماسون معنى الآية مفاده :

« Quand arriva le porteur de bonnes nouvelles , il appliqua la tunique sur le visage de Jacob : celui-ci recouvra la vue
Et il dit :
« Ne nous avais-je pas affirmé que je sais , par Dieu , ce que vous ignorez ? »[4]

و تقترب ترجمة حميدالله من ترجمة ماسون إذ يرى :

« Puis , quand vint le porteur d'annonce , il jeta la tunique de Joseph sur le visage de Jacob qui redevint voyant »[5]

---

[1] – سورة يوسف : الآية 96 .

[2] – محمود العزب : إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم (اللّغة و المعنى) ، ص54 .

[3] – Jacques Berque : le coran essai de traduction , p255 .

[4] – Denise Masson : Essai d'interprétation du coran inimitable , p 318 .

[5] – M.HAMIDULLAH : Le saint coran , p317 .

أما المترجمة زينب عبد العزيز ساقت لنا المعنى الآتي :

« Puis , quand l'annonciateur arriva , il la lança sur son visage , alors il redevint voyant ; il dit : « Ne vous ai-je pas dis que je sais par Allah ce que vous ne savez pas ? »[1].

كما أشارت الترجمة الّتي اعتمدتها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية و الإفتاء والدعوة والإرشاد في ترجمتها ما يفيد المعنى الآتي :

« Puis quand arriva le porteur de bonne annonce il l'appliqua (la tunique) sur le visage de Jacob . Celui-ci recouvra (aussitôt) la vue , et dit :
« Ne vous ai-je pas dit que je sais , par Allah , ce que vous ne savez pas ? »[2]

لم يسقط عبارة " على وجهه " من الآية السابق ذكرها من المترجمين إلاّ المترجم جاك بيرك دون تبرير و هذا من المآخذ الّتي يؤاخذ عليها .
و لم نلاحظ استخدام تقنية الإسقاط عند المترجمين السابق ذكرهم .

إن الإشكال الكبير الذي نلاحظه هو ماجاء في مقدمة جاك بيرك من أفكار سليمة تتحدث عن القرآن أنه كتاب معجز و أن الولوج فيه ليس بالأمر الهين كما أقر بوجود الوحدة و التناسق بين آياته و أعجب بذلك ، غير أن الجانب التطبيقي العملي الذي لاحظناه على ترجمة بعض هذه النصوص المقدسة والتي أغفل منها جاك بيرك ألفاظا و تصرف في بعض نصوصها بالجمع أو الإفراد وغير ذلك كما سنبين ذلك بأمثلة لا يتماشى مع الأفكار التي عبر عنها في مقدمته .

---

[1] – Zeineb Abd El Aziz : le coran , p247 .
[2] – le saint coran , p 247 .

مالذي حرك جاك بيرك للإتيان بمثل هذه المعاني ؟
أين يكمن الإشكال ؟ هل هو إشكال فكري حضاري ثقافي ؟ أم هل هو إشكال لغوي ؟

إن المطلع على فكر المترجم ونظرته للإسلام بدليل أنه طالب بإيجاد فضاء إعلامي إسلامي في القناة الفرنسية الثانية بعنوان[2] Connaitre L islam ؛ بالإضافة إلى تطرقه للقضايا الهامة في القرآن مثل قضية النسخ والتي اعتقد من خلالها بوجود النسخ في بعض النصوص القرآنية جعلنا نطرح التساؤل الآتي :
هل تقنية الإسقاط التي وظفها في ترجمته بنيت على أساس الإيمان بتعطيل بعض النصوص القرآنية التي استنتجها و استخلصها من تطرق علماء الإسلام له واختلافهم فيه أم لسبب آخر نجهله ؟

إن المطلع على تاريخ جاك بيرك و على فكره وانتقاداته و كتاباته حول الحديث عن العرب وتقديم نفسه على أنه صديقا لهم ودعوتهم إلى التجديد و نبذ الجمود ، ودعوته إلى إعادة قراءة القرآن .

والتساؤل الذي يشغلنا هل نبذ الجمود يكمن في حرية التصرف في النص القرآني ؟
إن التعتيم الذي يخيم على فكر جاك بيرك مما يجعله يناقض نفسه أحيانا لا يقنع الفكر الإسلامي لأن ماهو أسلم للعقل أن الإعتقاد الصحيح و الفطري لا يؤمن بتحنيط النص و لا تعطيله . أما إن كان جاك بيرك اعتمد على العقل البحث في مقاربته النص القرآني ، نقول إنما جعل العقل ليهتدي بالشرع ، كما أن تقريب المفاهيم لا يقدم للآخرإلا بأصوله .

---

[2] - شهادة أدلى بها الأستاذ المشرف الدكتور عبد الرزاق قسوم .

يبدولنا أن جاك بيرك انطلق في ترجمته لمعاني القرآن من مشروع ديني حضاري ثقافي معتبرا أن ترجمته للقرآن هي مواصلة لترجمة الكتب المقدسة السابقةّ. فغاية المترجم السعي إلى الموضوعية و الدقة و الأمانة مع مراعاة ترتيب عناصر النص الهدف بطريقة مماثلة كالتي رتبت في النص الأصلي، ولو تنافى ذلك مع منطق اللغة التي يترجم إليها مع دقة الفهم ووضوح الأسلوب، كما يجب على المترجم أن يعايش الأثر الذي يترجمه .

و نعتقد أنها محاولة من جاك بيرك لتقريب لغة و معاني القرآن من أفهام وأذهان فكر الغربيين و كأنه بهذه الترجمة يساهم في حوار الحضارات و حوار الديانات بين مختلف الثقافات ؛ و ماهي إلا محاولة للترجمة كما صرح بنفسه لا تقف معاني القرآن عندها .

المبحث السابع : إفراد ما جُمع و جمع ما اُفرد في القرآن ، و اختيار البناء للمعلوم عوض البناء للمجهول .

من التقنيات الّتي اعتمدها المترجم في مقاربة النص القرآني إفراد ما ينبغي جمعه في الآية 204 من سورة الأعراف ، و الآية 131 من سورة النساء .
و جمع ما اُفرد في الآية 151 من سورة الأعراف ، و الآية 111 من سورة الإسراء كما اختار في ترجمته البناء للمعلوم عوض البناء للمجهول في الآية 6 من سورة الزلزلة

- النموذج الأول : إفراد ما جُمع و جمع ماأُفرد في القرآن .

لا نعلم إذا كان بإمكاننا التسليم بأقوال بيرك و تأويلاته مهما أوتي من عدة منهجية أو نظرية إذ وقع انتباهنا على مواطن القصور والنقص إذ عمل هذا الأخير على إفراد ماينبغي جمعه ، وجمع ما ينبغي إفراده دون تقديم تبرير لذلك .

أولاً : إفراد ما جُمع في القرآن في الآية 204 من سورة الأعراف ، الآية 131 من سورة النساء .

1. إفراد ما جُمع في القرآن في الآية 204 من سورة الأعراف .

قال تعالى :

{ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ }[1] .

لترجمة معنى هذه الآية القرآنية اختار المترجم الإفراد لما هو جمع في ضمير الفاعل المتصل للمخاطبين " استمعوا و أنصتوا " فترجم :

« … Ecoute le bien , entends le pour toi-même »[2].

فقد رأى محمود العزب الترجمة بالجمع لازمة ، و قد التزم جاك بيرك هذا التصويب والتصحيح ، إذ وردت ترجمته لهذه الآية بالجمع لا بالإفراد فترجم :

« Quand le coran est psalmodié , écoutez , faites silence en vous-mêmes , dans l’espoir d’obtenir miséricorde »[3] .

---

[1] – سورة الأعراف : الآية 204 .

[2] – محمود العزب : إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم (اللّغة و المعنى) ، ص93 .

[3] – Jacques Berque : le coran essai de traduction , p 187 .

و قد التزم كل من المترجم حميدالله ، المترجمة دونيس ماسون و زينب عبد العزيز بالجمع دون محاولة الإفراد خلافًا لما قام به جاك بيرك . فترجم حميدالله :

« Et quand on fait lecture du coran , alors , prêtez-lui l'oreille, et restez cois . Peut-être vous sera-t-il fait miséricorde ? »[1].

و ترجمت دونيس ماسون :

« Lorsque le coran est récité , écoutez-le et taisez-vous . Peut-être vous sera-t-il fait miséricorde »[2].

و ترجمت زينب عبد العزيز :

« Et lorsqu'on récite le Qur'àn , écoutez-le et entendez , peut-être vous serait-il fait Miséricorde »[3].

2. إفراد ما جمع في الآية 131 من سورة النساء .

قال تعالى :

{... ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ ...}[4] .

ترجم جاك بيرك عبارة " **مِنْ قَبْلِكُمْ** " بضمير المفرد المخاطب بدلاً من ضمير الجمع المخاطب و هو مخالف للصحيح و للسياق الّذي يحتم الجمع "[5].

« A ceux qui avant toi ont reçu l'écrit »[6] .

---

[1] – M.HAMIDULLAH : Le saint coran , p226 .

[2] –Denise Masson : Essai d'interprétation du coran inimitable , p227 .

[3] – Zeineb Abd El Aziz : le coran , p176 .

[4] – سورة النساء : الآية 131 .

[5] – محمود العزب : إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم (اللغة و المعنى)، ص91 .

[6] – Jacques Berque : Le coran essai de traduction , p113 .

و لا نعلم لماذا اختار المترجم الإفراد لما هو جمع مع أنّ المعروف الثابت في الفرنسية أنّ ضمير الجمع يستخدم و يوظف لمخاطبة المفرد عند إفراده تعبيرًا عن الإحترام و التقدير .

و هذا الإفراد لم نلاحظه في الترجمات الّتي سبقته أو الّتي ظهرت بعد ترجمته إذ نلاحظ أنّ حميدالله حافظ على ضمير الجمع كما ورد ذكره في الآية الكريمة :

« A ceux à qui avant vous le Livre fut donné , tout comme à vous-mêmes »[1] .

و لم تختلف المترجمة دونيس ماسون عن حميدالله إذ التزمت الأمر ذاته :

« A ceux qui ont reçu le Livre avant vous et à vous-mêmes »[2] .

و لقد ترجمت زينب عبد العزيز الآية القرآنية دون الإفراد لضمير الجمع :

« A qui le Livre fut Révélé avant vous , et à vous-mêmes »[3].

[1] – M.HAMIDULLAH : Le saint coran , p125 .
[2] – Denise Masson : Essai d'interprétation du coran inimitable , p126 .
[3] – Zeineb Abd El Aziz : le coran , p99.

ثانيًا : جمع ما أُفرد في الآية 151 من سورة الأعراف ،
و الآية 111 من سورة الإسراء .

1. جمع ما أُفرد في الآية 151 من سورة الأعراف .

قال تعالى :

{قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ }[1] .

حاول جاك بيرك بترجمة الجملة القرآنية " **وَ أَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ** " **بناءً** على ضمير المتكلم المتصل المفعول به المفرد "أدخلني" prends-moi بينما هو في الآية جمع ، فترجم :

« Seigneur , pardonne-moi , ainsi qu'à mon frère , prends-nous en Ta miséricorde , Toi , le plus Miséricordieux des miséricordieux »[2].

لقد اتفق جميع المترجمون على التزام الجمع دون الإفراد ، فكانت ترجمة حميدالله :

« Et Moise : « O mon seigneur , pardonne , à moi et à mon frère , et fais-nous entrer tous deux en Ta miséricorde , cependant que Tu es le plus miséricordieux des miséricordieux »[3] .

و ترجمت دونيس ماسون :

---

[1] - سورة الأعراف : الآية 151 .
[2] – Jacques Berque : le coran essai de traduction , p180 .
[3] – M . HAMIDULLAH : Le saint coran , p216 .

« Moise dit : Mon Seigneur ! Pardonne-moi , ainsi qu'à mon frère ; fais-nous entrer dans ta miséricorde . Tu es plus miséricordieux de ceux qui font miséricorde »[1] .

2. جمع ما أُفرد في الآية 111 من سورة الإسراء .

قال تعالى :

{ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١ }[2] .

" ترجم جاك بيرك " وَ كبِّرهُ تَكبِيرَا " بـــ exaltez-le بما يعني : و كبّروه ، وكأنّ الأمر موجه لجمع المذكر ، و الصحيح أن تترجم بـــ exalte-le "[3] .

و هذا نص الترجمة :

Dis : « Louange à Dieu qui ne s'est pas donné de progéniture , n'a point d'associés dans la Royauté , ni besoin de protecteur contre la moindre vilenie . Exaltez-le ! Exaltez-le ! »[4] .

و قد التزم محمد حميدالله الإفراد ، إذ وردت ترجمته على النحو الآتي :

« Louange à Dieu qui n'a point adopté d'enfant , et qui n'a point d'associé en la royauté , et qui n'a point de protecteur contre l'humiliation . Et grandis-le de grandeur »[5] .

---

[1] – Denise Masson : Essai d'interprétation du coran inimitable , p217 .

[2] – سورة الإسراء : الآية 111 .

[3] – محمود العزب : إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم (اللّغة و المعنى) ، ص93 .

[4] – Jacques Berque : essai de traduction , p306 .

[5] – M.HAMIDULLAH : Le saint coran , p379 .

وكانت ترجمة دونيس ماسون على النحو الآتي :

« Louange à Dieu ! Il ne s’est pas donné de fils ; il n’a pas d’associé en la royauté . Il n’a pas besoin de protecteur pour le défendre contre l’humiliation , proclame hautement sa grandeur ! »[1] .

أمّا الملاحظ على ترجمة زينب عبد العزيز أنّها مطابقة تمامًا لما اقترحه محمود العزب ، إذ اختارت عبارة exalte-le ، و هذا نص ترجمتها :

« Et dis : « Gloire à Allah qui ne s’Est pas Pris un fils , qui n’A point eu d’associé dans le Royaume , qui n’A besoin de personne , et exalte-le une vraie exhaltation »[2].

وبناءً على اختيار كل من المترجمة زينب عبد العزيز و محمود العزب الإفراد لترجمة لمعنى لفظة " وكبره "نشاطرهما الرأي حفاظا على حرفية النص وتوقيفية القرآن التي تمنع المترجم من حرية التصرف في النص الديني خلافا للنصوص العلمية الأخرى .كما نشكره على التزام التصحيح و التصويب لأخطائه وتقبله انتقادات المصححين .

[1] – Denise Masson : Essai d’interprétation du coran inimitable , p380 .
[2] – Zeineb Abd El Aziz : Le saint coran , p293 .

- النموذج الثاني : إختيار البناء للمعلوم عوض البناء للمجهول .

لقد حثّ الإسلام المسلمين على ضرورة الالتزام بحدود تعاليمه مطالبًا إيّاهم بعدم تحدي حدود الله في أوامره و نواهيه ترقبًا ليوم الفصل و ما هو بالهزل ، يوم لا ينفع مال و لا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم ، لذلك حثنا الرسول صلّى الله عليه و سلّم على العمل الصالح بمفهومه الواسع تجنبًا للعقاب الشديد الّذي توعّد الله به العصاة من عباده يوم تكون أعمالهم حجة عليهم يوم القيامة .

قال تعالى : { يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٦ }[1].

أهم ما في هذه الآية القرآنية رؤية الأعمال يوم العرض و الحساب ،" و لقد اختار جاك بيرك البناء للمعلوم في قوله تعالى : " **لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَالَهُمۡ** " [2] " ، إذ وردت ترجمته على النحو الآتي :

« Ce jour-là les hommes surgiront par troupes pour contempler leurs actions »[3].

واختارت كل من الترجمة المعتمدة من الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد والمترجم حميدالله البناء للمجهول و دليل ذلك ما ورد في الترجمتين:

« Ce jour-là les gens sortiront séparément pour que leur soient montrées leurs œuvres »[4] .

---

[1] – سورة الزلزلة : الآية 6 .

[2] – محمود العزب : إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم (اللّغة و المعنى) ، ص87 .

[3] – Jacques Berque : le coran essai de traduction , p 692 .

[4] – M.HAMIDULLAH : Le saint coran , p818 . et Le saint coran , p 599 .

و نلاحظ على الترجمتين التطابق الحرفي في نقل المعنى ، إضافة إلى دونيس ماسون الّتي اختارت نفس البناء (أي البناء للمجهول) و هذا نصها :

« Ce Jour-là , les hommes surgiront par groupes pour que leurs actions soient connues »[1].

و بالرجوع إلى التفاسير الإسلامية لاحظنا أنّ عبد الله شحاتة اختار البناء للمعلوم في تفسيره للآية ، و محل الشاهد في ذلك " ليشاهدوا أعمالهم " موضحًا المسألة في قوله :

" ذهب جمهور العلماء إلى أنّ الكافر يكافأ على الأعمال الصالحة بجزاء دنيوي ، ثمّ يعاقب على كفره بجهنم ، و ذهب فريق آخر من العلماء إلى أنّ كل عامل خير سيلقى جزاء خيره ، و أنّ كل عامل شر سيلقى جزاءه بدون استثناء بين كافر ومؤمن "[2].

ويعتقد السيد قطب أنّ رؤية الأعمال أشد و أدهى لهذا اختار البناء للمجهول "ُروا " ، إذ يرى أنّ الناس يوم القيامة " ذاهبون إلى حيث تعرض عليهم أعمالهم ليواجهوها و يواجهوا جزاءهم ، و مواجهة الإنسان لعمله قد تكون أحيانًا أقسى من كل جزاء . و إنّ من عمله ما يهرب من مواجهته بينه و بين نفسه ، و يشيح بوجهه عنه لبشاعته حين يتمثل له في نوبة من نوبات الندم و لذع الضمير .

---

[1] – Denise Masson : Essai d’interprétation du coran inimitable , p 819

[2] – عبد الله شحاتة : تفسير القرآن ، ج 15 ، ص 6624–6625 .

فكيف به و هو يواجه بعمله على رؤوس الأشهاد ، في حضرة الجليل العظيم الجبّار المتكبّر ؟ إنّها عقوبة هائلة رهيبة .. مجرد أن يُروا أعمالهم و أن يواجهوا بما كان منهم "[1].

و بناءً على اختلاف المفسّرين في المسألة ، فهل يمكننا التسليم بأقوال جاك بيرك وتأويلاته ، فهل فعلاً لا يميز المترجم بين " يُروا " المبني للمعلوم "ويُروا " المبني للمجهول ؟

قد أجاب محمود العزب[2] على هذه الإشكالية ، إذ يرى أنّ " اختيارجاك بيرك البناء للمعلوم ليس خطأ كما قد يتوهم القارئ لأول وهلة لأنّ القراءة بالفتح للبناء للمعلوم هي قراءة النبي –صلّى الله عليه و سلّم– مستشهدًا بما أورده الزمخشري في كشافه ما نصه : " قراءة النبي –صلّى الله عليه و سلّم– لهذه الآية **{ ليروا أعمالهم }** بالفتح ، و قرأ ابن عباس و زيد بن علي : يروا بالضم ".

و إذا كان مترجمون آخرون قد اختاروا الترجمة بالبناء للمجهول مثل حميدالله ودونيس ماسون و الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية و الإ فتاء والدعوة والإرشاد و لا شك أنّها اختيارات صحيحة و إن كان اختيار حميدالله أصح و أليق[3].

بدليل ما ورد في تفسير التحرير و التنوير :
" ليُروا أعمالهم " أي " يصدرون لأجل تلقي جزاء الأعمال الّتي عملوها في الحياة الدنيا ، فيقال لكل جماعة : انظروا أعمالكم أو انظروا مآلكم . و بُني فعل " يُروا" إلى

---

[1] – سيد قطب : في ظلال القرآن ، ص3955 .
[2] – محمود العزب : إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم (اللّغة و المعنى) ، ص87 .
[3] – أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمّد الزمخشري : تفسير الكشاف، ص776 .

النائب لأنّ المقصود رؤيتهم أعمالهم لا تعيين من يريهم إياها و قد أجمع القراء على ضم التحتية ، فالرؤية مستعملة في العلم بجزاء الأعمال ، فإنّ الأعمال لاترى و لكن يظهر لأهلها جزاؤها "[1].

صفوة القول أنّ جاك بيرك اعتمد منهجية صحيحة في ترجمته إذ ركز على التفاسير الإسلامية للوصول إلى المعنى المراد .
و يبدو لنا أنّه حيثما اختلف المفسرون اختلفت الترجمات على أنّ المعنى الدقيق –هنا– لا يتحقق إلاّ باطلاع واسع على عالم التفاسير و أخذ التفسير الأقرب إلى المنطق والعقل .

و قد وقع اطلاعنا على بعض التفاسير الإسلامية الّتي درست هذه الآية مركزين على تفسير الزمخشري الّذي ذكر القراءتين البناء للمعلوم و البناء للمجهول ، وهو تنوع مفيد جعل كلاّ من المترجم و المفسّر يصيبان فيما ذهبا إليه ، و نعزز رأي محمود العزب تصويبه لاختيار جاك بيرك البناء للمعلوم ، و إن كان اختيار البناء للمجهول أليق و أنسب و هذا ما أجمع عليه القراء حسب الطاهر بن عاشور . ويبقى هذا تصوره وذلك بناءً على اطلاعه على بعض مصادر المفسرين الّذين أجازوا البناء للمعلوم .

[1] – محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير و التنوير ، ص494 .

خاتمة

إنّ في اختلاف اللّغات و تعدّدها تعبيرًا عن تعدّد مظاهر الإنسان وكشف عن جوانبه المختلفة الخفية، هي آية من آيات اللّه { وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ } – **سورة الرّوم، الآية 22** –. والترجمة هي تلاقي طريقتي تفكير مختلفتين وحالة من حالات التواصل الضرورية.

ومن خلال الوقوف على بعض النماذج المنتقاة من ترجمة جاك بيرك لاحظنا كيف وظف المترجم هذه التقنيات في ترجمته، ولأنّ المساحة المخصصة لهذه الدراسة لا تسع لدراسة كل هذه التقنيات ممّا جعلنا نقتصر على دراسة بعضها ، وكذا الحصول على جملة من النتائج يمكن تلخيصها فيمايلي:

- **الـــنتائـــــج** :

1. القرآن كتاب مقدس تناول مختلف المفاهيم الّتي تلزم المكلف من مفاهيم العقيدة والتشريع ممّا يلزم المترجم الإلمام بها للتمكن من وجود مقابلات دقيقة لألفاظ وآيات القرآن الكريم الّتي تمكنه من فهم ونقل المعاني الصحيحة للمتلقي والتأثير فيه.
2. نوعية النص تساعد على تحديد أساليب و تقنيات الترجمة الّتي تسهم بدورها في اجتناب الإنحراف عن المعنى الصحيح الّذي قد تحدثه هذه الترجمة إذ يختلف النص القرآني عن غيره من النصوص الّتي تتناسب وهذه التقنيات ، إذ للقرآن أصوله الّتي يجب التزامها في تفسير النص القرآني أو تأويله .

3. إنّ التفاسير الإسلامية و اختلافها في مقاربة النص القرآني ترتب عنه اختلاف التراجم الكثيرة و المتعددة في نقل معاني هذا الكتاب ممّا جعل المترجم يعتمد على هذه التفاسير ليضمن لترجمته القبول كتفسير الطبري، الرازي ، الزمخشري وابن كثير وغيرهم .
4. المترجم لا يملك حرية التصرف والاجتهاد في تأويل معاني النص وألفاظه وعليه التزام الدقة والأمانة ذلك لتمتع النص الديني بخصوصية تختلف عن خصوصية النصوص العلمية والأدبية.
5. قدرة المترجم على جذب الكثير من القراء على مختلف مستوياتهم الثقافية والإجتماعية ناتجة عن قدرة المترجم على رؤية النص وتصوره للسياق الّذي يفرض عليه اختيار نوع التقنية الّتي تعينه على فهم و إدراك العوامل الثقافية والبيئية المؤثرة على المترجم ممّا جعل جاك بيرك يكتشف أنّ دراسته للقرآن كانت دراسة أنثروبولوجية ثقافية معمقة مستفيدًا من معايشته للمجتمعات العربية و الإسلامية محللاً بنياتهم الإجتماعية .
6. تباح ترجمة معاني القرآن الكريم أو تفسيره ، ولا تعد هذه الترجمة قرآنًا مهما كانت الترجمة دقيقة، ولا يصح الاعتماد عليها في استنباط الأحكام الشرعية، والتسمية الصحيحة والدقيقة هي ترجمة معاني القرآن الكريم وليس ترجمة القرآن الكريم .
7. لقد اكتشفت الدراسة أنّ المستشرق مثل المسلم بشر يصيب و يخطئ ، والتراجم جميعها حتّى ما أجازته منها مؤسسات وهيئات إسلامية معتمدة مليئة بالإصابات والأخطاء ، سواء منها ترجمات المسلمين ، والتراجم يتقادم بها العهد وتتجدّد وتنسى والنص القرآني يحمل صورة مثالية للغته الأصلية ونقله مترجمًا يفقده الكثير من حيويته ومن روح التأثير النفسي على المتلقي ، فلا تستطيع الترجمة أن تحدث في المتلقي الأثر الّذي يحدثه فيه النص الأصلي.

8. كشفت الدراسة أيضًا أنّه لا يتصوّر من المترجم الغربي النظر إلى معاني القرآن كما ينظر إليها المترجم المسلم نظرة في إطار علومه و لغته وأدبه لأنّ هذا الأخير مهما حاول و حرص على النقل الموضوعي لألفاظ و آيات القرآن الكريم فإنّه لا يستطيع التحرر من مخزونه الثقافي والديني
9. اعتمد جاك بيرك في دراسته على كتب التراث الإسلامية و الثقافية العربية .
10. توصل جاك بيرك من خلال أبحاثه إلى نتائج ائتمن عليها الموثق بعدم إظهارها و الكشف عنها إلاّ بعد 50 سنة من وفاته ممّا يدفع الباحث إلى الفضول عن هذه النتائج خصوصًا و أنّنا لن نكون على قيد الحياة بعد خمسين سنة .

- **التوصيات:**

ومن خلال دراستنا خرجنا ببعض التوصيات والاقتراحات المتمثلة في النقاط الآتية:

1. يجب على المسلم تسخير كل ما يمتلكه من طاقات علمية و ثقافية في خدمة القرآن ليطلع العالم الآخر على حقيقة دين محمد صلّى الله عليه وسلم الّذي يحمل في طياته حضارة من أعرق حضارات العالم الّتي تحفظ كرامته الإسلامية و لا نوافق جاك بيرك في عدم تقديمه للقرآن الكريم إذ قال : On ne préface pas le coran على أساس أنّ القرآن يقدم نفسه بنفسه ، فالدعوة لتقديم هذا الكتاب والتعريف به لاً تنقضي إلى يوم الدين .
2. الإقتراح ذاته نقترحه في أسماء السور كذلك أي أن يكتب المترجم مثلاً اسم السورمثل(Sourate la Vache (al-baqara يعني سورة البقرة بالأحرف اللاتينية و أمامها ترجمتها باللّغة الأجنبية .

3. كما نقترح عليه أن يقدّم الترجمة على الشكل الّذي قدمها به المترجم نور الدين بن محمود، ممّا يساعد القارئ على سهولة النطق القرآني و قد وردت ترجمته على الشكل الّذي سيظهر في الملحق رقم اثنين (2).
4. عالمية القرآن تفرض على العالم أن لا يترك الساحة يعمرها المستشرقون بدراسة أقدس كتاب بترجمته وتفسيره ، واكتفى المسلمون بمتعة نقد عملهم والتشكيك في نواياهم ، إنما الصواب يكمن في تكاثف الجهود بين كل من المترجم المسلم والمستشرق لاكتشاف المعاني السامية وتقديمها بشكل دقيق للمتلقي .
5. يجب علينا أن نقدم القرآن إلى العالم بوسائلنا الخاصة بما لدينا من طاقات علمية وثقافية ليطلع العالم الآخر المتمدن على الحضارة الّتي تحفظ كرامة الإنسان من خلال كتاب ربها العظيم ولا نقول كما قال بيرك لا تقديم للقرآن.
6. لقد دعا جاك بيرك إلى إعادة قراءة القرآن من منظور غربي للقراءة ونحن نطالب بإعادة قراءة القرآن من منظور إسلامي للقراءة .
7. اكتشفنا من خلال المعايشة الطويلة و الشاقة للبحث أنّ الموضوع يحتاج إلى دراسات مستقبلية معمقة ممّا يفتح آفاقًا واسعة في التفكير .
8. إعتراف جاك بيرك نفسه أن محاولته ترجمة معاني القرآن الكريم ليست غير محاولة لتفسيرهذه المعاني فألفاظ و عبارات القرآن لها مدلولات ومؤشرات عميقة ولا تستطيع اللغة الأخرى أن تنقلها بكل ما تحتويه من معان ظاهرة وخفية ؛ وعليه فنحن في حاجة إلى ترجمة دقيقة بليغة لمعاني القرآن بأهم لغة في العالم مثلما ترجم الإنجيل إلى لغات و لهجات كثيرة قي العالم لأن الترجمة وسيلة لتبليغ الرسالة .

ختاما أرجو أنني قد كنت موضوعية كل الموضوعية في بحثي المتواضع هذا إذ كانت محاولة التركيب بين جمهور العلماء فيما ذهبوا إليه المسلمين منهم والمستشرقون رأيا يشرح مذهبي بصراحة نية مني في الإنصاف ؛ و سيبقى القرآن ذلك النص المنفتح القابل لتعدد القراءات حوله كلما تغيرت ذخيرة القراء و كلما تجدد الحوار بين النص القرآني و عملية تلقيه .

رملاحق

الفـهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

التسلسل	الآيـــــة القرآنـــــية	رقم الآية	السورة	الصفحة
1	{أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤ }.	214	البقرة	112
2	{ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩ }	9-8	آل عمران	117
3	{ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ١٣١ } .	131	النساء	176

4	{ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ }.	110	المائدة	165
5	{ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ }.	151	الأعراف	178
6	{ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ	157	الأعراف	127

				ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ } .
7				
{ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤ }	204	الأعراف	175	
8				
{ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢ }.	52–50	يوسف	146	
9				
{فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗا	96		170	

		﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٩٦ ﴾ .	يوسف	
10				
	103	﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣ ﴾ .	النحل	142
11				
	01	﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ ﴾ .	الإسراء	159
12				
	111	﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١ ﴾	الإسراء	179
13				
	5-1	﴿ الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ	الرّوم	122

			سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ }.	
14				
100	الأحزاب	37	{ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ۝٣٧ }	
15				
92	الأحزاب	40	{ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ۝٤٠ {	
16				
156	الصافات	109	{ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝١٠٩ } .	

17

{ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥ } .

15 الشورى 152

18

{ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ }.

6 الزلزلة 181

فهرس الأحاديث النبوية

التسلسل	طرف الحديث	الصفحة
1	" ... إنّك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله – صلّى الله عليه وسلم – فتتبع القرآن فاجمعه ... "	87
2	" إنّا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ... "	128
3	" إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق "	19
4	"...اتق الله وامسك عليك زوجك ."	104
5	" مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا فأتمها وأكملها إلاّ موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : فأنا موضع اللبنة ،جئت فختمت الأنبياء ".	97
6	" من لا يشكر الناس لا يشكر الله ".	–

فهرس الأعلام

–أوف تشستر (روبرت) *Robert de Chester*: ص 28
–ابن خلدون: ص49
–بطرس المحترم *Pierre Le Vénérable*: ص28
–بلاشير (رجيس) *Régis Blachère*: ص 29
–بيوض (ابراهيم بن عمر) :ص107
–بوبكر (حمزة): ص119
–بيرك (أوغسطين) *Augustein Berque* : ص50
–الحكيم (توفيق): ص64
–الرازي (الفخر): ص134
–الزركشي (بدر الدين محمد عبد الله) :ص22
–زيد بن ثابت: ص86
–زيد بن حارثة: ص104
–سال (جورج) *George Sale* : ص31
–شريف (مصطفى) : ص61
–زينب بنت جحش : ص 101
–طه (حسين) : ص66
–عبد العزيز (زينب): ص93
–كازيمرسكي *Kazimerski* : ص35
–محمد (حميد الله) : ص95
–دونيس (ماسون) *Denise Masson*: ص93
–نيدا (يوجين)*Euggène Nida* : ص95

فهرس المصطلحات

المصطلحات :

-الآرامـــية : ص32

-الأثـــروبولوجيا :.....ص44

-الاســـتـــشراق :.....ص27

-العسب :.....ص87

-اللحاف :.....ص87

المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

أولاً : القرآن الكريم .

ثانيًا : المصادر العربية القديمة و الحديثة .

1. أبو بكر بن العربي (المالكي 543هـ) : أحكام القرآن ، دراسة وتحقيق مصطفى إبراهيم المشني ، دط ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1991 .
2. البغدادي (محمود الألوسي) : روح المعاني، دط، دار الفكر، 1414هـ/1994م
3. البغدادي (شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الحموي الرومي البغدادي) : معجم البلدان ، دط ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1995 .
4. ابن عباس : تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ، دط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1421هـ/2000م .
5. أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد (الحنبلي) : شذرات الذهب في أخبارمن ذهب ، دط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان ، دت .
6. الأزهري (أبو منصور محمد بن الهروي الشافعي 370هـ) : تهذيب اللغة ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دط ، دار الكتاب العربي ، 1967 .
7. الأندلسي (محمّد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي) : البحر المحيط ، دراسة و تحقيق و تعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، شارك في تحقيقه زكريا عبد المجيد التوني وأحمد النجولي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1413هـ/1993م .

8. الأندودي (أحمد بن محمّد) : طبقات المفسّرين ، تحقيق سليمان بن صالح الجزي ، دط ، مؤسسة الرسالة ، 1417هـ/1997م.
9. ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي) : تفسير القرآن العظيم ، دط ، دار إحياء الكتب العلمية ، دت .
10. ابن عاشور (محمّد الطاهر) : تفسير التحرير و التنوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، دت .
11. الألمعي (زاهر عوض) : مع المفسرين و المستشرقين في زواج النبي بزينب بنت جحش ، دط ، 1983 .
12. إدريس(هاني) : حوار الحضارات، ط1، المركزالثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، 2002 .
13. بيوض (إبراهيم بن عمر) : في رحاب القرآن ، دط ، جمعية التراث ، القرارة ، غرداية ، الجزائر ، 1316هـ-1401هـ/1899م-1981م .
14. بلاشير (رجيس) : القرآن ، تدوينه ، ترجمته و تأثيره ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، 1974 .
15. البوطي (محمّد سعيد رمضان البوطي) : كبرى اليقينات الكونية ، د8 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، 1982 .
16. البوطي محمد سعيد رمضان : فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، ط11، دار الفكر ، دمشق، سوريا ،1991 .
17. باقادر (أبو بكر أحمد) : أنثروبولوجيا الإسلام ، ط1 ، مركز دراسات فلسفة الدين ، دار الهادي ، 2005 .
18. البنداق (محمد صالح): المستشرقون و ترجمة معاني القرآن الكريم ، دط ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، 1980.

19. بدوي(عبد الرحمان) : موسوعة المستشرقين ، ط1 ، دار الملايين ، 1994 .
20. جاك بيرك : العرب تاريخ و مستقبل ، تعريب و تعليق خيري حماد، دط، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، مصر ، دت .
21. جاك بيرك : العرب من الأمس إلى الغد ، دط ، دت .
22. جاك بيرك : مصر إمبريالية و ثورة ، دط ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، مصر ، دت .
23. جاك بيرك : القرآن و علم القراءة ، ترجمة و قراءة منذر عياشي ط1 دار التنوير بيروت، لبنان، 1996.
24. الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد 393هـ) : الصحاح ، تاج اللغة و صحاح العربية ، دط دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1404هـ/1984م .
25. الجزري (عزالدّين أبي الحسن بن علي بن محمد الجزري) : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دط ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1418هـ/1997م .
26. جدعان (فهمي): أسس التقدم عند مفكري الإسلام ، دط ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، 1989 .
27. حوراني (ألبرت) : الإسلام في الفكر الأوروبي ، دط ، دار الجيل بيروت ، لبنان ، 1984 .
28. الخالدي (صلاح عبد الفتاح) : التفسير و التأويل في القرآن ، ط1 ، دار النفائس ، الأردن ، 1416هـ/1996 .
29. ديداوي (محمد) : علم الترجمة بين النظرية والتطبيق ، دط ، دار الطباعة و النشر ، سوسة ، تونس ، 1992 .
30. درّاز (محمد عبد الله): مدخل إلى القرآن ، دط ، دارالقلم ، الكويت، 1984

31. الذهبي (محمد حسين) : التفسير و المفسرون ، دط ، دار الأرقم ، دت .
32. الرازي(أبو عبد الله محمّد بن عمر بن حسن القريشي 606هـ): التفسير الكبير، ط3 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1980 .
33. الزبيدي (محب الدّين أبي الفيض السيد مرتضى الحسيني الواسطي 179هـ) : تاج العروس ، دط ، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية ، مصر ، 1306هـ .
34. الزمخشري (أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي 533هـ) : تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دط ، المطبعة العامرة الشرقية ، 1307هـ .
35. الزركشي (بدرالدّين محمّد بن عبد الله) : البرهان في علوم القرآن ، دط ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1408هـ/1988م .
36. الزرقاني (محمّد عبد العظيم) : مناهل العرفان في علوم القرآن ، دط، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر ، 1998 .
37. الزحيلي (وهبة) : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دط، دار الفكرالمعاصر ، بيروت ، لبنان ، دت .
38. السيوطي(الحافظ جلال الدّين بن عبد الرحمان 911هـ): الإتقان في علوم القرآن ، دط ، صيدا ، بيروت ، لبنان ، 1418هـ/1997م .
39. سالم الحاج (ساسي) : نقد الخطاب الإستشراقي ، الظاهرة الإستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية ، دط ، دار المدار الإسلامي ، 2002 .
40. سعيد (إدوارد) : الاستشراق ،المعرفة ، السلطة ،الإنشاء ، دط مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، لبنان ، 2003 .

41. الشاطبي (ابراهيم ابن موسى اللّخمي الغرناطي المالكي أبو إسحاق) : الموافقات في أصول الشريعة ، تعليقات محمد عبد الله دراز ، دط ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان، دت .
42. الشعراوي (محمّد متولي) : تفسير الشعراوي ، دط ، أخبار اليوم ، دت.
43. شحاتة(عبد الله) : تفسير القرآن الكريم، دط ، دارغريب ، القاهرة ، مصر ، دت .
44. شهبي (عبد العزيز) : الزوايا الصوفية و العزابة و الإحتلال الفرنسي في الجزائر ، دط ، دارالغرب للنشر و التوزيع ، دت .
45. الصالح(صبحي): مباحث في علوم القرآن ، ط17، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، دت .
46. الصابوني (محمد علي) : صفوة التفاسير ، ط5 ، دار الضياء قسنطينة ، الجزائر ، 1990 .
47. الصغير(محمد حسين علي):المستشرقون والدراسات القرآنية ،دط ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، لبنان ، 1999 .
48. الطبري (أبو جعفر محمّد بن جرير 310هـ) : تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دط ، طبعة دار المعارف، مصر ،1969 .
49. عبد الباقي (الصافي) : الترجمة بين النظرية و التطبيق ، دط ، دار الطباعة الحديثة ، العراق ، دت .
50. عبد العزيز (زينب) : ترجمات القرآن إلى أين ؟ وجهان لجاك بيرك ، دط ، دار الهدى ، القاهرة ، مصر ، 1994 .
51. العزب (محمود) : إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم (اللغة و المعنى) ، ط1 ، نهضة مصر، 2006 .
52. العقيقي (نجيب):المستشرقون ، دار المعارف ، دارالعلم للملايين، 1984 .

53.العك (خالد عبد الرحمان):تاريخ توثيق نص القرآن الكريم ، دط، دت .
54.الغزالي (محمد) : فقه السيرة ، ط2 ،مكتبة رحاب ، 1988 .
55.الغزالي (محمد) : كيف نتعامل مع القرآن ؟ دار الرجاء ، عنابة، الجزائر ،دت .
56. الغزالي (محمد) حصاد الغرور ، تحقيق و تعليق مسعود فلوسي ، دط ، دار ريحانة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، دت .
57.محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار،ط1 ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1414هـ/1993م .
58.مطبقاني(مازن بن صالح) :الاستشراق والإتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي ، دط ، الرياض ، 1416هـ/ 1955 .
59.مونان (جورج):المسائل النظرية في الترجمة ، ترجمة لطيف زيتوني، دط ، دار المنتخب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1994 .
60. قطب(سيد) : في ظلال القرآن ، ط2 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1406هـ/1986م .
61.فضل الله(محمد حسين): من وحي القرآن ،ط2،دار الملاك،1998
62.القاسمي(منير) : زاوية الهامل ، التاريخ المصور،دط ، دارالجيل، دت .
63.القرضاوي (يوسف) : كيف نتعامل مع القرآن الكريم ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، 1422هـ/2001 م .
64.القرضاوي(يوسف) : الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، ط1، مؤسسة الرسالة ، 1421هـ/2001 م.
65.الندوي (عبد الله عباس) : ترجمات معاني القرآن الكريم و تطور فهمه عند الغرب ، دط ، دار الفتح ، 1972 .
66.نيدا (أوجين): نحو علم الترجمة ، ط1 ، ترجمة ماجد النجار ، وزارة الثقافة و الإعلام ، بغداد ، 1976 .

ثالثًا : الرســـــــــــائل :

1. باية (بولحية / بلمان) : قراءة تحليلية نقدية لترجمة شوراكي للقرآن الكريم ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في اللغة و الأدب العربي، جامعة الجزائر ، 2007-2008 .
2. كاظم (حيدر علوان) : الفروق الدلالية بين ترجمتين فرنسيتين لبعض ألفاظ القرآن ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة ، جامعة الجزائر ، 2003-2004 .
3. منصر (عبده أحمد علي) : تقنيات ترجمة النص الأدبي من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية ، دراسة تحليلية مقارنة لنماذج من الأدب الإنجليزي ، أطروحة معدة لنيل درجة الدكتوراه في الترجمة ، قسم الترجمة ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة الجزائر ، 2009
4. محمد الأمين (بلغيث) : الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين ، أطروحة لنيل درجة دكتوراه ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية ، جامعة الجزائر ، 2002-2003 .
5. محمد (شنوفي) : تطور النقد المنهجي عند طه حسين ، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة الجزائر ، 2005-2006 .
6. يوسف (اليعقابي) : فلسفة الحضارة عند جاك بيرك ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، قسم الفلسفة ، معهد الفلسفة ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية ، جامعة الجزائر ، 1986

رابعًا : المقـــــــــــــالات :

1. أبوعمران (الشيخ) : جاك بيرك و مقاله الأخير "أي إسلام" ، الدراسات الإسلامية ، مجلة ثقافية محكمة نصف سنوية يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى ، العدد 7 ، الجزائر ، 2005
2. عبد الغني (مصطفى): ترجمة جاك بيرك للقرآن من القراءة إلى التفسير، مجلة الإجتهاد ، دار الإجتهاد للأبحاث و الترجمة و النشر ، العدد49 ، بيروت، لبنان ، شتاء العام 2001 .
3. العالم (محمود أمين) : أندلسيات جاك بيرك ، مجلة العربي ، وزارة الإعلام ، الكويت ، العدد 445 ، 1995 .
4. ولد خليفة (محمد العربي) : بيرك المفكر و الإنسان من فرندا إلى سان جوليان ، مجلة الثقافة ، العدد 110-111 ، الجزائر ، 1995 .

خامسًا : المـــــــــــــعاجم :

1. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين محمد مكرم): لسان العرب ، دط ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، مج1، 1997 .
2. الأصفهاني (الراغب) : معجم مفردات ألفاظ القرآن : تحقيق نديم مرعشلي ، دط ، دار الكتاب العربي ، دت .
3. التليسي (خليفة محمد) : النفيس من كنوز القواميس ، صفوة المتن اللغوي من تاج العروس و مراجعه الكبرى ، الهيئة القومية للبحث العلمي .
4. إدريس (سهيل) :المنهل ، فرنسي-عربي ، ط2 ،دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، 1972 .

5. ريغ (دانيال) : السبيل ، معجم (عربي-فرنسي/فرنسي-عربي) ، مكتبة لاروس ، باريس، فرنسا ، 1999 .

6. الزركلي (خيرالدّين) : الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب والمستعربين و المستشرقين ، دارالعلم للملايين ، دط ، بيروت، لبنان ، 1997 .

7. الشافعي (حسين محمّد فهمي) : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الإسلام ، 1418هـ/1998م .

8 .العجم (رفيق) : موسوعة مصطلحات الفكر العربي والإسلامي الحديث ، دط ، مكتبة لبنان ، لبنان ، 2002 .

9.محمد بن موسى بابا عمي ، مصطفى بن صالح باجو ، مصطفى بن محمد شريفي ،إبراهيم بن بكير بحار: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، مراجعة محمد صالح ناصر ، ط 1، دار الغرب الإسلامي ، 1421هـ/ 2000م .

10.كحالة (عمر رضا): معجم المؤلفين ، ط1، مؤسسة الرسالة ، 1985 .

11.معجم العلوم الإجتماعية ، إعداد لجنة من الأساتذة المصريين و العرب المتخصصين ، تصدير و مراجعة ابراهيم مدكور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1975 .

12 . المنجد في اللغة والإعلام ، جزء الأعلام ، ط16 ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، دت .

سادسًا : المراجع باللغة الفرنسية :

1. Denise Masson : Essai d’interprétation du coran inimitable, revisé par Dr Sobhi El Saleh , éd Gallimard ,Dar El Kitab Allubnani , 1967.
. Hamza Boubakeur : Le coran , éd ENAG , Algérie , 21989 .
3 . Jacques Berque : Une cause jamais perdue , ed Albin Michel , paris , 1998 .
4. kazimirski : Le coran , Garnier , Flamarion , Paris , 1970 .
5. Jacques Berque : Arabies entretiens , éd Albin Michel , 1998 .
6. Jacques Berque : Le coran essai du traduction , éd Albin Michel , Paris , 2002 .
7. Jacques Berque : Relire le coran , éd Albin Michel , Paris , 1998 .
8. Jacques Berque : Quel Islam ? , Sindbad , Paris , 2003 .
9. Le saint coran et la traduction en langue française du sens de ses versets , أشرفت عل ترجمة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية و الإفتاء والدعوة والإرشاد ، دار الكتاب العزيز ، السعودية .

10. M.Hamidullah : le saint coran , 13eme éd , révisée et complétée ,1985/1405.
11. Mustapha Chérif et Jean-sur : Jacques Berque Orient Occident , éd Anep , 2004 .
12. Régis Blachère : Introduction au coran , 2éme éd , Paris , 1991 .
13. Régis Blachère : le coran , 2éme éd , Paris , 1991 .
14. Zeineb Abd El Aziz : Le saint coran et la traduction en langue française du sens de ses versets ,

1ére éd , association mondiale de l’appel islamique , Tripoli , Lybie , 2001 .

سابعًا : المواقع :

1. www. Bouti . com.
2. http://fr.wikipedia.org/wiki/Denise Masson
3. http://ar. Wikipedia.org/wiki/Hamidullah
4.http:/fr.wikipedia.org/wiki/Zeineb Abdel Aziz
5.http:// fr. Persee .fr/ Augustin Berque : Ecrits sur l’Algerie
6. http://fr. persee . fr
7.http://www . lalibre . be / I-isti-recoit-eugene-nida.html

.

رلفهرس العام

الفهـــــــــرس:

- **الإهـــــــداء**.....
- **كلمـــــة شكـــــر**.....
- **مقـــــــــــــدمة** .....
- عنوان البحث.....أ
- أهمية الموضوع.....ب
- دواعي اختيار الموضوع.....ت
- الدراسات السابقة .....ث
- الإشكالية التي يعالجها الموضوع.....
- منهج البحث .....خ
- صعوبات البحث .....س
- خطة البحث .....ر

- ***الفصل الأول :*** دراسة تاريخية و تأصيلية لترجمات القرآن الكريم

- تمهيد 1
- **المبحث الأول:** مفهوم الترجمة و خصوصية النصوص الدينية.....2
- **المبحث الثاني:** التفسير والتأويل.....8
- **المبحث الثالث:** آراء العلماء في ترجمة معاني القرآن إلى اللّغات الأجنبية.....20
- **المبحث الرابع** : الإستشراق ودنيا ترجمة معاني القرآن الكريم.....27

-***الفصل الثاني :*** فكر جاك بيرك وأثره على ترجمة معاني القرآن الكريم

- تمهيد 43

-**المبحث الأول**: الجانب الثقافي و الفكري لجاك بيرك.....44

-**المبحث الثاني** : مؤلفات جاك بيرك.....57

-**المبحث الثالث**: إعجاب جاك بيرك بأعلام الفكر والثقافة..... 64

-**المبحث الرابع** : آراء جاك بيرك في الإسلام.....69

-***الفصل الثالث*** : دراسة تطبيقية تحليلية لبعض معاني ألفاظ القرآن الكريم

- تمهيد.....79

-**المبحث الأول**:الوحدة والتناسق في آيات القرآن من منظور جاك بيرك.....81

-**المبحث الثاني**: إشكاليات الترجمة المتعلقة باختلاف التفاسير القرآنية.....91

. **النموذج الأول**: ترجمة معنى لفظة "خاتم النبيين".....92

. **النموذج الثاني**: ترجمة معنى لفظة "يخفي".....100

-**المبحث الثالث**: أخطاء ترجع إلى سوء فهم الكلمة.....111

. **النموذج الأول**: ترجمة معنى لفظة "نصر".....112

.**النموذج الثاني**: ترجمة معنى لفظة "الميعاد".....117

.**النموذج الثالث**: ترجمة معنى لفظة "الروم".....122

-**المبحث الرابع**: أخطاء ترتبط بمفاهيم و مصطلحات لها تميز في الإسلام.....126

. **النموذج الأول**: ترجمة معنى لفظة "الأمّي".....127

. **النموذج الثاني**: ترجمة معنى لفظة "أعجمي".....139

-**المبحث الخامس**: أخطاء تتعلق بعكس ترتيب الآيات القرآنية.....145

. **النموذج الأول**: ترجمة معنى الآية 52 من سورة يوسف.....146

.**النموذج الثاني**: ترجمة معنى الآية 15 من سورة الشورى.....152

-**المبحث السادس**: إضافة عبارات زائدة على النص القرآني وإغفال عبارات أو جمل لم تترجم أصلاً.....155

. **النموذج الأول**: إضافة عبارات زائدة على النص القرآني.....156

أولاً: إضافة عبارة "في العالمين".....156

ثانيًا: إضافة عبارة "لفظة من الليل".....159

. **النموذج الثاني**: إغفال عبارات أو جمل لم تترجم أساسًا.....164

أولاً: إشكالية حذف كلمات من الآية 110 من سورة المائدة 164

ثانيًا: إغفال عبارة من الآية 96 من سورة يوسف.....169

-**المبحث السابع**: إفراد ما جُمع و جمع ما أُفرد في القرآن واختيار البناء للمعلوم عوض البناء للمجهول.....174

. **النموذج الأول**: إفراد ما جُمع و جمع ما أُفرد.....174

أولاً: إفراد ما جُمع في القرآن في الآية 204 من سورة الأعراف و الآية 131من سورة النساء.....174

1. إفراد ما جُمع في الآية 204 من سورة الأعراف.....175

2. إفراد ما جُمع في الآية 131 من سورة النساء.....176

ثانيًا: جمع ما أُفرد في الآية 151 من الأعراف و الآية 111 من سورة الإسراء.....178

1. جمع ما أُفرد في الآية 151 من سورة الأعراف.....178

2. جمع ما أُفرد في الآية 111 من سورة الإسراء.....179

. **النموذج الثاني**: إختيار البناء للمعلوم عوض البناء للمجهول.....181

-**الخاتـــــــمة**.....

- الملاحق .....
- فهرس الآيات القرآنية.....
- فهرس الأحاديث النبوية.....
- فهرس الأعلام.....
- فهرس المصطلحات.....
- فهرس المصادر و المراجع.....
-فهرس المحتويات.....
- ملخص البحث (باللغة العربية) .....
- ملخص البحث (باللغة الفرنسية).....

الملخص

القرآن الكريم، أهم مصادر التشريع الإسلامي، شغل فكر المفكرين والباحثين لدراسة وترجمة ونقل معانيه إلى مختلف اللّغات الأجنبية والعالمية.
وباعتباره كلام الله المنزل على نبيّه الكريم باللّفظ العربي المبين، المنقول بالتواتر، المتعبّد بتلاوته المكتوب في المصاحف، جعل من محاولات ترجمة معانيه من الأمور الّتي يعسر الخوض فيها بشهادة المترجمين عامة و المستشرقين خاصةً.

ومن هذا المنطلق جاء بحثنا ليعالج موضوع ترجمة النص الديني من منظور الفكر الاستشراقي وكيفية تعامل المستشرق مع قدسية النص القرآني، وذلك وفق نظرة نقدية للأساليب والتقنيات الموظفة لنقل مفاهيم النص إلى المتلقي ذو العقيدة والثقافة المغايرة. ولتحقيق هذا الهدف انتظم البحث في ثلاثة فصول، عالج كل منها جانبًا من جوانب الموضوع، لتكتمل الرؤية باكتمال هذه الفصول:

-الفصل الأول:

تضمن هذا الفصل دراسة الجانب التاريخي والتأصيلي لترجمات معاني القرآن الكريم إلى مختلف اللّغات الأجنبية و العالمية. حيث ولجنا لبيان تعريف الترجمة بشكل عام وتباين الآراء فيها، وترجمة معاني القرآن بمختلف أقسامها من تفسيرية وحرفية ، وباعتبارها وسيلة تبليغ وأداة اتصال وتفاهم بين البشر بمختلف ألوانهم وأجناسهم ، ونظرًا لقدسية النص كان من الضروري اتباع المفهوم بشروط حتى يستطيع المترجم محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه ، والأهم من ذلك حسن تصوير المعاني والأغراض كاملة للمتلقي.

ولما كانت ترجمة معاني القرآن وجه من وجوه محاكاة الأصل ونقل من وجه إلى وجه كان لابد من الكشف عن علاقة الترجمة بالتفسير والتأويل للكشف عن مركزية المترجم في ترجمته هل هي ترجمة تفسيرية أو تأويل للمعاني القرآنية.

فكان الاستدلال بمختلف آراء العلماء المسلمين القدماء والمعاصرين في تبيان حكم ترجمة النص الديني إذ كثر الجدل في قضية ترجمة معانيه إلى غير لغته والوقوف على حجج المعارضين والمؤيدين للمسألة.

ولاشك أنّ الحديث عن ترجمة معاني القرآن في سياق القراءة التاريخية والتأصيلية ينطلق من كشف عن أولى محاولات الترجمة والأهداف المبيتة من وراء هذا الجهد في التعامل مع النص القرآني، فكان المنطلق من أول ترجمة للمترجم بطرس المحترم Pierre Le Vénérable لسنة 1134 للميلاد وكذا الحديث عن أهم الترجمات التاريخية لجل اللّغات كالألمانية، الإيطالية، الإسبانية، الإنجليزية، الفرنسية وحتى الهندية والأمازيغية؛ وجلها من ترجمات المستشرقين تتبعها ترجمات لبعض المترجمين المسلمين.

ولقد وقفنا عند أبرز المحاولات الكبرى لترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية دون تتبع المحاولات الفرعية والجزئية فوقفت عند جل التراجم قبل جاك بيرك وبعده.

وبعد هذه الجولة السريعة في دنيا التراجم وعالم الاستشراق رمانا الفضول إلى معرفة أهداف الإستشراق الديني، إذ اختلفت نظرة المفكرين للمستشرقين بين مؤيدٍ لهم ومعارض.

-الفصل الثاني:

في الفصل الثاني تناولنا فكر جاك بيرك وأثره على ترجمة معاني القرآن الكريم باعتباره أحد كبار المستشرقين من الجيل الأخير الّذين اهتموا بدراسة الإسلام

وانتقاده، إذ امتاز بعدة ألقاب : جاك بيرك الفيلسوف، عالم الاجتماع والسياسي والناقد وباحث في الإسلام والمترجم.

جاك بيرك من الدارسين الغربيين للحضارة العربية الإسلامية حيث خاض في حوار العرب مع ذواتهم من خلال الدراسة الأنثروبولوجية المعمقة والمعايشة اليومية للمجتمع العربي لفترة طويلة، وقد استفاد جاك بيرك من معايشته الطويلة للمجتمع الإسلامي لأنه تمكن من اكتشاف مكامن قوة هذه المجتمعات وبالتالي إيجابيات الإسلام تحت الانحطاط الظاهر وهو أمر لم يتوفر لجل المستشرقين الّذين اكتفوا بتحليل النصوص، فقد كان جزائري المولد والنشأة ، إذ ترعرع في ريف الجزائر تحديدًا بمنطقة فرندا بولاية تيارت حيث احتضنته زواياها ليحفظ القرآن ويتعلم أبجديات اللّغة العربية. كما اهتم جاك بيرك بنوغ الفكر الّذي تساهم في نشره الزوايا ودورها في النهضة العلمية والفكرية والأدبية والثقافية للمجتمع الإسلامي من أجل إثراء الفكر العالمي الإسلامي ذاكرًا زاوية الهامل كمثال، ونلمس ذلك من خلال اتصالاته مع مؤسس الزاوية الشيخ القاسمي.

لم يكن العالم العربي الإسلامي مجرد موضوع للدراسة، بل كان عنده هم فكري ووجداني كذلك، ولعل أبرز ما كان يميز هذا الهم هو ربطه بين ماضي هذا العالم وحاضره في الإطار الحالي.

وعلى غرار الجزائر جاب العديد من البلدان العربية والإسلامية مما ولّد لديه علاقات مع أعلام الفكر والثقافة في العالم العربي حيث أعجب بكتابات بعضهم ككتابات ابن رشد، مالك بن نبي، طه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهم ممن لمسنا تأثره بفكرهم في كتاباته وتأثر العديد من الباحثين والمفكرين بفكره وأسلوبه الفلسفي الغامض الذي تميزت به كتاباته ومؤلفاته التي ارتأينا للحديث عنها وعن أهم المواضيع التي عالجتها. إذ يعد جاك بيرك من أبرز العلماء الأوروبيين الّذين كرّسوا حياتهم

لدراسة الثقافة العربية والإسلام، وامتاز بثقافة واسعة إذ خلّف مكتبة كبيرة بمنطقة فرندا بمنطقة تيارت تحمل اسم الابن البار لهذه المدينة.

الفصل الثالث:

قمنا في هذا الفصل بدراسة تحليلية نقدية لبعض معاني الألفاظ القرآنية عند جاك بيرك، فتطرقنا للجانب الشكلي للقرآن الكريم من خلال الحديث عن موضوع الوحدة والتناسق بين آيات وسور القرآن من منظور الفكر الاستشراقي.
جاك بيرك من المترجمين الّذين اعتمدوا في مقاربتهم النص القرآني استخدام وتوظيف أساليب وتقنيات الترجمة الّتي جاء بها مُنظروا الترجمة أمثال نيدا ، الّذي ركّز أبحاثه لترجمة الإنجيل على الوسائل الّتي مكنته من نقل العناصر الثقافية من لغة إلى أخرى ، الأمر الّذي جعل جاك بيرك يتوصل إلى إيجاد بعض التقنيات في النقل منها الإضافة addition، تقنية الهوامش السفلية foot notes ، الحذف omission ، التغيير altération وغيرها من التقنيات المستخدمة في أصول الترجمة. الأمر الّذي جعلنا نخصص لكل تقنية مساحة خاصة من خلال طرح نماذج من ترجمته مبينين من خلالها طريقة استخدامه لمختلف التقنيات المعتمدة ، مستندا في ذلك على التفاسير الإسلامية القديمة الموظفة لبيان المعاني الصحيحة الّتي نقلها.

ولصعوبة الترجمة بشكل عام وصعوبة ترجمة النصوص الدينية بشكل خاص لتوضيح ونقل معاني نص ديني بوزن النص القرآني إلى جمهور المترجم ذي الثقافة العقائدية المختلفة يتطلب هذا العمل من المترجم أن يكون ضليعًا في اللّغتين اللّغة الأصلية واللّغة الهدف، وملمًا بالمعاني الثقافية والفكرية والحضارية للّغة الهدف وهذا

بشهادة المترجم جاك بيرك نفسه مقرًا بصعوبة ما خاض فيه من بحث مؤكدًا أنّ عمله هذا ما هو إلاّ محاولة للترجمة .

هذه عمومًا معظم النقاط التي عالجتها في هذا البحث المتعلق بترجمة معاني القرآن إلى غير لغته، وأحسب أنّي وقفت على أهم الركائز التي تساعد على نقل المفهوم الأقرب إلى النص الأصلي دون إلغائه باعتبار أنّ النص المترجم ليس قرآنًا وإنّما هو ترجمة تفسيرية لمعاني القرآن بقدر طاقة المترجم.

تمّ بحمد الله و شكره ،

نشكرك ربنا و نحمدك على نعمك و سعة

رحمتك،

ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك و

عظيم سلطانك

synthèse

Le coran est la parole d'Allah qui la envoyé à son messager, à savoir le prophète Mohamed (que le salut soit sur lui) en langue Arabe. Il a été transmis de génération de compagnons du prophète (que le salut soit sur lui) vers d'autres générations.

Le fait de le lire constitue ainsi une manière de montrer sa foie, son obéissance et sa fidélité envers Allah.

Il est écrit dans le livre sacré dont la tentative de traduction s'est révélée difficile pour les traducteurs d'une manière générale et particulièrement pour les orientalistes.

Le coran étant l'une des principales sources de législation, a occupé l'esprit des penseurs et chercheurs afin de l'étudier, le traduire et en transmettre le sens vers les langues étrangères et universelles.

A partir de là, cette étude se base sur la traduction du texte coranique du point de vue de l'orientaliste et sa manière d'approcher ce livre sacré en fonction du point de vue critique envers les styles et techniques utilisés pour transmettre les concepts de ce texte vers le lecteur étranger à la croyance et culture musulmanes.

Cette étude se compose de trois chapitres, chacun d'eux traite un aspect du sujet afin d'obtenir une vision globale de cette recherche.

Chapitre 1 :

Ce chapitre comprend l'étude historique et l'origine des traductions des sens du coran vers des langues différentes. Ceci nous a mené vers la toute première traduction faite par Pierre le Vénérable en l'an 1134, sans ignorer d'autres tentatives de traduction dans plusieurs langues telles que l'allemand, l'italien, l'espagnol, l'anglais, le français et voire le hindi et tamazight.

Cette étude concernant l'histoire de la traduction du sens du Coran n'est qu'une partie de l'histoire des traductions faites avant et après Jacques Berque.

Il introduit les différents sens du mot traduire, aussi que la traduction du sens du coran, littérale et interprétée, ainsi que les conditions que chaque traducteur doit respecter afin de transmettre une idée complète en toute véracité.

Ce chapitre montre aussi le lien entre la traduction, l'exégèse et l'interprétation dans le seul but de comprendre la position du traducteur à savoir interpréter son exégète.

Ce même chapitre révèle aussi la controverse concernant la traduction du sens du coran émanant des ulémas et penseurs.

Suite à cette revue dans le monde des traductions et de l'orientalisme, notre curiosité s'est développée autour de la connaissance des objectifs de l'orientalisme religieux dont les principes sont en parfait accord avec certains penseurs mais pas avec d'autres.

Chapitre2 :

Dans ce chapitre, Jacques Berque est présenté comme l'un des plus notables des traducteurs

orientalistes contemporains qui a fait l'étude et la critique de l'Islam. Il est à la fois philosophe, sociologue, avant d'être politicien, critique chercheur, traducteur et enfin islamologue.

A travers ses études anthropologiques, Jacques Berque s'est penché sur la civilisation islamique. Sa vie aux cotés des arabes et des musulmans lui a beaucoup apporté pendant une longue période durant laquelle il a découvert la force de ces sociétés et par conséquent la vraie image de l'islam.

Jacques Berque a eu cette chance de faire son étude profonde, plongé dans un environnement social et culturel, contrairement à ses confrères. Etant né en Algérie, Berque a grandi dans la compagne algérienne du coté de Frenda, dans la willaya de Tiaret ou il a apprit la langue arabe. Il s'est intéressé à l'esprit transmis par la zaouia et son rôle dans la renaissance scientifique, culturelle et littéraire de la société musulmane dans le seul but d'enrichir l'esprit islamique. Zaouia El Hamel de Bou Saada était l'exemple que Jacques Berque avait cité dans son œuvre, vu les contacts qu'il a multiplié avec son fondateur.

Pour Jacques Berque, le monde arabe n'était pas un sujet d'étude seulement mais il représentait une préoccupation spirituelle qui se révélait dans cette incapacité de vivre le présent moderne tout en préservant son authenticité. C'est cette problématique que Jacques Berque a rencontré à travers ses voyages dans le monde arabe et musulman. Ces voyages lui ont permis de côtoyer les plus grands penseurs et écrivains de culture arabe dont les écrits l'ont

impressionné ; tel que Averoés, Malek Benabi, Taha h'ssine, Tawfik El Hakim entre autres.
Il n'est pas sans le savoir que Jacques Berque a laissé son empreinte auprès de certains penseurs et chercheurs du monde arabe. Ils ont apprécié son style philosophique ambigüe qu'on retrouve dans tous ses ouvrages encore présents dans une bibliothèque à Frenda, Tiaret qui porte le nom de cet enfant prodige.

Chapitre3 :

Dans ce chapitre, nous vous proposons une étude analytique du sens de quelques versets du coran chez Jacques Berque. A travers cette analyse nous découvrons que Jacques Berque et certains orientalistes ne sont pas sans le savoir que les versets et les sourates coraniques font preuve d'unité et de coordination.
Jacques Berque est l' un des traducteurs ayant basé leur travail sur des styles et techniques de traduction. Ces derniers ont été générés par Nida l'un des fondateurs des principes de traduction dont sa traduction de l'Evangile est basée sur ces mêmes principes, à savoir l'addition, foot notes, omission et altération ainsi que d'autres techniques utilisées dans la traduction. Ces principes lui servent de véhicule pour transmettre les cultures d'une langue à une autre.
Jacques Berque s'est donc inspiré de cette méthode de transmission pour approcher la traduction du sens du coran. Et afin de comprendre comment Jacques Berque a utilisé les principes de traduction, surtout dans le principe d'omission, nous réservons un espace

non sans importance pour chaque technique. En outre, nous proposons une analyse et une comparaison de l'œuvre de Jacques Berque avec les exégèses islamiques classiques et modernes qu'il a utilisé dans sa méthode.

La traduction en terme générale est une tache difficile La traduction des textes religieux l'est en particulier. Ainsi pour pouvoir transmettre le sens d'un texte religieux du poids et de la profondeur du texte coranique, le traducteur doit avoir une bonne maitrise de la langue du texte à traduire ainsi que la langue cible. Il doit aussi être imprégné de la culture, de l'esprit et de la civilisation relative à la langue cible. Ceci est un témoignage de Jacques Berque, qui reconnait que le travail qu'il a entrepris est compliqué. Pour cela, Jacques Berque l'a désigné comme une tentative, un essai de traduction.

Ce sont là les points les plus importants qui ont été abordés dans ce travail concernant la traduction du sens du coran dans une langue étrangère.

Je souhaite n'avoir négligé aucun concept, aucun principe qui aiderait à transmettre le sens le plus proche au texte original, sans ignorer le texte traduit, car il n'est pas le coran en lui-même, mais seulement une traduction de son sens avec toutes les capacités du traducteur.

Université d'Alger
Faculté des sciences Islamiques

Spécialité Théologie
Département des Religions et théologie

L'approche de Jacques Berque dans la traduction textuelle du coran
Etude analytique et critique

Mémoire présenté pour l'obtention d'un Magister en Sciences Islamiques

Présenté par :
Sadjia Hamlil

Dirigépar
Abd el Razzak Gassou
Mohamed Darradji

Members du juries

Nom et Prénom	En qualité de
Dr Chafia Seddik	- Président
Dr Abd el Rezzak Gassoum	- Rapporteur 1
	- Rapporteur 2
Dr Mohamed Derradji	- Membre
Dr Said Rahmani	- Membre
Dr Mohamed Yaich	

Année Universitaire
1431-1432
2010-2011

Université d'Alger
Faculté des sciences Islamiques
Département des Religions et de Théologie

L'approche de Jacques Berque dans la traduction textuelle du coran
Etude analytique et critique

Mémoire présenté pour l'obtention d'un Magister en Sciences Islamiques

Présenté par :
Sadjia Hamlil

Dirigé par :
Abd el Rezzak Gassoum
Mohamed Darradji

Année Universitaire
1431-1432
2010-2011